لماذا.. لماذا لا ينطق الناس ما يريدون بكل وضوح وحسب؟

مشروع روزي

جرايم سيمسيون

ترجمة: محمد عثمان خليفة

روايات مترجمة

العربي للنشر والتوزيع

مشروع روزي

مكسه ٢٩١

مشروع روزي

تأليف: جرايم سيمسيون

ترجمة: محمد عثمان خليفة

الطبعة الأولى: يونيو 2017

رقم الإيداع: 7309/ 2017

الترقيم الدولي: 9789773193027

الغلاف: Plus Two

تحرير: شريف بكر

مراجعة لغوية: محمد حامد بكر

© جميع الحقوق محفوظة للناشر

60شارع القصر العيني - 11451 - القاهرة

ت 27921943 - 27954529 فاكس 27947566

www.alarabipublishing.com.eg

The Rosie Project was originally Published in Australia by the Text Publishing Company Ltd.

مكتبة ٢٩١

جرايم سيمسيون

مشروع روزي

رواية من أستراليا

ترجمة: محمد عثمان خليفة

العربي للنشر والتوزيع

مكسه ٢٩١

بطاقة فهرسة

سيمسيون، جرايم

مشروع روزي: رواية من الأدب الأسترالي/ تأليف: جرايم سيمسيون، ترجمة: محمد عثمان خليفة.

- القاهرة: العربي للنشر والتوزيع، 2017،

ص؛ سم.

تدمك 9789773193027

1- القصص الأسترالية

أ- خليفة، محمد عثمان (مترجم)

ب- العنوان 899.153

مكتبة ٢٩١

1

وضعتُ يدي على الطريقة المثالية لاختيار زوجتي المستقبلية. لم يختلف اكتشافي هذا عن أي اكتشاف علمي فريد، فالإجابة دائمًا تكمن في الماضي. ولكن للصراحة أقول لك: أنا لم أكن لأتوصل إلى هذا الاكتشاف لولا سلسلة الأحداث التي لم أحسب لها أي حساب.

***

الحلقة الأولى في مسلسل الأحداث بدأتْ عندما أصرَّ "جين" على أن أُلقي محاضرة عن "متلازمة أسبرجر"، كان قد اتفق عليها مسبقًا. ولكن توقيتها كان مزعجًا جدًّا. كان بوسعي أن أُحضِّر لها أثناء استراحة الغداء، لكنني في ذلك المساء بالذات كنت قد حجزتُ أربعًا وتسعين دقيقة لتنظيف حمامي. وهكذا كان أمامي اختيار من ثلاثة، وللعلم لا يوجد بينهم ما يرضيني من الأساس:

1- أنظف الحمام بعد المحاضرة، وهو ما يعني ضياع وقت من فترة النوم، وما يؤدي إليه ذلك من خلل في الأداء الذهني والبدني.

2- أحدد موعدًا آخر لتنظيف الحمام ليكون في الخميس التالي، وهو ما يعني خللًا في مستوى نظافة الحمام على مدار ثمانية أيام إضافية، وزيادة احتمالات الإصابة بأي مرض.

3- أرفض إلقاء المحاضرة، أي حدوث خلل في علاقة الصداقة بيني وبين "جين".

مكتبة ٢٩١

هكذا عرضت الموقف على "جين"، وكان - كعادته - جاهزًا بالحل البديل.

- "دون"، هجيبلك شغَّالة تنضفلك الحمام على حسابي.

شرحت لـ"جين" - مرة ثانية - حقيقة أن كل عاملات النظافة، باستثناء تلك المجرية ذات الجيبة القصيرة، يقعن في الكثير من الأخطاء. ولكن "أم جيبة قصيرة"، كما يسميها "جين"، اختفت بعد أن تسببت في مشكلة بين "جين" و"كلاوديا".

- هكتبلك رقم موبايل "إيفا". بس بشرط متقولش اسمي خالص.

- ولو سألتني؟ هرد عليها إزاي من غير ما أقول اسمك؟

- متقولش غير إنك اتصلت بيها لأنها الوحيدة اللي تعرف شغلها صح. ولو هي اتكلمت عني.. طنِّش.

نتيجة ممتازة، ودليل على قدرة "جين" على الوصول إلى حلول للمشكلات الاجتماعية. ستفرح "إيفا" عندما تسمع هذا الثناء على قدراتها الخاصة، وربما تصبح مناسبة لأداء هذه المهمة بشكلٍ دائم، وهو ما يعني أن أكسب ثلاثمائة وستين دقيقة كل أسبوع لصالح جدولي اليومي.

لم أخبرك أن مشكلة محاضرة "جين" قد ظهرت أساسًا لأنه وجد أمامه فرصة لممارسة الجنس مع أستاذة جامعية من "شيلي" كانت في زيارة إلى "ملبورن" لحضور مؤتمر. طبيعي؛ فهو أستاذ علم نفس، ومهتم جدًّا جدًّا بالجاذبية الجنسية لدى البشر، ويعتقد أنها مسألة جينات.

طبيعي، أيضًا، أن تكون لديه هذه النظرية؛ فهو اختصاصي في علم الوراثة. وبعد ثمانية وستين يومًا مضوا منذ أن تعاقد "جين" معي لأكون باحث دراسات عليا، كان قد ترقَّى إلى منصب رئيس قسم علم النفس، وهي ترقية

كان من المتوقع أن تؤدي إلى ترسيخ مكانة الجامعة في الوسط الأكاديمي الأسترالي، وخصوصًا في مجال علم النفس.

خلال فترة عملنا معًا في قسم العلوم الوراثية، دارت بيننا مناقشات عديدة ومثيرة، واستمرت حتى بعد أن غيَّر اختصاصه. وكنت راضيًا عن علاقتنا لهذا السبب وحده، ولكن "جين" دعاني إلى تناول العشاء في منزله، وهو طقس آخر من طقوس الصداقة، وبالتالي صارت علاقتنا اجتماعية أيضًا. وصارت زوجته "كلاوديا"، الطبيبة النفسية، صديقة لي أيضًا. فأصبح لديَّ صديقان.

ساعدني "جين" ومعه "كلاوديا" في مشكلة البحث عن "الزوجة المناسبة". ولسوء حظي، كانت طريقتهما تقوم على أسلوب "الخاطبة" التقليدي، وهو الأسلوب الذي استبعدته من مشروعي لأن احتمالات نجاحه لا تصل إلى الحد الذي يبرر الجهد المبذول والخبرة السلبية الناتجة عنه. فأنا عمري تسعة وثلاثون عامًا، طويل، رشيق، ذكي، صاحب منصب مرموق نسبيًّا، ودخل فوق المتوسط يوفِّره منصبي كأستاذ مساعد في الجامعة. ومنطقي أن أكون جذابًا في نظر قطاع عريض من الفتيات والسيدات. ولو كنا في عالم الحيوان، لكنت ذكرًا مؤهلًا للتزاوج والتكاثر.

لكن المشكلة تكمن في أن هناك شيئًا ما أفقدني تلك الجاذبية المنشودة. أنا أجد صعوبة في التعارف على أحد، ويبدو أن القصور المتسبب في هذه الإشكالية قد أثَّر بدوره على احتمالات أن أكون طرفًا في علاقة رومانسية. ولا أجد أمامي من مثال أوضِّح لك به الصورة إلا.. كارثة الآيس كريم بالمشمش.

عرَّفتني "كلاوديا"، مشكورة، بإحدى صديقاتها. "إليزابيث"؛ خبيرة بارعة في الكمبيوتر، تعاني من مشكلة في نظرها عالجتها بنظارة. وهنا أتعمد أن أذكر النظارة؛ لأن "كلاوديا" في البداية عرضت عليَّ صورة لها وهي ترتديها، وسألتني إن كنت معترضًا. سؤال مدهش! ومن طبيبة نفسية! فهي وعند تقييم مدى

مكتبة ٢٩١

مناسبة "إليزابيث" لتكون شريكة حياة محتملة لي - أي إنسانة تمنحني الحافز الفكري، وتشاركني أنشطتي، بل ونتعاون معًا في مهمة الإنجاب - لم يشغل بالها إلا رد فعلي حينما أرى نوع إطار النظارة الذي اختارته، والذي ربما لا يكون أصلًا اختيارها، بل اختيار محل النظارات. هكذا ترى طبيعة العالم الذي أُجبرت على أن أعيش فيه. ثم أخبرتني "كلاوديا"، بنبرة من تحكي مشكلة:

- هي من النوع المتمسك بأفكاره.
- أفكارها قايمة على أدلة ملموسة؟
- أفتكر دا صحيح.

ممتاز. وكأنها تصفني أنا.

التقينا في مطعم تايلاندي. تعرف طبعًا أن المطاعم بالنسبة للخائبين اجتماعيًا مثلي تُعتبر حقول ألغام، ولذلك كنت متوترًا جدًا. ولكن البداية كانت ولا أروع، فقد وصلنا معًا في التوقيت نفسه: السابعة مساءً. لأن سوء التوقيت يكون مضيعة للوقت.

عبرنا مرحلة الطبق الرئيسي، من دون أن تبدي أي انتقاد لأي خطأ اجتماعي قد أكون وقعت فيه. صعب أن تندمج في حوار، وأنت تسأل نفسك عن ذلك الجزء من جسدها الذي يُفترض أن أنظر إليه وأنا أتكلم، وهكذا ثبت عينيَّ على عينيها القابعة خلف النظارة؛ بناءً على نصيحة "جين". نتج عن هذا ارتباك في عملية الأكل، وهو ارتباك لم تلحظه هي. وعلى عكس المتوقع، دار بيننا نقاش بنَّاء تمامًا حول الخوارزميات المستخدمة في المحاكاة. كلامها مشوق جدًا! وبدأت أحسب احتمالات أن تكون بيننا علاقة دائمة.

أحضر الجرسون منيو الحلو، فقالت "إليزابيث":

- مبحبش أطباق الحلو الآسيوية.

مكتبة ٢٩١

واضح أن هذا تعميم فاسد، مبني على خبرة محدودة، وربما كان عليَّ أن أنتبه إلى علامة مثل هذه. ولكنني وجدت في ذلك فرصة لطرح اقتراح مبتكر.

- ناخد آيس كريم من برًّا.
- فكرة كويسة. بشرط يكون عندهم آيس كريم بالمشمش.

قدّرتُ أنني أتقدم خطوة خطوة بشكل جيد، لم يخطر ببالي أن اختيار المشمش سيكون مشكلة. وكنت مخطئًا. فاترينة الآيس كريم بها الكثير من الأصناف والألوان، ما عدا المشمش. مخزونهم منه انتهى. أنا طلبت شوكولاتة تشيلي، وسألت "إليزابيث" عن نوعها رقم اثنين بعد المشمش.

- لأ. مش عاوزة أي نوع غير المشمش.

اندهشتُ. كل أنواع الآيس كريم مثل بعضها عند تناولها، بسبب برودة مجسات التذوق في اللسان. وهذه حقيقة، وبالذات مع نكهات الفاكهة. اقترحت عليها المانجو.

- لأ. شكرًا.. مش عايزة.

شرحتُ لها فسيولوجيا مجسات التذوق في اللسان ببعض التفصيل. وقلت لنفسي إنني لو اشتريت واحد آيس كريم بالمانجو وواحد بالمشمش فإنها لن تعرف الفارق بسهولة عند التذوق. وبالتالي، ومنطقيًا، فإن أي نوع فاكهة آخر سيكون مثل المشمش.

مكتبة ٢٩١

- النوع ده مختلف عن التاني طبعًا. وإذا كنت مش قادر تفرق بين المانجا والمشمش، فدي مشكلتك أنت.

بالتالي، صار بيننا خلاف موضوعي لا يمكن أن يحل إلا بالتجريب. وهكذا طلبت آيس كريم حجم صغير من النوعين. ولكن ما إن قام العامل بتحضير الطلب، واستدرت أنا لأطلب من "إليزابيث" أن تغلق عينيها لننفذ التجربة، حتى وجدتها فص ملح وذاب. فاندهشت أكثر: أهذه من قالت لي إنها "خبيرة كمبيوتر" و"صاحبة أفكار قائمة على حقائق"؟!

كان تعليق "كلاوديا" على ما جرى هو أنه كان من المفترض أن أنسى موضوع التجربة هذه قبل أن تقرر "إليزابيث" الانصراف. واضح. ولكن، أي لحظة؟ ما هي الإشارة؟ تلك هي التفاصيل الدقيقة التي لم أنتبه لها. وكذلك لم أنتبه إلى سبب أن الحساسية الزائدة تجاه الالتباس بين طعمي الآيس كريم لا بد أن يكون من ضرورات الارتباط بين رجل وامرأة. منطقي أن أفترض أن هناك بعض النساء اللاتي لا يطلبن هذا. وللأسف، كانت عملية العثور عليهن قاصرة لدرجة الاستحالة. ووجدت أن كارثة الآيس كريم بالمشمش قد كلفتني أمسية كاملة من حياتي، لم أعوضها إلا بالمعلومات التي عرفتها عن خوارزميات المحاكاة.

***

تكفيني فترتا غداء للبحث ولتحضير مادة محاضرتي عن "متلازمة أسبرجر"، من دون أن أُحدِثَ خللًا في تغذيتي، وذلك بفضل توافر الواي فاي في كافيه المكتبة الطبية. ولم تكن لديَّ سابق معرفة باضطرابات التوحد، وفهي ليست من اختصاصي. ولكن الموضوع مشوق. وبدا لي أن الأنسب هو التركيز

مكتبة ٢٩١

على الجوانب الوراثية للمتلازمة، وهو جانب غير مألوف لجمهور المحاضرة. للكثير من الأمراض أساس في الـ"دي إن إيه" الخاص بنا، ولكن يبدو أن أحدًا لم يكتشف بعد ذلك الارتباط الخاص بحالتي. أما اختصاصي فهو قابلية الإنسان الجينية للإصابة بتليف الكبد. أغلب وقتي مخصصٌ لتجربة أثر الخمر على الفئران.

طبيعي أن يكون في الكتب والأبحاث وصف لأعراض "متلازمة أسبرجر". قمت بصياغة استنتاج مؤقت مفاده أن أغلب تلك الأعراض هو ببساطة تنويعات على وظيفة المخ البشري، وقد تمت معالجتها طبيًّا بصورة غير ملائمة لكون تلك الوظائف لا تتماشى والأعراف الاجتماعية - الراسخة - والتي تعكس أكثر المقدرات البشرية شيوعًا، ولكنها لا تقدم كافة تلك المقدرات.

ميعاد المحاضرة في السابعة مساءً. في الكلية بالضواحي الداخلية. لذلك حسبت مدة ركوب الدراجة؛ 12 دقيقة، وأضفت 3 دقائق لتشغيل اللابتوب وتوصيله بالبروجكتور.

وصلت في الساعة 6:57 مساءً، بعد أن أدخلت "إيفا"، الخادمة "أم جيبة قصيرة"، إلى الشقة قبل سبع وعشرين دقيقة مضت. هناك نحو خمسة وعشرين شخصًا يتسكعون عند الباب وأمام القاعة، ولكن "جولي" - منظمة المحاضرة - هي من لفتت انتباهي على الفور، من وصف "جين" لها: "شقراء وصدرها كبير". الحقيقة، إن صدرها لا يكبر عن مرة ونصف المرة مقارنةً بكتلتها الجسدية ووزنها، ولا أجده سمة مميزة بارزة فيها لهذا السبب. المسألة كانت مسألة تتعلق بطريقة عرضها لذلك الصدر، نتيجة لطريقة اختيارها لملابسها، والتي بدت لي عملية تمامًا في ذلك المساء الحار من شهر يناير (يناير في أستراليا يكون ذروة فصل الصيف، لوقوعها في نصف الكرة الجنوبي، تحت خط الاستواء).

ربما قضيت دقائق أطول من اللازم في التأكد من هويتها؛ لأنني وجدتها تنظر إليّ في استغراب.

- أكيد أنتِ "جولي".
- تحت أمرك؟

جيد. شخصية عملية.

- طبعًا، وريني مكان كابل الفيديو، من فضلك.
- أوه. أنت البروفيسور "تيلمان". سعيدة إنك وصلت في الميعاد.

مدت يدها إليّ، ولكنني تجاهلتها.

- كابل الفيديو، من فضلك. الساعة 6 و58 دقيقة.
- اهدى. مش هنبدأ قبل الساعة سبعة وربع. تشرب قهوة؟

لماذا لا يقدِّر الناس وقت الآخرين؟ الآن صارت تلك الدردشة أمرًا حتميًّا. مع أنه كان من الأفضل لي أن أقضي تلك الربع ساعة في ممارسة "الأيكيدو" في المنزل.

كنت أركز على "جولي" والشاشة في مقدمة القاعة. والآن نظرت حولي وأدركت أنني لم أنتبه إلى وجود تسعة عشر فردًا آخرين. هم أطفال، أغلبهم ذكور، يجلسون إلى مقاعد الدرس. خمَّنت أن هؤلاء من المصابين بـ"متلازمة أسبرجر". أعلم أن أغلب الدراسات تركز على الأطفال المرضى بها.

وعلى الرغم من حالتهم، فإنهم يستغلون الوقت بصورة أفضل من آبائهم، الذين كانوا يتسكعون بلا هدف. في أيدي أغلبهم أجهزة محمولة. خمَّنت أن أعمارهم تتراوح ما بين الثامنة والثالثة عشرة. وتمنيت لو أنهم منتبهون إلى دروس العلوم، فقد عرفت من بحثي أنهم يمتلكون معرفة تطبيقية بالكيمياء العضوية وتركيب الـ"دي إن إيه".

مكتبة ٢٩١

انتبهتُ إلى أنني لم أرد على سؤالها عن القهوة.

- لأ.

للأسف، وبسبب تأخري في الرد، كانت "جولي" قد نسيت السؤال أصلًا. فنظرت إليَّ في تساؤل.

- مش عايز قهوة. مبشربهاش بعد الساعة 3 و48 دقيقة العصر. عشان أعرف أنام. دورة حياة الكافيين من 3 إلى 4 ساعات، وعشان كدا غلط أي حد يشرب القهوة الساعة 7 مساءً، إلا اللي عايز يسهر لبعد نص الليل. وده مش هيخليهم يناموا بقدر كافٍ طالما عايزين يصحو للشغل بدري.

كنت أحاول استغلال وقت الانتظار في تقديم نصيحة عملية، ولكن يبدو أنها لا تهتم إلا بالتفاهات.

- هو "جين" كويس؟

أدرك أن هذا تنويع على السؤال الأكثر شيوعًا عند بداية أي تفاعل بشري رسمي. "ازيك عامل إيه؟".

- بخير، شكرًا على السؤال.

- كنت فاكراه تعبان.

- "جين" صحته ممتازة، بس وزنه زاد ستة كيلوجرام عن الوزن المناسب. جرينا مع بعض انهاردة. عنده ميعاد الليلة، والميعاد دا بالذات محتاجه بصحة كاملة.

مكتبة ٢٩١

لمحت أن "جولي" غير مرتاحة، ولما فكرت في هذا التفاعل الذي دار بيننا لاحقًا، أدركت أن من المحتم أن يكون "جين" قد كذب عليها بشأن سبب عدم حضوره. ربما فعل ذلك حتى لا تشعر "جولي" أن محاضرتها لا تمثل أهمية له، وحتى يجد مبررًا لإرساله محاضرًا أقل شأنًا منه عوضًا عنه. بدا لي أن من الصعب عليَّ تحليل مثل هذا الموقف الذي ينطوي على الغش والخداع وتقدير رد الفعل العاطفي لشخص آخر، ومن ثم تقوم أنت بتحضير كذبة مقنعة تلائم رد الفعل ذاك، كل هذا بينما ينتظر الشخص الذي أمامك أن ترد على سؤاله. ومع هذا، فإن الناس تنتظر منك أن تكون ماهرًا، بل وموهوبًا في عمل ذلك.

نهايته، أعددت اللابتوب، وبدأت المحاضرة بعد ذلك بثماني عشرة دقيقة. وجدت أن عليَّ أن أتحدث بإيقاع أسرع بنسبة ثلاثة وأربعين في المائة، حتى أنتهي في الموعد المحدد.. الثامنة مساءً. هدف مستحيل من ناحية الأداء العملي.

أي إننا في كل الأحوال سننتهي متأخرين عن ذلك الموعد، وبالتالي فسدت خططي المسبقة لذلك المساء..

فسدت تمامًا.

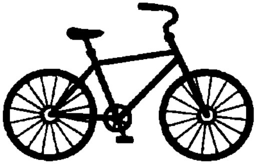

2

اخترتُ لمحاضرتي عنوانًا هو "العلامات الجينية على اضطرابات التوحد" ، وحضَّرت بعض الرسوم البيانية الممتازة لتكوينات الـ"دي إن إيه". ولم يمر على بدء محاضرتي إلا تسع دقائق، وكنت أتحدث بإيقاع أسرع قليلًا من المعتاد لأعوِّض الوقت الذي ضاع، عندما قاطعتني "جولي":

- بروفيسور "تيلمان". أغلبنا هنا مش متخصص في العلوم، يا ريت تقلل من المصطلحات العلمية في كلامك.

مقاطعة كهذه تضايقني جدًّا. ثم إن هؤلاء الناس لا يترددون عن حفظ كل خصائص وصفات مواليد برجي الجوزاء أو الثور، ولا يجدون غرابة في متابعة مباراة كريكت تستمر خمسة أيام متتالية، ولكنهم في الوقت نفسه يضجرون من قراءة ولو أساسيات علمية من قبيل العناصر التي تتكون منها أجسادهم.

أكملت محاضرتي على النحو الذي حضّرته بالتمام. فليس لديَّ متسع لتغيير أي شيء، وكذلك أنا متأكد من أن هناك بين الحاضرين من يعرف من ألف باء العلوم ما يكفيه لأن يفهمني.

كنت على حق. فقد وجدت ذراعًا ترتفع لتستأذن الكلام؛ لذكر في الثانية عشر من عمره تقريبًا.

مكتبة ٢٩١

- حضرتك بتقول إنه من المستبعد إن الموضوع يبقى متعلق بعلامة جينية واحدة، وإن الاحتمال الأقرب هو وجود عدة جينات، وإن التعبير الإجمالي عن الصفة الوراثية بيعتمد على المزيج المميز دا. هل فهمي مظبوط؟

- تمام! وأضف كمان العوامل البيئية. إحنا هنا قدام حالة مشابهة للاضطراب "ثنائي القطب"، من حيث...

قاطعتني "جولي" من جديد:

- أحب أوضح لينا - السذج البسطاء - إن البروفيسور "تيلمان" يقصد إن "أسبرجر" متلازمة الإنسان بيتولد بيها. وإنها مش مكتسبة. مش غلطة أي حد.

أصابتني جملتها التوضيحية الأخيرة بالرعب، "غلطة!"، كلمة لها دلالات سلبية كبيرة، وخاصة عندما يستخدمها شخص مسؤول. هكذا تخليت عن قراري بعدم الخروج عن النص الذي حضَّرته. ولا بد أن هذا الموقف كان يختمر في عقلي الباطن منذ البداية، فقد وجدت نبرة صوتي تعلو على الرغم مني نتيجة لذلك.

- غلطة؟! "أسبرجر" مش غلطة. هو متغيِّر. في الحقيقة هو ميزة رئيسية. "متلازمة أسبرجر" مرتبطة بالتنظيم والتركيز والتفكير المبتكر والحياد العقلاني.

رفعت سيدة في مؤخرة القاعة يدها. كنت أركز على ما أقول، وارتكبت خطأ اجتماعيًّا بسيطًا، وأصلحته بسرعة.

- الأستاذة التخينة اللي ورا؟

سكتت السيدة، ونظرت حولها في حرج، قبل أن تستطرد:

- الحياد العقلاني.. هل دا تعبير لطيف عن حالة انعدام المشاعر؟

- مرادف ليها.. العواطف بتتسبب في مشكلات مش هينة.

مكتبة ٢٩١

رأيتُ أن أقدم لها مثالًا توضيحيًّا؛ قصة تعرفها أن السلوك العاطفي يؤدي إلى نتائج كارثية.

- تخيلي معايا.. أنتِ مستخبية في بدروم. وفي عدو بيدور عليكي وعلى صحابك. ولازم الكل يلتزم الصمت، بس البيبي اللي معاكي بيعيط.

رسمت على وجهي تعبيرًا، تمامًا كما كان سيفعل "جين"، حتى تكون القصة أشد إقناعًا:

- و...... معاك مسدس.

ارتفعت الأيدي في كل مكان.

أسرعت "جولي" تقف، بينما أكملتُ:

- بكاتم صوت. وهما بيقربوا. هيقتلوكم كلكم. فهتعملي ايه؟ والبيبي بيعيط.

كان الأطفال متلهفين للتعبير عن أفكارهم. صاح أحدهم: "تقتل الطفل". وسرعان ما كان الصغار كلهم يصيحون بالعبارة نفسها.. "تقتل الطفل".

بينما صاح الولد الذي سأل من قبل السؤال عن الجينات:

- تقتل العدو.

وصاح آخر:

- تجهِّز لم كمين.

وتوالت المقترحات سريعة.

- تستخدم الرضيع كطعم.

- كم مسدس معانا؟

- تكتم بوقه.

- ايه المدة اللي ممكن تعيشها من غير ما تتنفس؟

مكتبة ٢٩١

كما توقعت. كانت جميع الأفكار صادرة عن مصابين بـ"متلازمة أسبرجر". ولم يقدم الآباء مقترحات بنَّاءة؛ بل حاول بعضهم قمع تلك الأفكار المبتكرة لدى أولادهم.

رفعت يديَّ الاثنتين:

- انتهى الوقت. شغل ممتاز. كل الحلول العقلانية كانت من أصحاب "الأسبي". أمَّا الباقيين منعتهم عواطفهم.

عندئذٍ صاح أحد الأولاد:

- يعيش "الأسبي"!

كنت قد وجدت هذا الاختصار لاسم المرض في أدبياته، ولكن الظاهر أنها كانت المرة الأولى التي يسمعه فيها الأطفال. ولكنهم أحبوه، وهكذا بادروا بالوقوف فوق مقاعدهم وتحريك قبضات أيديهم في الهواء بقوة، وهم يصيحون في إيقاع منغوم معًا: "يعيش الأسبي... يعيش يعيش!". عرفت ممَّا قرأت أن أصحاب "متلازمة أسبرجر" تنقصهم الثقة في النفس في المواقف الاجتماعية. ويبدو أن نجاحهم في حل المشكلة قد مثَّل علاجًا مؤقتًا لهذه العلَّة، ولكن آباءهم فشلوا مجددًا في مساندتهم، وكانوا يصرخون فيهم محاولين إعادتهم إلى أماكنهم. هم في الظاهر معنيون أكثر بالامتثال للعرف الاجتماعي مقارنة بحرصهم على تعزيز التقدم الذي أحرزه أولادهم.

شعرتُ أنني أوضحت وجهة نظري بشكل فعَّال، وكان رأي "جولي" ألا نستكمل الكلام عن الجينات. ويبدو أن الآباء كانوا منشغلين بما تعلَّمه أولادهم للتو، فانصرفوا من دون أن يوجهوا إليَّ أي استفسار. الساعة الآن 7:43 مساءً. ممتاز.

مكتبة ۲۹۱

لم تتمالك "جولي" نفسها أكثر من ذلك. غلبها الضحك، بينما كنت أضع اللابتوب في حقيبتي.

- أوه.. يا ربي.. أنا محتاجة أشرب.

استغربت من كونها تتشارك بالتعبير عن رغبتها هذه مع شخص لم تعرفه سوى من ست وأربعين دقيقة فحسب. عن نفسي، كنت أنوي أن أشرب كأسًا في منزلي عندما أعود، ولكنني لا أجد سببًا يدفعني لتعريف "جولي" بذلك.

- تعرف إننا مش بنستخدم الكلمة دي أبدًا.. "أسبي". مش عاوزين الأطفال يفتكروا إننا في مكان زي نادي مجمعهم.

علامة سلبية أخرى، من سيدة يُفترض أنها تقبض مرتبًا مقابل قدرتها على المساعدة والتشجيع.

- زي كلمة مثلية جنسية؟

- نفس الإحساس. بس الموضوع هنا مختلف. عشان هما لو متغيروش مش هتكون عندهم علاقات حقيقية.. مش هيكون عندهم أبهات وأمهات.

برهان معقول، يمكنني فهمه، حتى مع ما أجده من صعوبات في هذا الصدد. ولكن "جولي" رأت أن تغير الموضوع:

- إنت قلت إن عندهم قدرات بتخليهم يقدروا يعملوا حاجات مفيدة، وبصورة أفضل من الـ. الـ"لا أسبيين"؟ طبعًا بخلاف قتل الرضع.

- طبعًا.

تعجبت من أن يكون هناك شخص متخصص في تعليم أناس يعانون من خصال غير شائعة، بينما هو لا يدرك قيمة أو جدوى تلك الخصال:

- سمعت عن شركة في الدنمارك بتوظف أصحاب "متلازمة أسبي" لامتحان تطبيقات الكمبيوتر اللي بينتجوها؟

مكتبة ٢٩١

- مسمعتش عنها. إنت بتديني منظور جديد فعلًا. عندك وقت نشرب حاجة مع بعض؟

وضعت يدها فوق كتفي.

اختلج جسدي. رد فعل تلقائي. هذه ملامسة غير ملائمة بالتأكيد. لو فعلتُ هذا مع سيدة لصارت هناك مشكلة، وربما اشتكتني للعميد بتهمة التحرش الجنسي، وهكذا يتأثر مساري الوظيفي سلبيًّا بها. أما هي، فلن ينتقدها أحد.

- للأسف عندي ارتباطات تانية.

- ممكن تغير جدول المواعيد؟

- طبعًا لأ.

لقد تمكنت بالكاد من تعويض الوقت الضائع، ولن أسمح بإحداث فوضى في حياتي مجددًا.

كان لي صديقتان، قبل إن ألتقي "جين" و"كلاوديا". الأولى هي أختي الكبيرة. ورغم أنها كانت مدرسة رياضيات، إلا إنها كانت غير مهتمة بتطوير نفسها في مجالها. ولكنها كانت تعيش في منطقة قريبة، وتزورني مرتين في الأسبوع، وأحيانًا من دون موعد. نأكل معًا وندردش، عن حياة أقاربنا وعن التفاعلات الاجتماعية الأخرى مع الزملاء. ونسافر مرة في الشهر إلى "شبارتون"، لتناول عشاء يوم الأحد مع أبي وأمي وأخي. كانت عزباء، ربما لأنها خجولة وليست جذَّابة بالدرجة المتعارف عليها.

وبسبب انعدام الكفاءة الطبية بدرجة فادحة وغير مبررة فإنها الآن.. ميتة.

الصديقة الثانية هي "دافني"، والتي تداخلت فترة صداقتي لها مع فترة صداقتي لكل من "جين" و"كلاوديا". سكنت في الشقة التي تعلو شقتي، بعد

مكتبة ٢٩١

أن دخل زوجها دار المسنين، بعدما خرف عقله. وبسبب متاعب في ركبتيها، بسبب البدانة المفرطة، لم تكن قادرة على المشي إلا خطوات بسيطة، ولكنها تتحلى بعقل ذكي للغاية، وهو ما دفعني إلى المداومة على زيارتها. ليس لديها أي مؤهلات رسمية، مجرد ربّة منزل تقليدية جدًا. رأيت أن هذا إهدار فادح لموهبة كموهبتها، خاصة وأن ذريتها لم ترد رعايتها. اهتمت بعملي، وقمنا سويًا بإطلاق مبادرة: "تعليم دافني مشروع الجينات"، وكانت تجربة مدهشة.. لي ولها.

صارت معتادة على تناول العشاء في شقتي، خاصةً بعد أن وجدت في هذا توفيرًا هائلًا، فهي تطهو وجبة واحدة لفردين، وهذا أفضل من وجبة لكل فرد. وكنّا في كل يوم أحد، في تمام الثالثة عصرًا، نزور زوجها في دار المسنين، وكان على مسافة 7.3 كم من بنايتنا. وهكذا تمكنت من الجمع بين المشي ذهابًا وإيابًا لمسافة 14.6 كم ودفع كرسي متحرك تجلس هي عليه، علاوة على التحدث معها عن الجينات. كنت أستغل وقت انهماكها في الحديث مع زوجها في القراءة، ورغم صعوبة أن أحدد مستوى الفهم لديه، ولكنه كان بالتأكيد في أسفل سافلين.

سُمِّيَتْ "دافني" على اسم نبتة كانت مزهرة يوم ولادتها، في الثامن والعشرين من أغسطس. واعتاد زوجها أن يهديها في عيد ميلادها زهور الدافني. كم كانت ممتنة لتلك اللمحة الرومانسية الراقية. اشتكت لي من أن عيد ميلادها الذي اقترب سيكون أول مناسبة خلال ستة وخمسين عامًا لن تتلقى فيها تلك اللمحة الرومانسية. وبالطبع كان الحل واضحًا، وهكذا، وبينما كنت أدفعها بالكرسي إلى شقتي لتناول العشاء في يوم ميلادها الثامن والسبعين، وجدتْ بانتظارها كمًّا من هذه الأزهار التي ابتعتها مسبقًا لأجلها.

مكتبة ۲۹۱

شمَّت الرائحة فورًا، فبكت. ظننت أني ارتكبت خطأ فادحًا، ولكنها أوضحت لي أن هذه الدموع عرض من أعراض السعادة. كما جاشت مشاعرها بسبب كيكة الشوكولاتة التي صنعتها، ولكن ليس بالدرجة نفسها التي أبدت بها إعجابها بالزهور.

باغتتني خلال العشاء بتعليق هائل:

- "دون".. بجد مخظوظة اللي هتكون مراتك من حظك ونصيبك.

تعليق مثل هذا متناقض تمامًا مع حقيقة رفض النساء لي، حتى إنه صدمني لبعض الوقت. ولكنني أوضحت لها الحقائق.. سابقة محاولاتي العثور على شريكة حياة، بدايةً من افتراضي وأنا طفل أنني سأكبر وحتمًا سأتزوج، وانتهاءً بالتخلي عن هذه الفكرة كليًّا بعد ما وجدته من أدلة على كوني لا أناسب النساء.

وجاءت حجتها بسيطة: "لكل رجل امرأة تليق به". هي على حق بدرجة كبيرة، من الناحية الإحصائية. ومن المؤسف أن احتمال أن أعثر على تلك المرأة ضئيل إلى حد الانعدام. ولكن كلامها أربك عقلي، مثل معضلة رياضية نعرف أن لها حلًا حتميًا.

كررنا طقس الزهور هذا في عيدي ميلاد آخرين. لم يكن رد فعلها درامي مثل أول مرة، ولكنني أضفت إلى ذلك الطقس شراء هدايا لها.. كتب عن الجينات والوراثة.. وبدت سعيدة بها جدًا. حكت لي أن عيد ميلادها صار أفضل أيام العام بالنسبة لها. أفهم أن هذه الفكرة شائعة بين الأطفال، بسبب الهدايا، ولذلك لم أتوقع أن أسمعها من سيدة بالغة ناضجة.

مرَّ ثلاثة وتسعون يومًا على عشاء ثالث عيد ميلاد نحتفل به، وكنَّا في طريقنا إلى دار المسنين، نناقش بحثًا عن الجينات كانت "دافني" قد قرأته في اليوم السابق، عندما انتبهتُ إلى أنها نسيت بعض النقاط الهامة. ولم تكن هذه

مكتبة ٢٩١

هي أول مرة تخونها فيها ذاكرتها خلال الأسابيع الأخيرة، فبادرت على الفور بإعداد تقييم لوظائفها الإدراكية. وتوصلت إلى التشخيص.. الـ"زهايمر

تدهورت قدرات "دافني" الذهنية سريعًا، وسرعان ما صار من المستحيل أن نتناقش حول الجينات. ولكن الوجبات والمشاوير إلى دار المسنين لم تتوقف. "دافني" الآن تتحدث أساسًا عن ماضيها، وتركِّز على زوجها والعائلة، فتمكنت من تكوين فكرة عامة عن طبيعة الحياة الزوجية. استمرت تصر على ضرورة أن أعثر على شريكة مناسبة وأن أتمتع بمستوى أعلى من السعادة، مثل الذي عايشته في حياتها. وتأكدت من بحث تكميلي أجريته أن حجج "دافني" مدعومة بالأدلة: "الرجل المتزوج يعيش حياة أسعد وأطول".

ذات يوم، سألتني "دافني":

- إمتى عيد ميلادي؟

عرفت أنها فقدت الآن الإحساس بالزمن. قررتُ أنه من المقبول أن أكذب حتى أزيد من درجة سعادتها. ولكن المشكلة كانت في العثور على زهور الدافني، فهذا ليس أوانها، غير أن الحظ فاجأني. كنت أعرف اختصاصي في الجينات يعمل على تغيير فترات إزهار النباتات وإطالتها لتحقيق أغراض تجارية. وهكذا تمكَّن من تزويد بائع الزهور الذي أتعامل معه ببعض الدافني، وأقمنا حفل عشاء رائعًا احتفالًا بعيد ميلاد في غير موعده. كنت أكرر هذه الخطوات في كل مرة تسألني فيها "دافني" عن موعد عيد ميلادها.

في النهاية، كان من المحتم أن تنضم "دافني" إلى زوجها في دار المسنين، وهكذا - ومع ضياع ذاكرتها - كنت أحتفل معها بعيد ميلادها مرات أكثر، حتى صرت أزورها يوميًّا. منحني بائع الزهور بطاقة عميل خاص تقديرًا لكثرة تعاملي معه. وحسبت عدد أعياد الميلاد التي أقمناها، فوجدت أن من

مكتبة ٢٩١

المفروض أن تكون "دافني" قد بلغت الآن مئتين وسبعة أعوام، وذلك حتى يوم لم تعد تتعرف عليَّ، وبلغت ثلاثمائة وتسعة عشر عامًا يومَ توقفت عن إبداء أي رد فعل تجاه زهور الدافني، وبالتالي توقفت عن زيارتها، لانعدام الجدوى.

لم أتوقع أن أسمع صوت "جولي" ثانيةً. وكالعادة، وجدت أن فرضياتي تجاه السلوك البشري مغلوطة تمامًا. فبعد يومين من تلك المحاضرة، وفي تمام الساعة 3:37 عصرًا، رن جرس التليفون وظهر على شاشته رقم لا أعرفه. تركت لي "جولي" رسالة صوتية تطلب فيها مني أن أتصل بها، فخمنت أنني قد تركت شيئًا ما خلفي.

خطأ. من جديد. فهي كانت ترغب في أن نستكمل مناقشتنا عن "متلازمة أسبرجر". فشعرت بالسعادة للأثر الذي تركته مساهمتي. اقترحت أن نلتقي على العشاء، وهذا بالطبع ليس توقيتًا مثاليًا لأي حوار بنَّاء، ولكنها مسألة يسهل ترتيبها، وخاصة أنني أتناول عشائي وحدي في المعتاد. أمَّا البحث التمهيدي.. فتلك مسألة أخرى.

- ايه الموضوعات اللي بتهتمي بيها تحديدًا؟

- أوه.. كنت فاكرة إننا هنتكلم وخلاص.. في العموم يعني.. عشان نتعرف على بعض أكتر.

هذا كلام غير محدد:

- محتاج على الأقل إشارة ولو عامة للموضوع الرئيسي. ايه اللي قلته تحديدًا عشان أثير اهتمامك؟

- آآآه.. يمكن كلامك عن الشركة الدنماركية وامتحانات الكمبيوتر.

لا بد أن أبحث أكثر في هذا الموضوع:

- اللي بيختبروا برامج الكمبيوتر. وايه اللي حابة تعرفيه؟

- عاوزة أعرف إزاي توصلوا ليها. أغلب المصابين بـ"متلازمة أسبرجر" من الكبار ميعرفوش إنهم مصابين أصلًا.

كلام وجيه. عقد مقابلات مع المتقدمين بصورة عشوائية للوظائف سيكون عملية غير كفؤة إلى حد كبير لمن يريد أن يختار المصاب بهذه المتلازمة، حيث إن نسبة النجاح لن تتجاوز 0.3 في المئة بأي حال.

- أعتقد إنهم بيستخدموا استبيان عشان يصفوا اللي مقدمين.

ما إن نطقت بالكلمة الأخيرة حتى أضاء عقلي.. ليس بالمعنى الحرفي للكلمة طبعًا.

استبيان! إنه حل بديهي. فهو أداة علمية يتم تصميمها حسب الغرض ومن خلالها يمكنني تصفية مختلف أنواع النساء: مهدرات الوقت، المهملات، تلك العنصرية تجاه أصناف الآيس كريم، والشاكيات من التحرش البصري، وهواة الغيبيات والأبراج، والشغوفات بالموضة، والمتطرفات دينيًا، وهاويات المباريات الرياضية، والمدخنات، والمتدينات، والمثقفات، والمثليات جنسيًا، وهكذا، وهكذا... إلى أن أتوصل إلى شريكة حياتي المثالية، أو على أقل تقدير قائمة قصيرة من المرشحات.

نسيت أن "جولي" ما تزال على الخط:

- "دون".. نتقابل فين وامتى؟

ولكن الأمور تغيرت. وانقلبت الأولويات.

- مش هينفع نتقابل.. جدولي مليان.

أنا بحاجة إلى كل وقت متاح لديَّ لأجل المشروع الجديد.

مشروع البحث عن زوجة..

مكتبة ٢٩١

3

بعد أن أنهيت مكالمتي مع "جولي"، توجهتُ فورًا إلى مكتب "جين" في مبنى علم النفس، ولكنني لم أجده هناك. ومن حسن حظي أن مساعدته الشخصية، يسمونها "هيلينا الجميلة" رغم أن المفروض أن تدعى "هيلينا عُقد"، لم تكن موجودة بدورها، وبالتالي أمكنني أن أطلع على أجندة "جين". عرفتُ منها أن لديه محاضرة عامة، تنتهي في الخامسة مساءً، وأن هناك فسحة من الوقت حتى الساعة الخامسة والنصف، حيث سيكون لديه اجتماع.

ممتاز. كل ما عليَّ هو أن أختصر الزمن المخصص للجيم اليوم. ورتبت جدولي على هذه النصف ساعة المنشودة.

وبعد حصة تدريبية مستعجلة في الجيم، حيث ألغيت الوقت الذي أقضيه في الاستحمام وتغيير الملابس، هرعت إلى حيث المحاضرة، وانتظرت هناك عند مدخل الأساتذة. وعلى الرغم من تلاحق أنفاسي وكل هذا العرق بسبب الحرارة والتدريبات، فإنني كنت في ذروة نشاطي البدني والعقلي. ولمَّا أشارت ساعتي إلى تمام الخامسة، دخلت المبنى. كان "جين" ما يزال على المنصة مستغرقًا في الكلام، وكأنه نسي المواعيد المقررة، وهو يرد على سؤال يتعلق بالمخصصات المالية. عندما دخلت القاعة صاحبني النور الذي تسلل إلى تلك العتمة، فأدركت

مكتبة ٢٩١

أن عيون الجميع صارت الآن مسلطة عليَّ، وكأنهم يتوقعون مني أن أبرر دخولي بأي تعليق. وجدتني أقول:

- انتهى الوقت. عندي معاد مع "جين".

بادر الحضور بالنهوض عن مقاعدهم، ولمحت عميدة الكلية في الصف الأمامي ومعها ثلاثة أشخاص يرتدون بدلات رسمية. خمَّنت أن هؤلاء هم المانحون المحتملون للتمويل المطلوب، وأنهم ليسوا هنا للاستماع إلى محاضرة عن الانجذاب الجنسي. يحاول "جين" دومًا البحث عن ممولين للأبحاث العلمية، وتهدد العميدة دومًا بتقليل الميزانية المخصصة لقسمي الجينات وعلم النفس بسبب عدم وجود التمويل الكافي. وهذا مجال لا يهمني أن أتورط فيه. ولكن "جين" قال عبر الميكروفون:

- أعتقد إن زميلي البروفيسور "تيلمان" بيلمحلنا بضرورة إننا نناقش الأمور المالية في وقت تاني، رغم إنها مهمة في شغلنا.

نظر نحو العميدة ورفاقها، قبل أن يردف:

- أشكركم على اهتمامكم بشغلي، وطبعًا شغل زمايلي في قسم علم النفس.

تعالى التصفيق في تلك اللحظة، ويبدو أن دخولي كان في الوقت المناسب.

مرت العميدة ورفاقها جواري. فقالت لي:

- متأسفة عشان معطلة مواعيدك يا بروفيسور "تيلمان". أنا متأكدة إننا هنلاقي ممولين مرة تانية.

سرَّني أن أسمع منها هذا، ولكنني تضايقت عندما وجدت "جين" قد تحوَّل للتحدث مع سيدة تقف معه. حمراء الشعر، تضع الكثير من القطع المعدنية في أذنيها. كانت تتحدث معه بصوت عالٍ.

مكتبة ٢٩١

- مش مصدق إنك بتستغل محاضرة عامَّة لغرض شخصي ليك.

- من حسن حظك إنك حضرتي. اتخليتي عن حاجة من مبادئك. أول حاجة.

العدائية اللي كانت عند الست كانت واضحة، رغم إن "جين" كان بيبتسم.

- حتى لو فرضنا إنك صح، وهو مش حقيقي، بالنسبة للأثر الاجتماعي بقى؟

أدهشني رد "جين" التالي على سؤالها، ولم يكن ما أدهشني هو قصده، فأنا معتاد عليه، ولكن قدرته الماكرة على تغيير الموضوع. يمتلك "جين" مهارات اجتماعية من مستوى لا يمكنني حتى أن أحلم به.

- إحنا كدا كأننا بندردش في الكافيتيريا. إيه رأيك نحدد معاد نتقابل فيه ونكمِّل كلام؟

- متأسفة. عندي بحث لازم أكمله. تجميع الأدلة.

هممت بالتوجه نحوه، ولكن سيدة شقراء سبقتني. توقفتُ حتى أتحاشى أي تلامس جسدي. كانت تتحدث بلكنة نرويجية:

- بروفيسور "بارو"؟ مع كامل احترامي، لكن أنت بتبسط القضية النسوية تمامًا.

- لو كنا هنتكلم في الفلسفة، فالأفضل نتقابل في الكافيتيريا. أقابلك في "باريستا" بعد خمس دقايق.

أومأت السيدة موافقة، وانصرفت نحو باب القاعة.

أخيرًا، هناك فرصة لأتحدث معه. سألني "جين" عندما وصلت إليه:

- تفتكر لكنتها إيه؟ سويدية؟

- نرويجي. متهيألي إنك على علاقة مع واحدة نرويجية فعلًا.

مكتبة ٢٩١

أخبرته أن لدينا موعدًا محددًا، ولكن عقل "جين" صار منشغلًا الآن بموعده مع تلك السيدة. أغلب ذكور الحيوانات مبرمجة بحيث تعطي أولوية للجنس على مساعدة فرد آخر من النوع نفسه، هذا علاوة على أن "جين" لديه حافزًا إضافيًا وهو مشروعه البحثي. لذلك عرفت أن الجدال معه لن يفيد.

- شوف معاد تاني نتكلم فيه.

من المفترض أن "هيلينا الجميلة" انصرفت الآن، وبالتالي تمكنت من الاطلاع مرة أخرى على أجندة "جين". وهكذا عدلت مواعيدي بحيث تناسب ذلك الموعد الآخر. من الآن فصاعدًا، سيكون لمشروع البحث عن زوجة الأولوية القصوى لديَّ.

انتظرت حتى تمام الساعة السابعة والنصف صباح اليوم التالي، قبل أن أطرق باب منزل "جين" و"كلاوديا". كان من الضروري أن أغيِّر موعد ذهابي إلى السوق لشراء حاجيات العشاء ليكون في الساعة السادسة إلا الربع صباحًا، وهو ما كان يعني بدوره أن أنام مبكرًا في الليلة الماضية، مع تغيير بقية المواعيد كذلك.

سمعت جلبة تنم عن دهشة وانزعاج بالداخل، قبل أن تفتح ابنتهما "أوجين" الباب. كانت "أوجين"، وهكذا عهدها، مسرورة لرؤيتي، وطلبت مني أن أحملها فوق كَتِفَيّ وأسرع بها نحو المطبخ. لحظات من المرح. خطر لي أنه من المقبول أن أدرج "أوجين" وأخيها غير الشقيق "كارل" في قائمة أصدقائي، لتحتوي القائمة الآن على أربعة أشخاص.

وجدتُ "جين" و"كلاوديا" يتناولان الإفطار. أخبرني أن زيارتي غير متوقعة. نصحت "جين" أن ينشر جدول مواعيده على الإنترنت، وبالتالي يمكنه أن يراجعها أولًا بأول، وهكذا أتمكن من تحاشي لقاء "هيلينا الجميلة". ولكنه لم يتحمَّس للفكرة.

مكتبة ٢٩١

لم أكن قد أفطرت، لذلك تناولت علبة زبادي من الثلاجة. زبادي مُحلى! لا عجب إذن في أن يزيد وزن "جين". ولكن قوام "كلاوديا" ما يزال رشيقًا، مع زيادة طفيفة في الوزن لاحظتها. نبهتهما إلى تلك المشكلة، ولَّمحت إلى الزبادي كمتهم محتمل.

سألتني "كلاوديا" عمَّا إذا كنت قد أعجبتني محاضرة "أسبرجر". ما زالت تظن أن "جين" هو من ألقى المحاضرة وأنني كنت مجرد حاضر بين الحضور. صححت لها المعلومة وأخبرتها أن الموضوع أعجبني.

- الأعراض دي مش بتفكرك بشخص معين؟

هي بالتأكيد تذكّرني بشخصٍ ما. هي بالفعل التوصيف الدقيق لشخصية زميلنا "لازلو هيفيسي" في قسم الفيزياء. كنت على وشك أن أحكي لهما حكاية "لازلو" والبيجامة عندما دخل علينا "كارل"، ابن "جين" البالغ ستة عشر عامًا، مرتديًا زيه المدرسي. اتجه نحو الثلاجة، وكأنه سيفتحها، قبل أن يستدير بغتة ويوجه لكمة قوية جدًّا نحو رأسي. أمسكتُ قبضته في الهواء ودفعته بلطف حازم نحو الأرض، حتى أجعله يعلم أنني مسيطر على الموقف بالاتزان وليس القوة. هي لعبة نلعبها معًا دومًا، ولكنه لم ينتبه إلى الزبادي، الذي انسكب الآن على ملابسي وملابسه. بادرت "كلاوديا":

- خليكم مكانكم. هجيب قماشة أنضفه.

لن يمكن لقطعة قماش أن تعيد قميصي كما كان. فتنظيف القميص يحتاج إلى غسَّالة + منظف + سائل منعم + وقت كافٍ. لذلك قلت وأنا أتوجه إلى غرفة نومهما:

- هستلف قميص من قمصان "جين".

عدت إليهم، وأنا أرتدي قميصًا أبيض واسعًا بدرجة غير مريحة، عليه رسم مزركش في الصدر. حاولت أن أبدأ الكلام عن مشروع البحث عن زوجة، ولكن

مكتبة ٢٩١

"كلاوديا" كانت منشغلة بتنظيف ملابس ابنها. بدأتُ أشعر بالضيق. لكنني عرفتهما أنني سأكون موجودًا هنا على عشاء ليلة السبت، وطلبت منهما عدم تحديد أي مواعيد مغايرة.

يبدو أن هذا التأخير كان في مصلحتي، فقد ساعدني على البحث أكثر في موضوع تصميم الاستبيان، ووضع قائمة بالصفات المرغوبة في الزوجة، وكذلك وضع مسودة لمثل هذا الاستقصاء. ينبغي ترتيب كل هذا بالطبع في الأوقات البعيدة عن أوقات التدريس والبحث، وكذلك موعدي مع العميدة.

في صباح الجمعة دار بيني وبينها نقاش غير مريح نتيجة لإبلاغي عن قيام أحد الطلاب بانتهاك الأمانة الأكاديمية. سبق لي أن أمسكت "كيفين يو" متلبسًا بالغش. والآن، وأنا أراجع أحد الواجبات التي قدمها، أجده يسرق جملة كتبها طالب آخر في الورقة التي سلمها لي منذ ثلاثة أعوام مضت.

وبعد التحقيق والتحري، تأكدت أن ذلك الطالب القديم هو نفسه المدرس الخصوصي لـ"كيفين"، وأنه هو من كتب جزءًا على الأقل من واجب "كيفين". كل هذا جرى منذ بضعة أسابيع. أبلغت العميدة بكل شيء، وأنا أتوقع أن تتخذ إجراءً تأديبيًا. ولكنني أدركت أن الأمر أكثر تعقيدًا ممًا أظن.

- موضوع "كيفين" غريب شوية.

كنًا في مكتب العميدة الذي يذكِّرني بمكاتب مديري الشركات، وكانت ترتدي بدلة رسمية؛ سترة وجيبة كحلي غامق. هذا المظهر يجعلها تبدو أقوى، على حد وصف "جين". فهي سيدة قصيرة القامة، نحيفة، وصلت إلى العقد الخامس من عمرها، ومن المحتمل أن هذا الزي يجعلها تبدو أكبر حجمًا، ولكنني عاجز عن الربط بين فكرة الهيمنة الجسدية وهذا الوسط الأكاديمي الذي نحن فيه.

- دي المخالفة التالتة لـ"كيفين"، ولوائح الجامعة بتنص على إنه لازم يتفصل.

مكتبة ٢٩١

هذه حقائق واضحة، وهذا إجراء صارم مباشر. لذلك حاولت أن أجد أي غرابة في الموضوع كما تقول العميدة، ولكنني فشلت.

- هي الأدلة مش كافية؟ هتقدم اعتراض قانوني؟

- لأ. والموضوع واضح تمامًا. بس مخالفته الأولى كانت ساذجة جدًّا. سرق بعض المعلومات من الإنترنت، وكشفه البرنامج الإلكتروني اللي بنستخدمه لكشف السرقات العلمية. كان في أول سنة والإنجلش بتاعه وقتها ماكنتش أد كدا. دا غير الفروق الثقافية.

لم يكن لديَّ علم بتفاصيل مخالفته الأولى.

- وفي المرة التانية أنت بلغت عنه لأنه نقل من بحث قريته قبل كده.

- صحيح.

- لكن، "دون".. أنت الوحيد من بين بقية الأساتذة اللي واخد بالك قوي من الحالات دي.

لم أكن معتادًا أن أسمع من العميدة أي ثناء على اتساع معارفي وإخلاصي لعملي.

- الأولاد دول بيدفعوا فلوس كتير علشان يدرسوا هنا. واحنا بنعتمد على الفلوس دي. طبعًا إحنا مش عايزينهم يسرقوا من الإنترنت. ولكن لازم نعرف في نفس الوقت إنهم محتاجين مساعدة، و"كيفين" باقيله تيرم واحد ويخلص. مش معقول نرجعه بلدهم من غير شهادة بعد تلات سنين ونص. مش منطق.

- طيب لنفرض إنه طالب طب؟ ولنفرض إنك بتتعالجي في مستشفى وكان الدكتور المشرف عليكي نجح في آخر سنة له في الكلية بالغش؟

- "كيفين" مش طالب طب. وما سبقش له إنه غش في أي امتحان، كل الموضوع إن فيه حد ساعده يكتب الواجب بتاعه.

مكتبة ٢٩١

عرفت إن المعيدة كانت تمتدحني بغرض أن تمرر هذا الموقف غير الأخلاقي. ولكن حل مشكلتها واضح. فإذا كانت لا ترغب في مخالفة القواعد، فعليها أن تغير تلك القواعد. ونبهتها إلى ذلك.

أنا لا أجيد تفسير تعبيرات الوجه، وغير معتاد على ذلك التعبير بالذات الذي ارتسم الآن على وجه المعيدة.

- مينفعش يتقال عننا إننا بنسمح بالغش.

- حتى لو كانت دي الحقيقة؟

انتهى اللقاء وأنا محتار وغضبان. أمور مهمة على المحك هنا. ماذا لو لم يتم قبول أبحاثنا لأن سمعتنا الأكاديمية في الحضيض؟ قد يموت بشر بسبب تأخرنا في التوصل إلى علاج لأمراضهم. ماذا لو استعان مختبر الجينات بشخص تحصّل على شهادته بالغش، ثم ارتكب هذا الشخص أخطاء بحثية فادحة؟ بدا لي أن العميدة مهتمة بالمظاهر أكثر من تلك المسائل المصيرية.

سَرَحت بأفكاري حتى وصلت إلى صورة حياتي لو أن هذه العميدة هي زوجتي. يا لها من فكرة مريعة بحق. مشكلتها الأساسية هي الهوس التام بالمظاهر، لذلك قررت أن تكون استمارة الاستبيان التي سأضعها للبحث عن زوجة في غاية الصرامة مع المرأة التي لا يعنيها إلا المظاهر.

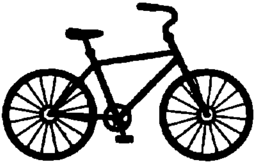

مكتبه ٢٩١

4

فتح "جين" الباب وبيده كأس نبيذ أحمر. ركنت دراجتي في ممر المنزل، وخلعت شنطة الظهر لأخرج ملف مشروع البحث عن زوجة، ومعها نسخة أعددتها لـ"جين" من المسودة. انتهيت منها في ست عشرة صفحة مكتوبة على وجهي كل ورقة.

- على مهلك، يا "دون"، الدنيا مش هتطير. الأول نتعشى في هدوء، وبعدها نشتغل على الاستبيان. وطالما إنك ناوي تقابل زوجة المستقبل، يبقى لازم تتدرب على أصول العشاء الهادي.

كان محقًا بالطبع. "كلاوديا" طاهية ممتازة، ولدى "جين" تشكيلة فاخرة من النبيذ، رتبها حسب المنطقة التي أنتجت كل زجاجة، وحسب تاريخ الإنتاج والشركة المنتجة. أخذني إلى "القبو"، رغم أنه في الحقيقة ليس تحت الأرض بالمعنى المفهوم، حيث عرض عليّ أخر مجموعة اشتراها من النبيذ، واخترنا منها زجاجة. تناولنا العشاء مع "كارل" و"أوجيني"، وتفاديت الدردشة الرتيبة بلعبة تعتمد على الذاكرة مارستها مع "أوجيني". لاحظت "كلاوديا" أن الملف يحمل العنوان (مشروع الزوجة) عندما وضعته فوق السفرة ما إن فرغنا من طبق الحلو. فسألتني:

مكتبه ۲۹۱

- هتتجوز يا "دون"؟

- صحيح.

- من مين؟

هممت بالشرح، ولكن "كلاوديا" أمرت "أوجيني" و"كارل" بالذهاب إلى غرفتيهما، قرار صائب، فليس لديهما الخبرة اللازمة للمساهمة في المشروع.

ناولتُ "كلاوديا" و"جين" الاستبيانات. وصب "جين" النبيذ لنا. شرحت لهما أنني اتبعت أفضل أساليب تصميم الاستبيان، ومنها الأسئلة متعددة الاختيارات، ودرجات مقياس ليكريت[1]، والمقارنة بالعكس، والأسئلة الوهمية والأسئلة الخدَّاعة. وطلبت مني "كلاوديا" أن أعطيها أمثلة على هذه النوعية الأخيرة.

- السؤال 35: هل تأكلين الكلى؟ الإجابة الصحيحة هي الاختيار (ج). وهو سؤال للتعرف على وجود مشكلات من ناحية الطعام. فلو سألت بشكل مباشر عن الأطعمة المفضلة، لكانت الإجابة المعتادة (آكل كل شيء)، وبعد ذلك أكتشف أنها نباتية.

أعرف أن هناك الكثير من الحجج التي تصب في مصلحة الإنسان النباتي. ولكن طالما أنني آكل اللحوم فمن المعقول أن تكون زوجتي مثلي. ومن المنطقي في هذه المرحلة المبكرة أن أتوصل إلى الحل الأمثل ومن ثم أراجع الاستبيان لاحقًا إذا كانت هناك ضرورة لذلك.

---

(1) مقياس ليكرت هو مجموع الإجابات المحصلة حول "فقرات ليكرت". أما "فقرات ليكرت (Likert item) "فتتألف من قسمين: الجذع (stem) وهي جملة تحدد سلوكية ما. و"السلم" وهو مقياس يستعمل لتحديد درجة الموافقة والاختلاف مع جملة الجذع.

مكتبه ٢٩١

كانت "كلاوديا" و"جين" يقرآن. وقالت هي:

- لتحديد موعد، أعتقد أن الاختيار (ب): "مبكر قليلًا".

هذا غير صحيح تمامًا، وأظهر لي أنه حتى "كلاوديا"، الصديقة العزيزة، لن تكون مناسبة كشريكة لحياتي.

- الإجابة الصح هي (ج) "في الموعد تمامًا". لأن اللي بيتعود على إنه يحضر في معاده بدري ده بيأدي إنه بيضيع الوقت تراكمي.

- بس الأفضل نختار "مبكر قليلًا". ممكن تكون بتحاول توصل في المعاد. وبعدين كدا أضمن.

نقطة مهمة. لذلك دوَّنت ملحوظة لأرجع إليها، ولكنني لم أنسَ أن أنبههما إلى أن الاختيارين (د) و(هـ)، "متأخر قليلًا" و"متأخر جدًا"، غير مقبولين من الأساس. فقالت "كلاوديا":

- أفتكر لو وصفت الست نفسها بأنها طبَّاخة ممتازة فهي بكدا بتبالغ جدًا. الأفضل تسألها إذا كانت بتستمتع بالطبخ. وزوِّد إنك أنت كمان بتحب الطبخ.

تلك هي نوعية المساهمة التي كنت أبحث عنها، ذلك التلاعب اللغوي الماكر الذي أفتقر إليه. خطر لي أنه لو كانت التي أسألها مثلي فإنها لن تلاحظ الفارق، ولكن من غير المعقول أن أفترض أن زوجتي المحتملة تشاركني هذه السذاجة اللغوية.

- لا مجوهرات، ولا مكياج؟

قالتها "كلاوديا"، وهي تتوقع على نحو صحيح إجابتين لسؤالين وضعتهما بعد لقائي الأخير مع عميدة الكلية.

- المجوهرات مش مسألة مظاهر وبس. لو كان لازم تسأل فأنصحك تحذف سؤال المجوهرات وتخلي سؤال الـ"ميك أب". ولكن ضف على السؤال إذا كانت بتستخدم الـ"ميك أب" كل يوم ولا لأ.

مكتبة ٢٩١

يبدو أن "جين" كان يسبقنا في القراءة:

- الطول، الوزن، مؤشر كتلة الجسد.. مينفعش تقدر المقاييس دي بنفسك؟

- هو دا الغرض من السؤال. إني أتأكد من معلوماتها الحسابية الأساسية. أنا مش عاوز زوجة جاهلة في الحساب.

- كنت فاكر غرض السؤال تحديد شكل معين لجسم الزوجة.

- فيه سؤال تاني عن اللياقة البدنية.

- أنا قصدي من ناحية الجاذبية الجنسية.

بادرت "كلاوديا" بالإضافة:

- على سبيل التغيير يعني.

ورغم أن "جين" لا يفكر ولا يتحدث إلا في الجنس، فإن ملاحظته هذه المرة وجيهة.

- هضيف سؤال عن الإيدز والهربس.

- لكن دا كتير. دي مبالغة مالهاش لزوم.

بدأت أشرح لها إن الأمراض التي تنتقل عن طريق ممارسة الجنس نقطة ضعف خطيرة، ولكنها قاطعتني.

- قصدي إنك بتبالغ عمومًا.

أنا متفهم ردها. ولكن هدفي هو منع أي احتمال لارتكاب خطأ من النوع الأول، وهنا أقصد تضييع وقتي مع اختيار غير مناسب. ولكن هذا سيؤدي حتمًا إلى زيادة نسبة المخاطرة بالوقوع في خطأ من النوع الثاني، أن أرفض زوجة مناسبة. ولكنها مخاطرة مقبولة، خاصة وأنني أتعامل مع عدد كبير جدًا من السيدات هنا. الآن دور "جين":

- مش بتدخن، ماشي. لكن إيه الإجابة الصحيحة عن سؤال شرب الخمور؟

- صفر.

- لكن أنت بتشرب.

كان يشير إلى كأسي، الذي أعاد ملأه منذ قليل.

شرحت له أنني أتوقع أن يؤدي نجاح هذا المشروع إلى تصحيح بعض الممارسات الخاطئة في حياتي.

استغرقنا في المناقشات على هذا المنوال، وتلقيت منهما آراءً ممتازة. شعرتُ أن الاستبيان الآن صار أقل تمييزًا، ولكنني ما زلت واثقًا من قدرته على استبعاد أغلب، إن لم يكن كل، السيدات من النوعية التي سببت لي الكثير من المتاعب في الماضي. سيدة آيس كريم المشمش، مثلًا، كانت ستفشل في الإجابة عن خمس أسئلة على الأقل.

تقوم خطتي على أن أضع إعلانًا في مواقع التعارف التقليدية، ولكنه يحتوي على رابط يؤدي إلى هذا الاستبيان، علاوة على كتابة البيانات من قبيل الوزن والمهنة والهوايات.

اقترح "جين" و"كلاوديا" أن ألتقي بعضهن وجهًا لوجه حتى أتقن المهارات الاجتماعية. كنت أثق في قيمة الاستبيانات في هذا المجال، لذلك، وبينما كنت أنتظر الردود على إعلانات الإنترنت، طبعت بعض الاستبيانات وعدت إلى عملية التعارف الشخصي التي اعتقدت أنني قد تخليت عنها إلى الأبد.

بدأت بالتسجيل في موقع Table for Eight، الذي تديره شركة متخصصة في التوفيق بين راغبي التعارف. وبعد عملية مطابقة غير سليمة على الإطلاق، تقوم على أساس بيانات غير كافية بشكل واضح، تم تزويد أربعة رجال وأربع نساء، وأنا من بينهم، بتفاصيل وعنوان مطعم في المدينة وقد تم حجز ترابيزات فيها. أخذتُ معي أربعة استبيانات ووصلت هناك الساعة الثامنة مساءً

مكتبة ٢٩١

بالضبط. وجدتُ سيدة واحدة فقط! والثلاث الأخريات تأخرن. كان هذا إثباتًا قويًا لمزايا التعامل على أرض الواقع. تلك السيدات كن ستجبن على سؤالي بالاختيار (ب) "مبكر قليلًا" أو (ج) "في الوقت المحدد"، ولكن سلوكهن الفعلي يثبت خلاف ذلك. قررت أن أختار لهن (د) "في وقت متأخر قليلًا"، على أساس أن حالة واحدة قد لا تكون ممثلة لأدائهن العام. كنت أسمع صوت "كلاوديا" يردد في ذهني: "دون"، كل الناس بتيجي متأخر ساعات.

هناك رجلان يجلسان إلى الترابيزة. تصافحنا. لا أدري لماذا خطرت لي صورة لاعبي الجودو وهم ينحنون لبعضهم في احترام قبيل الدخول في الصراع الشرس.

قيّمت المنافسة. الرجل الذي عرَّف نفسه باسم "كريج" في مثل عمري، ولكنه أزيد وزنًا، ويرتدي قميصًا أبيض ضيِّقًا جدًّا عليه. لديه شارب، ويهمل العناية بأسنانه. أمَّا الثاني، "داني"، فربما كان أصغر مني ببضع سنوات، وفي صحة جيدة على ما يبدو. يرتدي أيضًا قميصًا أبيضَ. ولديه وشم على ذراعيه وشعره الأسود ينم عن شكل من أشكال التجميل الصناعي.

السيدة الوحيدة على الترابيزة اسمها "أوليفيا"، وانقسم انتباهها بصورة طبيعية (ومنطقية) في البداية بين الرجال الثلاثة حولها. قالت لنا إنها متخصصة في الأنثروبولوجي. وخلط "داني" بين هذا التخصص والآثار، ومن ثم تطوع "كريج" بإلقاء نكتة عنصرية حول الأقزام. وكان واضحًا، حتى بالنسبة لي، أن "أوليفيا" لم تتأثر بتلك الردود، واستمتعت بلحظة نادرة شعرتُ فيها أنني لستُ الشخص الأقل كفاءة اجتماعيًا في المكان. التفتت "أوليفيا" إليَّ، وأجبتها عن سؤال عن وظيفتي لكن قطع علينا الكلام وصول رجل رابع، قدَّم نفسه باسم "جيري"، محام، وحضرت سيدتان، "شارون" و"ماريا"، محاسبة وممرضة. كانت ليلة حارة، واختارت "ماريا" فستانًا

مكتبة ٢٩١

يحقق لها ميزتين؛ تفادي الشعور بالحر مع استعراض جنسي علني. بينما ارتدت "شارون" سترة صيفية وبنطلون، كأنها في المكتب. خمَّنتُ أنهما في مثل عمري تقريبًا.

أكملت "أوليفيا" دردشتها معي، بينما انخرط الباقون في أكثر من دردشة، هذا إهدار عجيب للوقت خاصة وأن هناك قرارات مصيرية على المحك. وعملًا بنصيحة "كلاوديا"، كنت قد حفظت الاستبيان عن ظهر قلب. رأت أن طرحي للأسئلة بشكل فج من الورق سيصنع حالة من "الديناميكية الخطأ" وأن عليَّ أن أطرح الأسئلة بذكاء خلال الكلام. ذكرتها أن ذلك الذكاء الاجتماعي ليس من بين نقاط قوتي. فاقترحت عليَّ ألا أسأل عن الأمراض الجنسية، وأن أقدر بنفسي الوزن والطول ومؤشر كتلة الجسد. لذلك قدرت أن مؤشر كتلة جسد "أوليفيا" هو تسعة عشر: نحيفة، ولا يوجد ما يدل على أنها مصابة بفقدان الشهية العصبي. أمَّا "شارون" المحاسبة فمؤشرها ثلاثة وعشرون، و"ماريا" الممرضة ثمانية وعشرون. المؤشر الصحي هو خمسة وعشرون.

وبدلًا من السؤال عن معدل الذكاء، قررت أن أقدر المعدل استنادًا إلى ردود "أوليفيا" على تساؤلاتي حول التأثير التاريخي للاختلافات في قابلية الإصابة بمرض الزهري بين السكان الأصليين في أمريكا الجنوبية. استغرقنا في محادثة رائعة، وشعرت أن الموضوع قد يسمح لي حتى بأن أدس في الكلام السؤال عن الأمراض التي تنتقل عن طريق الاتصال الجنسي. واضح أن ذكاءها أعلى بكثير من الحد الأدنى المطلوب. تطوع "جيري" المحامي ببعض التعليقات التي أعتقد أنه كان يقصد منها أن تكون نكات مضحكة، ولكن لم يضحك أحد. بعدها تركنا نكمل كلامنا.

مكتبة ٢٩١

في تلك اللحظات، وصلت السيدة المتبقية، متأخرة ثماني وعشرين دقيقة. انتهزت فرصة انشغال "أوليفيا"، وسجلت البيانات التي حصلت عليها حتى الآن في ثلاث من الاستمارات الأربع التي أضعها على ركبتي. وجدت أنه لا لزوم لتخصيص الاستمارة الرابعة للسيدة الجديدة، وذلك بعد أن اعترفت بلسانها أنها "تأتي دائمًا متأخرة". ويبدو أن "جيري" المحامي لم يهتم لتلك الملاحظة، رغم أنه يحسب أجره بالساعة، وبالتالي الوقت ذا قيمة كبيرة بالنسبة له. الحقيقة أنه يقدِّر الجنس جدًّا، ودردشته تشبه كلام "جين" معي إلى حد كبير.

مع وصول السيدة المتأخرة، ظهر الجرسون ومعه المنيو. ألقت "أوليفيا" نظرة سريعة على نسختها من المنيو قبل أن تسأل:

- شوربة القرع مكوناتها كلها نباتية؟

لم أسمع إجابة الجرسون. فقد كنت أدون تلك المعلومة المهمة. "نباتية".

ربما لاحظت خيبة أمل على وجهي، فقد أردفت وهي توجه كلامها لي:

- أنا هندوسية.

كنت من البداية أدرك أن "أوليفيا" ربما تكون هندية بسبب هذا الساري وتلك الصفات الجسدية. لم أكن متأكدًا ما إذا كانت كلمة "هندوسية" تستخدم كبيان حقيقي للمعتقد الديني أم كمؤشر على التراث الثقافي. سبق أن تعرضت للتوبيخ في الماضي بسبب عجزي عن تمييز أمر من هذا القبيل.

- بتاكلي آيس كريم؟

بدا السؤال وكأنه تتمة لكلامها عن الأكل النباتي.

- آه طبعًا. طالما مش معمول من البيض آكله عادي.

الموضوع يسوء تدريجيًا.

مكتبة ٢٩١

- بتحبي طعم معين من الآيس كريم؟
- الفستق. بالتأكيد الفستق.

كانت تبتسم، بينما غادرت "ماريا" مع "داني" المائدة لتدخين السجائر. وهكذا أجد أن مهمتي تكاد تكون اكتملت، مع استبعاد ثلاث سيدات، من بينهن السيدة المتأخرة.

وصل طبقي الذي طلبته: مخ ضاني محمر. شققته بالسكين فظهرت مكوناته الداخلية. ربت على يد "شارون" التي كانت مستغرقة في ثرثرة مع "كريج" العنصري، وسألتها:

- بتحبي المخ؟

هكذا صرن أربع مستبعدات. تمت المهمة. عدت لحواري مع "أوليفيا". الجلوس معها ممتع فعلًا، وطلبت مشروبًا إضافيًّا بعد أن غادر الباقين؛ كل رجل مع سيدة. بقينا نتحدث، حتى كنا آخر من في المطعم. وبينما كنت أضع ورق الاستبيان في حقيبتي أعطتني "أوليفيا" بياناتها، وقد دونتها حتى لا أبدو أمامها وقحًا. ومن بعدها ذهب كل منا إلى حال سبيله.

ركبت دراجتي إلى المنزل، أفكر في ما جرى على العشاء. كانت طريقة الاختيار هذه غير فعَّالة البتة، ولكن الاستبيان ذو قيمة كبيرة فعلًا. فمن دون أسئلته، لكنت قد طلبت من "أوليفيا" موعدًا ثانيًا؛ شخصية جذابة ولطيفة. بل ربما التقينا مرة ثالثة ورابعة وخامسة، ثم يأتي يوم، وعندما تكون كل أطباق الحلو في المطعم مجهزة بالبيض، فنغادره لنعبر الشارع إلى محل الآيس كريم، لنكتشف أنهم ليس لديهم آيس كريم فستق خال من البيض. لذلك كان من الأفضل أن أعرف كل هذا من البداية قبل أن أضيع الوقت في علاقة مثل هذه.. لن تنجح.

مكتبة ٢٩١

5

وقفت في مدخل أحد منازل الضواحي الذي ذكرني بمنزل والدي في "شيبارتون". كنت قد عزمت على عدم حضور حفلات توديع عزوبية أخرى، ولكن الاستبيان أتاح لي أن أتحاشى عذاب التفاعل الاجتماعي غير المنظم مع الغرباء.

ومع توافد الضيفات، ناولت كل واحدة منهن نسخة استبيان حتى تعبئها على راحتها، وتعيدها إليَّ سواء خلال الحفل أو عن طريق البريد. في البداية، دعتني المضيّفة لأنضم للجمع في غرفة المعيشة، ولكنني شرحت لها استراتيجيتي، فتركتني وشأني. وبعد ساعتين، عادت إليَّ سيدة في نحو الخامسة والثلاثين من عمرها، مؤشر كتلة الجسم لديها واحد وعشرين، من غرفة المعيشة، ومعها كأس نبيذ فوّار. وفي يدها الأخرى نسخة الاستبيان. ناولتني الكأس، وهي تقول لي بلكنة فرنسية جذّابة:

- قلت لنفسي أكيد أنت عطشان.

لم أكن عطشانًا، ولكنني مسرور لهذه الفرصة لتناول النبيذ. كنت قررت أنني لن أتخلى عن الشرب إلا إذا وجدت شريكة حياة لا تشرب. وبعد بعض التحليل، خلصت إلى أن الإجابة (ج) "باعتدال" إجابة مقبولة لمسألة الشرب، وسجلت ملاحظة كي أغير ذلك في الاستبيان.

مكتبة ٢٩١

- متشكر.

كنت آمل أن تعطيني نسخة الاستبيان وأن أجد فيه - وهو احتمال بعيد - النهاية السعيدة. فقد كانت جذَّابة للغاية، وبادرة النبيذ هذه تنم عن مستوى عالٍ من الاهتمام بي لم أجده لا في الضيفات الأخريات أو حتى صاحبة المكان.

- أنت باحث، صح؟

- صح.

- أنا كمان. مش هتلاقي أكاديميين كتير هنا الليلة.

مع خطورة أن أصل إلى نتائج على أساس الإيماءات وموضوعات الحديث، إلا أن تقييمي للضيفات متسق مع هذه الملاحظة.

- اسمي "فابيان".

مدت يدها لي فصافحتها، وأنا حريص على أن يكون ذلك بالقدر الموصى به من القوة.

- طعم الخمرة دي مش حلو، صح؟

وافقتها الرأي. يبدو أنه نبيذ مخلوط بمشروب غازي، وأجده مقبولًا فقط لنسبة الكحول التي يحتوي عليها.

- إيه رأيك نروح عند البار وناخد مشروب أحسن من دا؟

هززت رأسي بلا. جودة هذا النبيذ مزعجة، ولكن ليس إلى الحد الذي يدفعني إلى ذلك.

تنهدت "فابيان":

- اسمع. أنا شربت كاسين خمرة، وما نمتش مع حد من ست أسابيع، وأنا أُفضّل إني أصبر ستة كمان على إني أكون مع أي حد من اللي هنا. ودلوقتي، إيه رأيك أعزمك على حاجة برا؟

مكتبة ٢٩١

عرض كريم جدًا. ولكن الوقت ما يزال مبكرًا:

- لسه في ضيوف تانيين هيحضروا. ويمكن تلاقي الشخص المناسب اللي بتدوري عليه.

عندها، ناولتني "فابيان" النسخة، وهي تقول:

- طيب، يا ريت تبقى تعرفني بأسامي الفايزين عن قريب.

أكدت لها بأنني سأفعل، بينما كانت تبتعد بخطوات سريعة. انتظرت ثواني، قبل أن أسارع بفحص إجاباتها. كما توقعت، فقد رسبت في العديد من الجوانب. يا لخيبة الأمل.

***

بقي خيار واحد، بعيدًا عن الإنترنت، لم أجربه بعد. اللقاءات السريعة.

المكان هو قاعة مناسبات في أحد الفنادق. وبإصرار مني، أفصح لي المنظم عن وقت البدء الفعلي لتلك اللقاءات الثنائية السريعة، فانتظرت في البار لتجنب أي تفاعل بشري لا هدف منه حتى ذلك الحين. وعندما عدت، أخذت المقعد الأخير المتبقي على ترابيزة طويلة، مقابل سيدة اسمها في الكارت الموضوع هو "فرانسيس"، تبلغ من العمر نحو خمسين، مؤشر كتلة الجسم يقترب من ثمانية وعشرين، وليست ذات جاذبية بالمعنى التقليدي للكلمة.

قرع المنظِّم الجرس، وعندئذٍ بدأت الدقائق الثلاث مع "فرانسيس".

أخرجت نسخة الاستبيان، وكتبت اسمها عليها – لا وقت للحيل الاجتماعية في مثل هذه الظروف.

- أنا لخصت الأسئلة لدواعي الوقت. أعتقد إنها هتستغرق أربعين ثانية وبعدها أكون حددت. بعدها ممكن تختاري موضوع نتكلم فيه في الوقت الباقي.

- وإيه فايدة الموضوع طالما هتكون حددت؟

مكتبه ٢٩١

- الاستبعاد هيكون من احتمال تكوني زوجتي. لكن نقدر في كل الأحوال ندردش في أي موضوع مفيد.

- بس برضه هكون مستبعدة.

- بتدخني؟

- أحيانًا.

بالتالي، نحيت الاستبيان جانبًا.

كنت سعيدًا لأن اختياري لتسلسل الأسئلة وفَّر لي الوقت. كان من الممكن أن نضيع الوقت في الحديث عن نكهات الآيس كريم وعن المكياج، وفي النهاية أجدها مدخنة. تعرف طبعًا أن التدخين يعني الاستبعاد حتمًا.

- خلاص.. مفيش أسئلة تاني. إيه الموضوع اللي تحبي نتكلم فيه؟

من المؤسف أن "فرانسيس" لم تكن مهتمة بالتحدث في أي موضوع بعد أن عرفت أنها مستبعدة. ولم يختلف رد فعل كل واحدة من السيدات بعدها

بالطبع، كانت هذه التفاعلات الشخصية أمرًا ثانويًّا. فاعتمادي الأساسي على الإنترنت، وقد بدأت الاستبيانات تأتيني كاملة بعد نشري له على الشبكة بوقت قصير. وحددت موعدًا لاستعراضها في مكتبي وفي وجود "جين".

- كم رد وصلك؟

- 279.

من الواضح أنه انبهر. أنا لم أخبره أن جودة تلك الردود مختلفة إلى حد كبير، حيث وصلتني كثير من الاستبيانات غير كاملة.

- مفيش صور؟

مكتبة ٢٩١

كثير من السيدات وضعن صورهن، ولكنني ضبطت قاعدة البيانات بحيث تخفيها حتى أفسح أكبر مجال تخزين للبيانات المهمة.

- خلينا نشوف الصور.

هكذا عدت لأعدِّل الإعدادات بحيث تظهر الصور، وطالع "جين" بعضها قبل أن ينقر بالماوس على واحدة من الصور. جودة الصورة فائقة. كان منجذبًا للصورة، ولكن بعد فحص بيانات صاحبتها وجدنا أنها غير مناسبة تمامًا. تناولت الماوس وحذفتها. واعترض "جين".

- ليه.. ليه؟ بتعمل إيه؟

- كتبت إنها بتؤمن بالأبراج و"الهوميوباثي". وبعدين كاتبة مؤشر كتلة الجسم غلط.

- طيب هو كام؟

- ثلاثة وعشرون ونصف.

- جميل. ممكن تلغي الحذف؟

- هي غير مناسبة تمامًا.

- طيب كم واحدة مناسبة؟

- لحد الآن: صفر. الاستبيان عامل فلترة ممتازة.

- أنت مش شايف إنك حاطط معايير مبالغ فيها شوية؟

أوضحت له أنني أجمع البيانات حتى أتوصل إلى أهم قرار في حياتي. وأنه من غير المناسب على الإطلاق أن أتهاون بأي شكل في هذا الصدد.

- لكن التنازل ساعات بيكون مطلوب.

عبارة غير صحيحة تمامًا، وخصوصًا معه هو بالتحديد.

مكتبة ٢٩١

- أنت قدرت تلاقي زوجة مثالية. ذكية للغاية، وجميلة جدًّا، وكمان متسامحة مع علاقاتك مع غيرها.

نبهني "جين" إلى ألا أقوم بتهنئة "كلاوديا" على تسامحها هذا، وطلب مني أن أكرر على مسامعه عدد الاستبيانات المكتملة. وكان الإجمالي الحقيقي أكبر من الرقم الذي قلته له، فأنا لم أحسب الاستبيانات الورقية. ثلاثمائة وأربعة استبيانات.

- ناولني القائمة. أنا هختار كذا واحدة منها علشانك.

- ولا واحدة منهم استوفت المعايير. كلهم عندهم عيوب.

- يا سيدي على سبيل التدريب حتى.

وجهة نظر طبعًا. كنت قد تذكرت في أكثر من مناسبة لقائي مع "أوليفيا" – عالمة الأنثروبولجي الهندية – ففكرت في عواقب العيش مع هندوسية نباتية تحب نكهات الآيس كريم القوية. وذكَّرت نفسي أن عليَّ الانتظار إلى حين ظهور الاختيار المثالي، وهكذا منعت نفسي من معاودة الاتصال بها. بل إنني عدت لأراجع الاستبيان الخاص بـ"فابيان"، الباحثة المحرومة جنسيًّا.

أرسلتُ إلى "جين" القائمة على ملف إكسل عبر الإيميل.

- مش بيشربوا سجاير.

- أوكيه. لكن لازم تطلب تخرج معاهم. على العشاء مثلًا. في مطعم شيك.

واضح أن "جين" يعرفُ أنني غير مقتنع بالفكرة. لأنه أعاد صياغتها ببراعة من خلال بديل يراه مقبولًا بالنسبة لي.

- عندك حفلة أعضاء هيئة التدريس.

- مطعم.

ابتسم "جين"، وكأنه يجد في الابتسامة تعويضًا عن عدم حماسي.

مكتبة ٢٩١

- الموضوع سهل. "إيه رأيك نتعشى سوا الليلة؟".. كرر كدا ورايا.

- إيه رأيك نتعشى سوا الليلة؟

- شفت. الموضوع سهل. كل اللي عليك تقولها تعليقات كويسة على مظهرها. ومتنساش إنك أنت اللي هتحاسب على العشاء. واوعى تتكلم معاها في الجنس.

مشى "جين" نحو الباب، قبل أن يتوقف ويلتفت إليَّ:

- فين الاستبيانات الورقية؟

ناولته الاستبيانات التي جمعتها ليلة لقائي بالسيدات الأربع والرجال الثلاثة، وبعد إصرار منه، ناولته الاستبيانات التي لم تكن كاملة تمامًا، والتي جمعتها من ليلة اللقاءات السريعة.. الآن.. الأمر خرج من يديَّ.

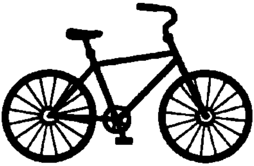

مكتبة ٢٩١

6

بعد نحو ساعتين من مغادرة "جين" مكتبي ومعه الاستبيانات المكتملة لمشروع الزوجة، سمعتُ من يطرق الباب. كنت أعاير مقالات الطلبة بميزان دقيق، وهو نشاط ليس محظورًا، ولكن هذا الشك الذي لديَّ نتيجة أن أحدًا لا يعلم أنني أقوم بذلك. فهو جزء من مشروع غرضه تقليل مجهودات التقييم، من خلال البحث عن عمليات سهلة القياس مثل إدراج جدول المحتويات، أو الغلاف المكتوب بخط اليد في مقابل المطبوع بالكمبيوتر، وعوامل يمكن أن تعتبر مؤشرًا معتبرًا على جودة العمل ككل، بدلًا من خوض تلك المهمة المملة وقراءة العمل بأكمله.

وضعتُ الميزان أسفل مكتبي، والباب ينفتح. نظرت ناحيته لأجد سيدة لا أعرفها واقفة عنده. قدَّرت أن عمرها ثلاثون، ومؤشر كتلة جسدها عشرون.

- بروفيسور "تيلمان"؟

سؤال ساذج بالتأكيد، فاسمي معلق على باب المكتب.

- أيوة.

- بروفيسور "بارو" طلب مني إني أقابلك.

مكتبة ٢٩١

لقد دُهشت من كفاءة "جين"، ونظرت إلى السيدة بعناية أكثر وهي تقترب من مكتبي. لم تكن هناك علامات واضحة على عدم ملاءمتها. ولم أتبين أي ماكياج. قوامها ولون بشرتها يتسقان مع صحتها ولياقتها البدنية. كانت ترتدي نظارة إطارها سميك جدًّا، أعاد لي ذكرياتي السيئة مع سيدة آيس كريم المشمش، وتي شيرت أسود طويل ممزق في عدة أماكن، وحزام أسود له سلاسل معدنية. من حسن الحظ أن سؤال المجوهرات قد حُذف، لأنها كانت ترتدي أقراطًا معدنية كبيرة وقلادة مثيرة حول عنقها.

وعلى الرغم من أنني عادة لا ألقي بالًا للملابس، فإن ملابسها بدت متناقضة مع توقعاتي لما ترتديه أي أكاديمية ذات درجة عالية من الكفاءة أو المهنية في الصيف. فلم يسعني سوى أن أخمِّن أنها تعمل لحسابها الخاص أو أنها في إجازة، وتحررت من قواعد العمل، واختارت ملابسها بشكل عشوائي. هذا تخمين يريحني.

مر وقت ليس بقصير من الصمت، فأدركت أنه لا بد دوري أنا للكلام. نظرت إليها وأنا أتذكر تعليمات "جين".

- إيه رأيك نتعشى سوا الليلة؟

بدت مندهشة من طلبي:

- آه.. طبعًا. إيه رأيك نعمل العشا؟ إيه رأيك في "لو جافروش" والحساب عليك؟

- ممتاز. يبقى أحجز على الساعة 8 بليل.

- بتهزَّر أكيد.

رد غريب. ما الذي يدفعني إلى المزاح مع شخص بالكاد أعرفه؟

- بتكلم جد. الساعة 8 بليل الليلة دي مش مناسب؟

- خليني أفهم أكتر. أنت عازمني على العشا الليلة في "لو جافروش"؟

مكتبة ٢٩١

عندما أضفت هذا الرد إلى سؤالها في البداية عن اسمي، بدأت أعتقد أن هذه المرأة كانت من النوع الذي يسميه "جين" "أداة صدئة". فكرتُ في أن أتخلص من هذه الورطة، أو على الأقل المماطلة حتى أتمكن من التحقق من استمارة استبيانها، ولكنني لم أتوصل إلى أي وسيلة مقبولة اجتماعيًا للقيام بذلك، وهكذا أكدتُ لها فحسب أنها فسَّرتْ عرضي على نحو صحيح. وعندئذٍ، دارت على عقبيها وانصرفت. لحظتها أدركت أنني نسيت أن أسألها عن اسمها.

بادرت بالاتصال بـ"جين". وظهرت الحيرة على صوته في البداية، أعقبتها بهجة. ربما لم يكن يتوقع أن أتعامل مع هذه المرشحة بهذه الدرجة من الكفاءة.

- اسمها "روزي". ودا كل اللي لازم تعرفه عنها حاليًا. عيش حياتك معاها. وافتكر قلت لك إيه عن الجنس.

من سوء حظي أن "جين" رفض تزويدي بمزيد من التفاصيل عنها؛ لأن هناك مشكلة ظهرت. فقد عرفت أن "لو جافروش" ليس لديه ترابيزة متاحة في ذلك التوقيت الذي اتفقنا عليه. حاولت أن أعثر على ملف "روزي" على جهاز الكمبيوتر، ولحظتها أدركت أهمية الصور. فالسيدة التي جاءت إلى مكتبي لا تبدو مثل صورة أي مرشحة يبدأ اسمها بحرف الراء. فلا بد أنها واحدة من الاستمارات الورقية إذن. عرفت أن "جين" غادر مكتبه، وأن موبايله مغلق.

اضطررت إلى اتخاذ إجراء غير مشروع، ولكنه أخلاقي بلا شك. وقد بررته على أساس أنه سيكون من غير الأخلاقي ألا أفي بالتزامي مع "روزي". كنت قد وجدت أن نظام الحجز الإلكتروني في "لو جافروش" عبر الإنترنت يحتوي على قسم لكبار الشخصيات، وهكذا قمت بالحجز باسم العميدة بعد تسجيل الدخول في الموقع باستخدام برنامج قرصنة غير متطور نسبيًا.

***

مكتبة ٢٩١

وصلت إلى المطعم في الساعة 7:59 مساءً. المطعم في فندق كبير. وهكذا ربطت دراجتي بالسلسلة في ممر المدخل، حيث كانت السماء تمطر بشدة في الخارج. ولحسن الحظ أن الجو لم يكن باردًا، وأن سترتي "الجورتكس" تحميني بدرجة ممتازة. حتى إن الـ"تي شيرت" أسفلها لم يبتل.

اقترب مني أحد العاملين. وأشار إلى الدرَّاجة، ولكنني بادرته قبل أن يجد فرصة للاحتجاج:

- اسمي بروفيسور "لورانس" وأنا اتعاملت مع نظام الحجز الخاص بيكم الساعة 5:11 بليل.

يبدو أنه لا يعرف العميدة، أو ربما اعتقد أنني بروفيسور "لورانس" آخر، لأنه اكتفى بإلقاء نظرة على الدفتر الذي يحمله. أعجبتني كفاءتي، فعلى الرغم من أن الساعة قد أصبحت 8:01 مساءً، ولكن "روزي" لم تكن قد حضرت بعد. ربما هي من النوع (ب) الذي يحضر مبكرًا قليلًا، ولذلك فهي بالداخل فعلًا.

ولكن في تلك اللحظة ظهرت مشكلة.

- متأسِّف يا فندم، بس المكان له قواعد خاصة في نوعية اللبس. "دريس كود".

أعرف هذا. كان مكتوبًا بالبنط العريض في الموقع: **"على السادة ارتداء سترة"**.

- مفيش بدلة، مفيش أكل، صح؟

- تقريبًا كده يا فندم.

ماذا يمكنني أن أقول عن هذا النوع من الشروط؟ كنت على استعداد لارتداء سترتي طوال وجودي داخل المطعم. فالمفترض أن المطعم مكيف الهواء على درجة حرارة متوافقة مع هذا الشرط.

مكتبة ٢٩١

هكذا أخذت طريقي نحو داخل المطعم، ولكن المسؤول وقف في طريقي:

- متأسِّف، واضح إن كلامي مكنش واصل لحضرتك. لازم بدلة.

- بس أنا لابس بدلة فعلًا.

- أقصد بدلة "فورمال" أكتر شوية يا فندم.

أشار المسؤول على سترته كمثال. وأنا من جانبي، ودفاعًا عمَّا سأحكيه لك مما جرى بعد ذلك، أستعين بمعجم "أكسفورد" للغة الإنجليزية (المختصر، الطبعة الثانية) في تعريف كلمة jacket: (1) لباس خارجي للنصف العلوي من الجسد.

أنوه أيضًا إلى أن هذه الكلمة مطبوعة في التيكت الذي تم تخييطه في السترة من الداخل وبه تعليمات أخرى، فهي سترة "جورتكس" جديدة نسبيًا ونظيفة تمامًا. ولكن يبدو أن تعريفه هو لكلمة سترة مقتصر على ذلك النوع الرسمي البحت.

- شرف لينا إن حضرتك تأجر بدلة من عندنا يا فندم بنفس الستايل ده.

- عندكم ستوك بِدَل؟ بكل المقاسات؟

لم أضف أن وجود مثل هذا المخزون من السترات دليل كافٍ على فشلهم في تعريف ضيوف المكان بمفهومهم الخاص عن شكل السترة، وأن الكفاءة تكمن في تحسين صياغتهم اللغوية لهذه القاعدة أو التخلي عنها من الأصل. كما لم أذكر له أنهم لا بد سيضيفون تكلفة شراء سترة وتنظيفها على الفواتير التي يدفعها الزبائن مقابل وجباتهم. فهل يعلم زبون المكان أنه يشارك في تحمل تكاليف مخزن السترات هذا؟

- معنديش خلفية عن الموضوع، يا فندم. بس أوعدك هحاول أخلي حضرتك تلاقي بدلة مناسبة.

مكتبة ٢٩١

غني عن القول إنني لم أكن مرتاحًا لفكرة أن أرتدي ملابس يختارها لي غيري، ولا أثق في مستوى نظافتها. وبقيت لبضع دقائق مستغرقًا في لا منطقية هذا الموقف. كنت متوترًا بالفعل، وأنا أستعد لثاني لقاء مع امرأة ربما تكون شريكة حياتي. والآن أجد هذه المؤسسة التي سأدفع لها مقابل أن تزودنا بوجبة طعام – مزود الخدمة الذي من المحتم أن يقوم بأي شيء ممكن حتى أكون مرتاحًا – تضيف المزيد من العوائق التعسفية في طريقي. وسترتي "الجورتكس"، هذه القماشة عالية التقنية والتي حمتني دومًا في المطر والعواصف الثلجية، صارت في موضع مقارنة غير عادلة وغير موضوعية مع سترة صوفية شكلية وحسب. أنا دفعت 1015 دولار ثمنًا لها، شاملة 120 دولار لاختيار درجة اللون الأصفر التي أريدها. أنا من حددت ملامح سترتي.

- بدلتي أحسن من بدلتك في كل حاجة. دي ضد المية، ولونها قوي حتى في الضوء الخفيف، ومريحة في تخزينها.

فتحت سوستة السترة حتى أريه الجيوب الداخلية، وأنا أردف:

- وبتنشف بسرعة، وضد بقع الأكل، وليها غطا عالراس و...

لم يتغير تعبير وجهه الجامد، حتى بعد أن ارتفعت نبرة صوتي.

- متانة فظيعة...

حتى أثبت له كلامي، أمسكت بتيكت السترة التي أحضرها المسؤول لي. من الواضح أنني لم أكن أنوي تمزيقها، ولكن هناك من بادر بجذبي من الخلف، وحاول أن يلقي بي على الأرض. وغريزيًا، دافعت عن نفسي بتسديد لكمة محدودة، حتى أبعده عني من دون أن تقع نظارتي. ولكن مصطلح "لكمة محدودة" ينطبق على لاعب الفنون القتالية الذي يعرف كيف يقع. أما هذا الشخص فلا يعرف، وبالتالي سقط على الأرض بكل قوة.

مكتبة ٢٩١

استدرت لألقي عليه نظرة – وجدته ضخم الجثة، وغاضبًا. ومنعًا لمزيد من العنف، لجأت للجلوس فوقه.

- ابعد عني.. أنا هقتلك.

على هذا الأساس، كان من المنطقي ألا أوافق على طلبه. وفي تلك اللحظة، حضر رجل آخر، وحاول أن يجرني. كنت قلقًا من أن يبدأ الفتوة رقم واحد في تنفيذ وعيده، فلم يكن لي خيار سوى أن أبطل مفعول الفتوة رقم اثنين أيضًا. لم يتأذَ أحد بمعنى الكلمة، ولكنه كان موقفًا اجتماعيًا غريب للغاية، وشعرت أن عقلي ينغلق.

ومن حسن حظي أن حضرت "روزي".

- "روزي"!

بادرها رجل السترة بنبرة دهشة واضحة.

واضح أنه يعرفها. نظرت له ثم لي:

- بروفيسور "تيلمان" – "دون"... إيه اللي بيحصل؟

- اتأخرتي. فيه مشكلة اجتماعية هنا.

سألها رجل السترة:

- تعرفيه؟

- أنت شايف إيه؟ يعني خمنت اسمه؟!

كانت نبرة صوتها متحفزة، وقلت لنفسي إن هذا ليس مناسبًا. مؤكد أن من الأفضل أن نعتذر وننصرف. فمن غير الممكن أن ندخل المطعم ونأكل فيه بعد كل ما جرى.

تجمَّع حولنا بعض الناس، وتوقعت حضور فتوة جديد، ففكرت في طريقة تجعلني أحرر إحدى يديَّ الممسكتين بالفتوتين الآخرين. وفي أثناء محاولتي

مكتبة ٢٩١

ذلك، وجه أحدهما لكمة ولكنها استقرت في عين الآخر، فجن جنونهما بدرجة واضحة. وعلّق رجل السترة على المشهد:

- ده ضرب "جيسون".

ولكن "روزي" سخرت منه:

- معاك حق. مسكين يا "جيسون". دايمًا الضحية.

كانت ترتدي فستانًا أسود من دون رسوم أو زركشة، وحذاءً ثقيلًا أسود له نعل عريض، وكثير من الإكسسوارات الفضية في ذراعيها. شعرها الأحمر مصفف على الطريقة السبايكي، فكأنها نوع جديد من الصبّار. سمعت كلمة "مذهلة" وهي تقال في وصف المرأة، ولكن هذه هي أول مرة أصاب فيها بالذهول عند رؤية امرأة. لم يكن السبب هو الفستان أو الإكسسوارات وحدها، أو أي صفة بعينها في "روزي" نفسها: هو تأثيرها كله على بعضه. لم أكن متأكدًا من أن مظهرها يصنَّف على أنه جميل بالمعنى التقليدي للكلمة، أو حتى مقبول وفق معايير المطعم الذي رفضني لسترتي. "مذهلة" هي الكلمة المناسبة جدًّا لوصفها. ولكن ما فعلته كان أكثر ذهولًا. فقد أخرجت موبايلها من حقيبتها، وصوَّبته نحونا. أضاء الفلاش مرتين. وتحرك رجل السترة ليأخذه من يدها.

- اوعى تفكر مجرد تفكير تاخده من إيدي. أنا هعرف بالصور دي أخليهم ما يشتغلوش في أي مكان تاني. والعنوان... "بروفيسور يلقن فتوات درسًا".

وبينما كانت "روزي" تتكلم، حضر شخص يبدو أنه الشيف. تحدث في أذن رجل السترة، وبكلمتين لـ"روزي"، مفادهما أن ننصرف من دون أي مشكلات أخرى، فطلبت مني "روزي" أن أترك الفتوتين. وقف ثلاثتنا على قدميه منتصبًا، ووفقًا للتقاليد، انحنيت أحييهما، ثم مددت يدي نحو الفتوتين، اللذين

مكتبة ٢٩١

يبدو أنهما فردا أمن. كانا يقومان بما تقتضيه الوظيفة، وخاطرا بإصابة جسدية لأجل لقمة العيش. ويبدو أنهما لم يتوقعا مني هذه الخطوة، ولكن أحدهما ضحك وصافحني، ثم قلده الآخر. نهاية جيدة للموقف، ولكن لم تعد لديَّ رغبة لتناول الطعام في هذا المطعم.

أخذت درَّاجتي ومشينا في الشارع. توقعت أن تكون "روزي" غاضبة مما جرى، ولكنني وجدتها تبتسم. سألتها عن معرفتها برجل السترة.

- كنت شغَّالة هناك.

- اخترتي المطعم لأنك تعرفيه؟

- ممكن تقول كدا. كنت عايزة أغيظهم. لكن مش بالطريقة دي أبدًا.

كانت تضحك.

أخبرتها أن حلها للموقف كان رائعًا.

- أنا شغَّالة في بار. مش مجرد بار... "ماركيز أوف كوينسبرى". فبتعامل طول الوقت مع ناس وقحة.

علّقت بأن قلت لها أنها لو كانت وصلت في الميعاد لكانت استخدمت مهاراتها الاجتماعية، وعندئذٍ لم يكن أي عنف قد وقع.

- كويس إني اتأخرت. جودو دا، صح؟

- آيكيدو.

مع عبورنا الشارع، جعلت الدرَّاجة بيني وبين "روزي":

- أنا شاطر في الكاراتيه بردو، بس الآيكيدو كانت الأنسب في الموقف دا.

- إنك تتعلم الفنون القتالية موضوع صعب جدًّا، ومحتاج وقت، مش كدا؟

- بدأته وأنا عندي سبع سنين.

مكتبة ٢٩١

- كم مرة بتتدرب؟

- تلات مرات في الأسبوع، إلا إذا كنت عيان، أو في الأجازات الرسمية، أو وقت السفر لمؤتمرات.

- وايه سبب حبك ليها؟

أشرت إلى نظارتي.

- آه.. انتقام العباقرة.

- أول مرة ألجأ ليها عشان أدافع عن نفسي من أيام المدرسة. أنا بتدرب على اللياقة البدنية أساسًا.

كانت أعصابي قد ارتاحت بعض الشيء، وأتاحت لي "روزي" أن أدس في الكلام سؤالًا من أسئلة الاستبيان:

- بتتدربي بشكل منتظم؟

ضحكت:

- على حسب معنى كلمة منتظم. أنا أقل واحدة لياقة بدنية في العالم.

- التدريب مهم جدًّا عشان نحافظ على الصحة.

- بابا كان بيقولي كدا. هو مدرب خاص. جابلي عضوية في جيم في عيد ميلادي. في الجيم بتاعه. كان حابب دايمًا نتدرب "ترايثلون" مع بعض.

- لازم تسمعي كلامه.

- بعد إيه، أنا قربت على التلاتين. عديت مرحلة إني أمشي ورا كلام بابا. اسمع، أنا جعانة. تعالى ناكل بيتزا.

لم أكن مستعدًا لفكرة المطعم مرة أخرى الآن. فقلت لها إنني أنوي العودة إلى أجندتي الأصلية لهذا المساء، هي أن أطهو في المنزل.

- عندك أكل يكفي اتنين؟ لسة العشا عليك.

كلامها صحيح، ولكن يومي شهد حتى الآن العديد من الأحداث التي لم تكن في الأجندة الأصلية بالفعل.

- ماتخافش. مش هعلّق على طبخك. أنا نفسي مابعرفش أطبخ.

لم أكن أفكر في أن تنتقد الطهي. ولكن افتقارها إلى مهارات الطهي كان الخطأ الثالث حتى الآن، على أساس استبيان مشروع البحث عن زوجة، بعد حضورها المتأخر وعدم لياقتها البدنية. ومن المؤكد أن هناك خطأ رابعًا: فعملها جرسونة في بار لا يتسق مع مستوى فكري معين أصر عليه. فلا جدوى من الاستمرار معها.

ولكن قبل أن أبدي لها كل هذه الأسباب، وجدتها تستوقف تاكسي من النوع الميني فان، الذي يمكن أن يسع مكانًا لدراجتي.

- أنت ساكن فين؟

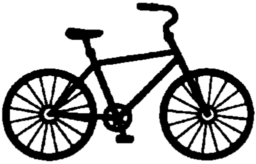

مكتبة ٢٩١

7

"واو، مستر "دقيق ومرتب"... إزَّاي مفيش ولا لوحة أو صورة على الحيطان؟".

لم يزر أحد منزلي منذ أن انتقلت "دافني" من العمارة. كنت أعرف أن عليَّ أن أضع على الترابيزة صحنًا إضافيًا وأدوات مائدة أخرى. ولكنها كانت أمسية عصيبة بالفعل، وتلك النشوة التي بثها الأدرينالين في جسدي سرعان ما تبخرت عقب "معركة السترة"، فيّ أنا على الأقل. أمَّا "روزي"، فيبدو أنها في حالة هوس دائم.

كنا في غرفة المعيشة، الملاصقة للمطبخ.

- لأني بعد فترة مش هاخد بالي منها. المخ البشري متصمم إنه يركز على الاختلافات الموجودة في بيئته - عشان يقدر يتعرف على الكائن اللي بيطارده. فلو أنا علقت لوح أو أي ديكور تاني، هاخد بالي ساعتها منها كذا يوم، وبعد كده المخ بيتجاهلها. ولو كنت عاوز أتفرج على لوح فطبيعي أروح لجاليري. جودة اللوح هناك أعلى، ومجمل اللي هصرفه طول الوقت ده أقل من إني أشتري شوية لوح رخيصة.

الحقيقة إن أخر مرة زرت فيها جاليري فني كانت يوم 10 مايو، من ثلاث سنوات. ولكن من شأن هذه المعلومة أن تضعف حجتي، ولم أجد سببًا يدفعني إلى تعريف "روزي" بها، وبالتالي أُتيح لها المجال للاستفسار عن جوانب أخرى من حياتي الشخصية.

مكتبة ٢٩١

انتقلت "روزي" الآن لاستعراض مجموعة السي دي الخاصة بي. هذا التفتيش يزعجني. كما أن موعد العشاء قد فات بالفعل.

- بتحب تسمع "باخ".

استدلال بديهي، فمجموعة السي دي لا تحتوي إلا على موسيقى هذا الملحن. ولكنه استدلال غير صحيح.

- قررت أركز على "باخ" بعد ما قريت كتاب "دوجلاس هوفشتادر" عن "جودل و"إيشر" و"باخ". ولسوء حظي إني منسجمتش أوي. مفتكرش إن مخي بيقدر بشكل كافي يفك رموز الموسيقى.

- أنت مش بتسمعها علشان تتسلى؟

ذكَّرني سؤالها ببداية كل حوار على أي عشاء جمعني مع "دافني"، فقررت ألا أرد.

- عندك "آي فون"؟

- طبعًا، بس مبشغلش مزيكا منه. أنا بحمَّل "بودكاستس" من على النت.

- عن الجينات؟

- مقاطع علمية في العموم.

توجهت إلى المطبخ للبدء في تحضير العشاء، وتبعتني "روزي"، وتوقفت عند السبورة البيضاء.

- واو.

صار رد فعلها متوقعًا بالنسبة لي. أحاول أن أتخيَّل رد فعلها تجاه موضوعات الـ"دي إن إيه" والتطور.

بدأت أخرج الخضراوات والأعشاب من الثلاجة.

- خليني أساعدك. ممكن أقطعها.

مكتبة ٢٩١

لو وافقتها فإن هذا يعني أن يقوم بالتقطيع شخص عديم الخبرة لا يعرف أي شيء عن وصفة الوجبة. وبعد أن قالت لي من قبل إنها لا تجيد الطهي حتى في أصعب الظروف، تخيَّلت أمامي قطعًا كبيرة من الكرَّات، والأعشاب وقد صارت أعوادًا متناهية الصغر ولا نفع منها.

- مساعدتك مش مطلوبة. أنصحك تشغلي نفسك بكتاب.

لمحتها تتجه إلى رف الكتب، ثم تتأمل محتوياته بسرعة، قبل أن تتركه وتبتعد. ربما هي تستخدم "آي بي إم" وليس "ماك"، مع أن هناك العديد من النقاط المشتركة بينهما.

في الـ"ساوند سيستم" مكان لـ"لآي بود"، وأقوم بتشغيل الـ"بودكاستس" من خلاله أثناء انهماكي في الطهي. وضعت "روزي" فيه موبايلها، وسرعان ما علا صوت الموسيقى في المكان. لم تكن صاخبة، ولكنني متأكد من أنني لو شغلت "بودكاستس" من دون إذن صاحب منزل أزوره، لصرت متهمًا بارتكاب خطأ اجتماعي. متأكد تمامًا، فقد ارتكبت هذا الخطأ بالضبط خلال حفل عشاء منذ أربع سنوات وسبعة وستين يومًا.

استمرت "روزي" في جولتها الاستكشافية، وكأنها حيوان في بيئة جديدة. فتحت الستائر ورفعتها، ونتج عن ذلك تصاعد بعض الغبار. أعتبر نفسي دقيقًا في تنظيفي للمنزل، ولكنني لا أحتاج إلى فتح الستائر، وبالتالي يوجد بالتأكيد غبار عليها. من خلف الستائر أبواب.. فتحتها "روزي".

كنت أشعر بعدم ارتياح إزاء هذا الانتهاك لبيئتي الشخصية. وحاولت التركيز على تحضير الطعام بينما غابت "روزي" عن نظري في البلكون. أسمعها وهي تجر قصاري النباتات، التي أفترض أنها قد ماتت بعد كل تلك السنوات. وضعت مزيج الأعشاب والخضراوات في الحلة الكبيرة، مع الماء والملح ونبيذ الأرز والخل وصوص الميرين الياباني وقشر البرتقال وحبوب الكزبرة.

مكتبة ٢٩١

- أنا مش عارفة أنت بتطبخ إيه، لكن لازم أقول لك إني نباتية بالأساس.
نباتية! ولكن أنا بدأت الطهي بالفعل! بمكونات اشتريتها على أساس أنني سأتناول العشاء وحدي. ثم، ماذا تقصد بكلمة "بالأساس" – هل تعني أن هناك قدرًا من المرونة في هذا الصدد، مثل زميلتي "إيستر"، التي اعترفت لي، بعد استجواب صارم، أنها يمكن أن تأكل اللحم عند الضرورة؟

النباتيون أشخاص مزعجون جدًا. أتذكر نكتة قالها لي "جين":
- إزاي تعرف إن اللي قدامك نباتي؟ كلها عشر دقايق وتلاقيه بيقول لك بنفسه.
لو كانت هذه النكتة حقيقية لما كانت هناك مشكلة. ولكن أنا الآن مع نباتية جاءت منزلي للعشاء، وانتظرت كل هذا الوقت قبل أن تخبرني أنها لا تأكل اللحم. هذا هو ثاني موقف أتعرض له. لقد مرت على كارثة "كوارع الخنزير" ست سنوات الآن، عندما اقترح "جين" عليَّ أن أدعو سيدة إلى العشاء في شقتي. كانت حجته أن مهارتي في الطهي ستجعلني جذابًا أكثر في نظرها، وأنني كذلك أبتعد عن جو المطاعم الذي يصيبني بالتوتر.
- وكمان هتشرب قد ما تحب، وخطوتين وتكون في السرير.

كان اسمها "بيتاني"، ولم أجد في صفحتها على الإنترنت معلومة تقول إنها نباتية. ولأنني كنت أعرف أن مستوى جودة الطبق الذي سأقدمه هو أساس الليلة، فقد استعرت كتاب طهي صدر حديثًا، يقدِّم وصفات لأطباق لكل جزء من أجزاء الحيوان: المخ، اللسان، المصارين، البنكرياس، الكلى، إلخ... إلخ.
وصلت "بيتاني" في موعدها، وبدت لي مسرورة. تناولنا كأس نبيذ، قبل أن تتدهور الأمور. بدأنا بطبق كوارع الخنزير المحمرة، وكان إعداد ذلك الطبق معقدًا، ولم تأكل منه "بيتاني" إلا القليل.

مكتبة ٢٩١

- مبحبش الكوارع قوي.

أمر معقول بعض الشيء: فلكل منا ما يفضله، وربما هي تخشى من الدهون والكوليسترول. ولكنني عندما عرَّفتها الطبق التالي، صارحتني بأنها في الحقيقة نباتية. مش ممكن!

عرضت عليَّ أن نتناول العشاء في مطعم على حسابها، تعويضًا منها على وقتي الذي أهدرته في المطبخ، ولكنني لم أرغب في إهدار الطعام الذي طهوته. وهكذا قررت أن آكل وحدي.. ولم أرَ "بيتاني" مرة أخرى منذ تلك الليلة.

والآن أنا مع "روزي". وسيكون من الخير لو تصرفت على النحو نفسه. عندئذٍ سترحل "روزي" وتعود حياتي إلى طبيعتها. واضح أنها كذبت في الاستمارة، أو أن الخطأ خطأ "جين". أو ربما اختارها لما تتمتع به من مستوى عالٍ من الجاذبية الجنسية، وبالتالي فرض رغباته هو عليَّ أنا.

عادت "روزي" إلى الداخل، وكانت تحدق فيّ، وكأنها تتوقع ردًا مني، وفي النهاية قالت:

- الـ"سي فود" مش مشكلة... طالما مش متصنع.

انتابتني مشاعر متضاربة. أرضاني أن أجد حلًا للمشكلة، ولكن هذا يعني الآن أن "روزي" باقية للعشاء. رحت للحمام، وتبعتني "روزي". التقطت الإستاكوزا من فوق الأرضية، حيث كانت تتجول.

- أوه... "شِت".

قلت لها وأنا أحملها إلى المطبخ:

- مبتحبيش الإستاكوزا؟

- بحبها، ولكن..

مشكلتها واضحة، وبوسعي أن أتعاطف معها.

- أنا معاكي في إن مسألة قتلها حاجة مش لطيفة.

وضعت الإستاكوزا في الفريزر، وشرحت لـ"روزي" أنني بحثت في موضوع قتل الإستاكوزا، ووجدت أن طريقة الفريزر هي الأكثر رحمة. وأمليت عليها عنوان الموقع الإلكتروني الذي أخذت المعلومة منه.

وبينما كانت الإستاكوزا تحتضر، استمرت "روزي" في جولتها. فتحت دولاب المطبخ واندهشت من مستوى التنظيم: هناك رف لكل يوم من أيام الأسبوع، وكذلك أماكن تخزين للتموين الشهري، والكحوليات، والإفطار، وخلف كل ضلفة أعلق ورقة فيها بيانات المخزون.

- عندك مانع تيجي ترتب لي شقتي؟

- عاوزة تجربي نظام الوجبات الموحدة؟

ورغم ما في هذا النظام من مزايا، ولكن أغلب الناس تجده غريبًا.

- لو ترتب لي التلاجة يبقى كويس قوي. أعتقد إنك محتاج دلوقتي مكونات يوم الثلاثاء؟

عرفتها أنه طالما أن اليوم هو الثلاثاء بالفعل، فلا حاجة إلى كلمة "أعتقد".

ناولتني ورقة الطحالب الخضراء الـ"نوري" ورقائق البونيتو المصنوعة من التونة المجففة. وطلبت منها أن تناولني زيت بذور البندق، والملح البحري، ومطحنة الفلفل الأسود، من منطقة التموين.

- خمرة الرز الصيني... موجودة في رف الكحوليات.

- طبعًا.

ناولتني النبيذ، قبل أن تبدأ في تأمل بقية الزجاجات في قسم الكحوليات. أنا معتاد على شراء النبيذ في زجاجات من الحجم الصغير.

- بتطبخ الوجبة دي كل يوم ثلاثاء؟

- تمام.

مكتبة ٢٩١

ذكرت لها المزايا الثمانِي الرئيسية لنظام الوجبات الموحدة.

1) - لا حاجة إلى كتب طهي عديدة.

2) - قائمة تسوق موحدة وكفؤة.

3) - انعدام المخلفات – لن يوجد أي شيء غير ضروري في الثلاجة أو دولاب المطبخ.

4) - اعتياد الجسم على نظام غذائي ثابت ممَّا يساعد على ضبط الوزن.

5) - عدم تضييع الوقت في اختيار وجبة اليوم.

6) - لا أخطاء أو مفاجآت غير سارة.

7) - طعام ممتاز، يفوق مستوى جودة أغلب المطاعم وبسعر أقل (راجع النقطة 3).

8) - الحد الأدنى من الحصيلة المعرفية في مجال الطهي، مما يريح المخ.

- حصيلة معرفية؟

- خطوات الطبخ تقريبًا محفوظة وبديهية مع الوقت –يعني بتحتاج أقل وعي ممكن، وبالتالي أقل جهد للمخ.

- زي إننا نركب عجل.

- تمام.

- يعني ممكن تطبخ الإستاكوزا من غير حتى ما تفكر؟

- الإستاكوزا، وسلطة المانجا والأفوكادو، مع البطارخ المتغطية بكريمة الواسابي، والطحالب والكرَّات الكريسبي. مظبوط. ومشروعي الحالي هو السمَّان المخلي. ودا بيستلزم مني مجهود عقلي.

وجدت "روزي" تضحك. تذكرت أيام المدرسة. تلك الذكريات الجميلة.

بينما كنت أخرج مكونات إضافية لعمل التتبيلة من الثلاجة، مرت "روزي" إلى جواري وهي تحمل زجاجتي نبيذ قبل أن تضعهما في الفريزر إلى جوار الإستاكوزا.

- الظاهر إن العشا اتوقف عن الحركة.

مكتبة ٢٩١

- محتاجين وقت أكتر عشان نتأكد من موته تمامًا. المؤسف إن خناقة البدلة دي بوظتلي الجدول بتاعي في وقت تحضير العشا. ولازم أعيد حساب الوقت تاني.

أدركت لحظتها أنه كان من اللازم أن أضع الإستاكوزا في الفريزر منذ لحظة وصولنا إلى الشقة، ولكن مخي كان محملًا فوق طاقته بالمشكلات التي سببها وجود "روزي". توجهت إلى السبورة وبدأت أكتب تعديل توقيتات إعداد الوجبة. بينما كانت "روزي" تتفحص مكوناتها.

- كنت هتاكل كل دا لوحدك؟

لم أقم بمراجعة نظامي هذا منذ أن رحلت "دافني"، فصرت آكل سلطة الإستاكوزا وحدي كل يوم ثلاثاء، مع حذف النبيذ حتى أضبط إجمالي السعرات الحرارية.

- الكمية تكفي اتنين. ومينفعش أقلل حجم الوصفة. مفيش أي فايدة من إني أشتري حتة من إستاكوزا صاحية.

كنت أقصد المزاح من العبارة الأخيرة، وضحكت "روزي". راودني إحساس مريح جديد غير متوقع، بينما كنت مستمرًا في حساباتي.

- لو كنت في جدولك اليومي العادي، المفروض تكون الساعة كام دلوقتي؟

- 6:38 بليل.

تشير الساعة فوق البوتاجاز إلى 9:09 مساءً. تناولتها "روزي" وبدأت في تعديل الوقت. فهمت ما تريد أن تفعله. الحل المثالي. عندما انتهت ووضعت الساعة في مكانها، كانت 6:38 مساءً. وبالتالي لا أحتاج إلى إعادة الحساب. هنأتها على طريقة تفكيرها.

- اخترعتي منطقة زمنية جديدة. العشا هيكون جاهز الساعة 8:55 بليل.. بتوقيت "روزي".

مكتبة ٢٩١

- أحسن من الحسابات.

منحتني ملاحظتها الفرصة لأطرح عليها سؤالًا من أسئلة الاستبيان:

- الرياضيات صعبة عليكي؟

ضحكت:

- صعبة جدًّا. أصعب حاجة في شغلي.

لو أن حسابات الفواتير البسيطة صعبة عليها، فكيف يمكننا بحق السماء أن نخوض في مناقشات علمية مفيدة؟!

- أنت بتحط الفتَّاحة فين؟

- النهاردة الثلاثاء .. مفيش خمرة مع الأكل.

- ومن قال كدا؟

هناك منطق معين في رد "روزي" فأنا آكل طبقًا واحدًا على العشاء. وهو الخطوة الأخيرة في جدولي اليومي للمساء.

قلت كمن يدلي ببيان سياسي:

- طالما ظبطت الوقت، فكده كل القواعد اللي فاتت دي مش ماشية خلاص. وكده هتكون الخمرة إجباري حسب التوقيت المحلي لـ"روزي".

8

بينما أضع اللمسات الأخيرة على العشاء، أعدت "روزي" المائدة – ليست السفرة في غرفة المعيشة، ولكن ترابيزة في البلكونة، صنعتها من السبورة التي رفعتها عن جدار المطبخ ووضعتها فوق قصريتي زرع أزالت منهما النباتات الميتة. ثم وضعت فوقها ملاءة بيضاء جلبتها من الدولاب، لتكون هي مفرش المائدة. وضعت فوق مائدتها فضيات – كانت هدية زواج من أبويَّ لم أستخدمها من قبل أبدًا – وكأسي نبيذ كنت أزين بهما الشقة كتحفتين. إنها تدمر شقتي حرفيًّا.

لم يخطر ببالي من قبل أن أتناول الطعام في البلكونة. كان مطر المساء قد توقف قبل أن أخرج إلى البلكونة حاملًا الطعام، وقدَّرتُ أن درجة الحرارة اثنتان وعشرون درجة. سألتني "روزي":

– هو لازم ناكل على طول؟

سؤال غريب. خصوصًا أنها كانت تدَّعي الجوع الشديد منذ ساعات.

– لأ. الأكل مش هيبرد؛ لأنه أصلًا بارد. فيه سبب للتأخير؟

كنت حريصًا على أن تكون نبرة كلامي غير لبقة.

– أنوار المدينة. المنظر تحفة.

مكتبة ٢٩١

- للأسف ده منظر معتاد. بعد أول نظرة وتأمل بيبقى منظر عادي ومش جذَّاب. زيه زي أي لوحة فنية.

- بس هو مش معتاد أبدًا. إيه رأيك فيه ساعة الصبح بدري؟ ووقت المطر؟ القعدة هنا لوحدها كفاية.

لم تكن لديَّ أي إجابة يمكن أن ترضيها. كنت قد شاهدت طلة البلكونة عندما اشتريت الشقة. إنها لا تتغير كثيرًا في الظروف المختلفة. وكانت المرَّات الوحيدة التي جلست فيها في البلكونة وقت أن كنت أنتظر موعدًا أو إذا كنت أفكر في مشكلة، وفي هذه الحالة تكون المشاهد الجميلة المحيطة بي عنصر إلهاء.

ملت نحو "روزي" لأملأ كأسها. ابتسمت لي. مؤكد أنها تضع أحمر شفاه.

أنا أحاول صنع وجبة متكررة معتادة، ولكن يتضح لي في كل مرة أن المكونات تصنع اختلافًا من أسبوع لأسبوع. واليوم أجد الوجبة بجودة لم أعتدها. لم أتذوق طعمًا طيبًا لسلطة الإستاكوزا إلى هذا الحد من قبل.

تذكرت القاعدة الأساسية الخاصة بأن تطلب من المرأة أن تتحدث عن نفسها. وكانت "روزي" قد أثارت بالفعل موضوع التعامل مع العملاء صعبي المراس في البار، لذلك سألتها مزيدًا من التفاصيل. وكانت هذه خطوة ممتازة. وجدت لديها العديد من الحكايات الكوميدية، وسجلت في عقلي بعض الأساليب الشخصية تمهيدًا لاستخدامها مستقبلًا.

انتهينا من الإستاكوزا. ثم فتحت "روزي" حقيبتها وأخرجت علبة سجائر! كيف يمكنني أن أصف لك ذلك الإحساس المرعب الذي اعتراني لحظتها؟ فالتدخين غير صحي، ليس على المدخن وحده، بل ويشكل خطرًا على الآخرين من حوله. وهو مؤشر واضح على تبني نهج غير منطقي في الحياة. ولذلك كان هذا سببًا وجيهًا لأجعله أول بند في نماذج الاستبيان.

مكتبة ٢٩١

لا بد أن "روزي" لاحظت صدمتي:

- هدي أعصابك. إحنا في البلكونة.

لن تكون هناك جدوى للجدال معها. فأنا لن أراها مرة أخرى بعد هذه الليلة على كل حال. أشعلتُ الولّاعة، وقرّبتُها من السيجارة التي بين شفتيها الملتمعتين بلون أحمر صناعي.

- على كل حال، عندي ليك سؤال عن الجينات.

ها أنا ذا أعود إلى العالم كما أعرفه:

- اتفضلي.

- واحد حكالي إن ممكن أعرف إذا كان الراجل بيكتفي بمراته بس.. حسب حجم خصيتيه.

من المعتاد أن تهتم الصحافة الشعبية بالجوانب الجنسية لعلم البيولوجيا، لذلك لم يبدُ لي كلامها غبيًّا إلى ذلك الحد الذي ظهر لك، على الرغم مما فيه من فكرة خاطئة. وخطر لي أن يكون في كلامها نوع من الشفرة التي تشجعني على اتخاذ خطوة جنسية، لكنني قررت اللعب على المضمون، والرد على السؤال حرفيًّا.

- سخافة.

يبدو أن ردي أسعد "روزي".

- أنت نجم. أنا كدا كسبت الرهان.

شرعت في توضيح المعلومة الحقيقية، ولاحظت أن مع كل عبارة أقولها يتلاشى تعبير الارتياح من على وجه "روزي" تدريجيًّا. خمّنت أنها كانت تبالغ في تبسيط سؤالها وأن شرحي الأكثر تفصيلًا كان في الواقع نفس ما قيل لها من قبل.

مكتبة ٢٩١

- ممكن يكون في بعض الخصوصية من شخص للتاني، بس القاعدة بتنطبق على الكل. الإنسان العاقل الذكر.. "هومو سابينس" بيكتفي بزوجة واحدة في الأساس، بس مش مخلص ليها من الناحية التكتيكية. لأن الذكور بتستفيد من ميزة قدرتها على تخصيب أكبر عدد ممكن من الإناث، والذكر مبيكونش قادر إلا على إعالة مجموعة واحدة بس من نسله. أما الإناث بتسعى على الجينات الأعلى جودة في أطفالها، ده غير كمان سعيها في ذكر يعولها.

كدت ارتاح لدور المحاضر هذا، لولا أن قاطعتني "روزي".

- طيب والخصيتين؟

- كل ما الخصيتين كانوا أكبر كل ما ينتجوا سائل منوي أكتر. والحيوانات مش بتحتاج إلا الكم الكافي لإناثها. أمَّا النوع البشري هو اللي بيحتاج كم أكبر عشان يستغل الفرص العشوائية ويتغلب على السائل المنوي بتاع الذكور اللي قبله.

- جميل.

- مش حقيقي. السلوك البشري اتطور في بيئات أجدادنا. والعصر الحديث بيقتضي قواعد إضافية.

- طبعًا. ومنها إنك تكون موجود حوالين أطفالك.

- بالظبط. لكن الغريزة أقوى بكتير.

- اشرحلي.

بدأت أشرح لها.

- المقصود بالغريزة هو...

- مفيش داعي للشرح. أنا عشت الموضوع دا. أمي استغلت كل الفرص الجينية في حفل تخرجها في كلية الطب.

- سلوكيات زي دي لا إرادية. الناس مش...

- فهمت.

أشك أنها فهمت. غير المختصين كثيرًا ما يسيئون تفسير نتائج علم نفس التطور. ولكن الحكاية مشوقة. سألتها:

- بتقولي إن والدتك مارست الجنس غير الآمن خارج نطاق علاقتها الأساسية؟

- مع كذا طالب. وقتها كانت على علاقة مع...

عند تلك الكلمة، رفعت "روزي" يديها وصنعت بإصبعي السبابة والوسطى معًا تلك الحركة الغريبة التي أعجبتني.. مرتين.

- والدي. والدي الحقيقي دكتور. لكن أنا معرفش مين هو بالظبط من بين كل الدكاترة اللي كانوا معاها. والموضوع دا مضايقني جدًّا.

كنتُ منبهرًا بحركة يديها وسكت للحظات وأنا أحاول سبر أغوارها. هل هي إشارة إلى السخط بسبب عدم معرفتها لوالدها الحقيقي؟ لو هي كذلك، فهذه أول مرة أراها. ولماذا اختارت التركيز على هذه النقطة من كلامها.. طبعًا.. التركيز! صحت بصوت عالٍ:

- علامة تنصيص.

- نعم؟

- عملتي علامة تنصيص حوالين كلمة "والدي" علشان أنتبه لحقيقة إنك بتستخدمي الكلمة مجازًا. واضح جدًّا.

- طيب.. كويس. وأنا اللي كنت فاكرة إنك بتفكر في مشكلتي الصغيرة في الحياة، وأسمع منك كلام موزون في الموضوع دا.

مكتبة ٢٩١

صححت لها كلامها:

- هي مش مشكلة صغيرة أبدًا!!

صنعت بإصبعي علامة تعجب في الهواء.

- لازم يكون عندك إصرار إنك تعرفي الحقيقة.

صنعت بإصبعي نقطة في الهواء. أجد الأمر ممتعًا بالفعل.

- أمي ماتت. في حادثة عربية لما كان عندي عشر سنين. فمعرفتش مين أبويا الحقيقي – ولا حتى "فيل".

- "فيل"؟

لم أعرف كيف أصنع علامة الاستفهام بإصبعي، فقررت التخلي عن هذه اللعبة مؤقتًا.

وجدتها تصنع العلامة نفسها من جديد، وهي تقول:

- والدي. ممكن يتجنن لو قلتله إني عايزة أعرف الحقيقة.

شربت "روزي" النبيذ المتبقي في كأسها، قبل أن تملأها من جديد. الزجاجة الثانية الآن فارغة. قصتها حزينة، لكنها معتادة. فعلى الرغم من أن والديَّ استمرا في الاتصال الروتيني بي، فإن تقديري أنهما فقدا الاهتمام بي منذ عدة سنوات. حيث انتهت مهمتهما عندما صرت قادرًا على إعالة نفسي. أما وضعها فمختلف إلى حد ما، لوجود زوج الأم. تطوعت بالتفسير الوراثي:

- سلوكه متوقع تمامًا. جيناته غير جيناتك. ذكر الأسد ممكن يامل ولاده من جوازة قديمة لو اتجوز لبوة جديدة.

- شكرًا على المعلومة.

مكتبة ٢٩١

- ممكن أنصحك تقري أكتر في الموضوع لو تحبي. الظاهر إنك أذكى من إنك تكوني مجرد جرسونة.

- مش عارفة أودي كل المدح دا فين.

الظاهر أنني أدير الحوار بطريقة ممتازة، حتى الآن، لذلك سمحت لنفسي بلحظة رضا، وقررت أن تشاركني "روزي" فيها.

- ممتاز. أنا غالبًا بكون خيبة في أي لقاء أول. يمكن بسبب القواعد الكتير للقاء الأول.

- أنت ماشي كويس. ما عدا إن عينيك دايمًا على صدري.

هكذا خاب أملي من جديد. فستان "روزي" جريء للغاية، ولكنني كنت أبذل قصارى جهدي لأبقي عيني على عينيها.

- كنت بتأمل العقد. شكله لافت جدًّا.

بادرت "روزي" بتغطيته بيدها:

- طيب وصفه؟

- فيه صورة لـ"إيزيس" عليها نقش باللاتيني: "سوم أومنيا كواي فورونت سونتيك ايرونتك ايجو". ومعناه: "أنا كل ما كان، وأنا كل ما سيكون".

تمنيت أن أكون قد قرأت العبارة اللاتينية بشكل سليم؛ فالكتابة كانت صغيرة للغاية.

بدت "روزي" مذهولة:

- طيب والعقد اللي كنت لابساه الصبح؟

- على شكل خنجر فيه ثلاثة أحجار كريمة حمرا وأربع أحجار بيضا.

شربت "روزي" ما تبقى من النبيذ. يبدو أنها تفكر في شيء ما. ولكن تبين لي أن ذلك الشيء تافه.

مكتبة ٢٩١

- أجيبلك كمان واحدة؟

تقصد زجاجة نبيذ. استغربت بعض الشيء. لقد شربنا بالفعل الحد الأقصى الموصى به من النبيذ. كما أنها مدخنة، وهو ما يعني أنها لا تهتم بصحتها من الأساس.

- عايزة كحوليات تاني؟

- أكيد.

صوتها غريب. أشعر أنها تقلد صوتي بسخرية نوعًا ما.

ذهبت إلى المطبخ لأختار زجاجة أخرى، وقررت أن أقلل كمية الكحول الخاصة باليوم التالي على سبيل التعويض. ثم لمحت الساعة.. 23:40 . التقطت التليفون وطلبت تاكسي. سوف تصل بشيء من حسن الحظ قبل بدء توقيت تطبيق تعريفة ما بعد منتصف الليل. فتحت زجاجة صغيرة شيراز لنشرب منها بينما ننتظر التاكسي.

تريد "روزي" أن تستكمل كلامها عن والدها "البيولوجي".

- تفتكر إن ممكن يكون فيه نوع من الحافز الجيني؟ أقصد إن احنا بفطرتنا بنبقى عاوزين نعرف مين هو والدنا ووالدتنا؟

- من المهم للأب والأم إنهم يكونوا قادرين يتعرفوا على أولادهم. ودا علشان يكونوا قادرين على حماية الذرية اللي بتحمل جيناتهم. ولازم الصغيرين يبقوا عارفين مكان الأب والأم علشان يتمتعوا بالحماية اللازمة.

- يمكن يكون فيه ارتباط بين كلامي وكلامك.

- صعب لكن ليه لأ. سلوكياتنا بتتأثر جدًّا بغرائزنا.

- عندك حق. الموضوع دا مضايقني جدًّا. شاغل دماغي تمامًا.

- وليه متسأليهمش بنفسك؟

- عايزني أروح أقول لكل واحد إيه؟ أنت بابا؟

مكتبة ٢٩١

خطرت لي فكرة بديهية، وهي بديهية لكوني عالم جينات.

- شعرك لونه غريب. فممكن..

ولكنها ضحكت:

- مش هتلاقي جينات تناسب اللون دا أبدًا.

لا بد أنها لاحظت ارتباكي، فبادرتني:

- دا لون صبغة.

رائع. إذن فهي، وعن عمد، صبغت شعرها بهذا اللون البرّاق غير الطبيعي. لم يخطر ببالي أبدًا أن يشتمل الاستبيان على سؤال عن الشعر المصبوغ. سجلت في ذهني هذه الملحوظة لأعود إليها.

رن جرس الباب. لم أكن قد أخبرتها بموضوع التاكسي، لذلك عرفتها الآن. سارعت بشرب النبيذ، ثم مدت رأسها إلى خارج نطاق البلكونة، وبدا لي أنني لست الوحيد الذي يبدو غريب الأطوار.

- طيب.. بقينا بالليل. حياتك سعيدة.

لم أسمع تحية التوديع هذه من قبل. فرأيت أن الآمن هو أن ألتزم بالتحية التقليدية:

- تصبحي على خير. استمتعت فعلًا الليلة دي.

ولكنني قررت أن أضع لمستي الخاصة كذلك:

- حظ موفق في رحلة البحث عن والدك.

- متشكرة.

بعدها انصرفت.

***

مكتبة ٢٩١

انتابتني مشاعر جيَّاشة، ولكنها ليست من النوع السيئ. حالة حمل حسي زائد. كم شعرت بالسعادة لما وجدت بعض النبيذ المتبقي في الزجاجة. صببته في كأسي وأنا أتصل بـ"جين".

أجابتني "كلاوديا" ولكنني تجنبت عبارات المجاملة:

- عايز أكلم "جين".

أجابتني في ارتباك، ربما كانت ثملة هي الأخرى:

- هو مش في البيت. كنت فاكرة إنه بيتعشى إستاكوزا معاك.

- "جين" بعتلي آخر ست في العالم ممكن تكون متوافقة معايا في أي حاجة. جرسونة. بتيجي متأخر.. نباتية.. مش منظمة.. مهووسة.. متعرفش حاجة عن الصحة.. بتدخن! عندها مشاكل نفسية.. مبتعرفش تطبخ.. فاشلة في الحساب.. صابغة شعرها. لدرجة إني افتكرت إنه عامل فيًّا مقلب.

الظاهر إن "كلاوديا" فسرت كلامي على أنه بوادر اكتئاب:

- "دون"، أنت كويس؟

- طبعًا. هي مسلية جدًّا. لكن مش مناسبة تمامًا لمشروع العثور على زوجة مناسبة.

الغريب أنني عندما تفوهت بهذه الجملة القريبة جدًّا من الحقيقة، شعرت بندم لم أفهمه، ولكنه يتناقض مع المنطق. ولكن "كلاوديا" لم تتركني أستغرق في دراسة هذا التناقض بين العقل والمشاعر.

- أنت عارف الساعة كام؟

لم أكن أرتدي ساعة. وعندئذٍ أدركت خطأي الفظيع. كنت قد استخدمت ساعة المطبخ لأعرف الوقت قبل أن أتصل تليفونيًا لطلب التاكسي. الساعة التي ضبطتها "روزي". الوقت الحقيقي الآن هو 2:30 تقريبًا. كيف فقدت الإحساس

مكتبة ٢٩١

بالزمن إلى هذا الحد؟ كان درسًا قاسيًا في مخاطر العبث بجدولي الزمني. وسوف تدفع "روزي" لسائق التاكسي الأجرة حسب تعريفة ما بعد منتصف الليل.

تركت "كلاوديا" تعود لنومها. ورفعت الصحنين والكأسين من فوق الترابيزة، ودخلت، وقبل أن أدخل ألقيت نظرة أخيرة على المدينة – تلك الطلة التي لم أرها من قبل.. رغم أنها أمامي طوال الوقت.

قررت التخلي عن تدريب الآيكيدو الروتيني قبل النوم.. وأن أترك الترابيزة في مكانها.

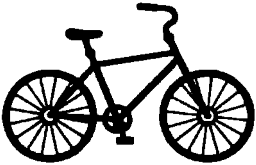

مكتبة ۲۹۱

9

- أنا قلت إنها الكارت الكسبان.

قال لي "جين" عندما أيقظته في اليوم التالي من نومه الذي اختلسه أسفل المكتب من وقت العمل.

مظهر "جين" فظيع، فقلت له أنه يجب أن يتوقف عن السهر - على الرغم من أنني سبق وأن وقعت في الخطأ نفسه. كان من المهم أن يتناول وجبة غداء في الوقت المحدد ليعيد ضبط ساعته البيولوجية. معه وجبة غداء أحضرها من المنزل، فأخذناها وتوجهنا لمنطقة عشبية في ساحة الجامعة. وفي الطريق مررت بالكافيه الياباني وطلبت سلطة الأعشاب البحرية، وشوربة "ميسو" وتفاحة.

كان الطقس لطيفًا. وهذا يعني للأسف أن هناك عددًا من الإناث الجالسات بملابس لا تكاد تُذكر فوق العشب، وهن يتمشين كذلك.. مما يفقد "جين" تركيزه.

"جين" في السادسة والخمسين من عمره، وهي معلومة ليس من المفترض أن أبوح بها لك. من المفترض أن ينخفض هرمون التستوستيرون لديه في هذا السن إلى مستوى يتراجع فيه الدافع الجنسي بدرجة كبيرة. ونظريتي هي أن تركيزه بشكل غير معتاد على الجنس هو نتيجة لهذه العادة العقلية. ولكن الفسيولوجيا البشرية تختلف من شخص لآخر، وقد يكون هو استثناء.

مكسه ٢٩١

وعلى العكس من ذلك، أعتقد أن "جين" يرى أن الدافع الجنسي لديَّ منخفض بشكل غير طبيعي. هذا ليس صحيحًا – لكنني لستُ ماهرًا مثل "جين" في التعبير عن ذلك بطريقة مناسبة اجتماعيًا. ومحاولاتي، في بعض الأحيان، تقليد "جين" تأتي غير ناجحة إلى أبعد الحدود.

وجدنا دكة خاوية، فجلسنا بينما كان "جين" يعقب على جملته السابقة:

- أنا أعرفها.

- من غير استبيان؟

- من غير استبيان.

هذا يفسر التدخين. في الواقع، يفسر كل شيء. لقد لجأ "جين" لعادته غير الفعَّالة في وضع من يعرفهن من النساء في طريقي. ولا بد أن تعبير وجهي قد أظهر له انزعاجي.

- أنت بتضيع وقتك في الاستبيانات. أنت مش فاضل غير إنك تقيس طول حلمة ودانهم.

الجاذبية الجنسية مجال خبرة "جين" بالتأكيد.

- وهل دي ليها أهمية؟

- اللي حلمات ودانهم طويلة بينجذبوا غالبًا لبعض. دا مؤشر أدق من مستوى الذكاء.

معلومة لا تصدق، ولكن الكثير من السلوكيات التي نشأت في بيئات الأسلاف تبدو غير قابلة للتصديق عندما نراها في سياق عالمنا المعاصر. التطور لم يترك شيئًا. ولكن حلمة الأذن! ألا يمكن أن يكون هناك أساس أكثر عقلانية للعلاقة؟ لا عجب إذن في فشل العلاقات الزوجية.

- قضيتوا وقت حلو؟

مكتبة ٢٩١

عرَّفته أنه ليس لهذا السؤال محل من الإعراب هنا، لأن هدفي هو العثور على شريكة حياة، و"روزي" غير مناسبة بكل وضوح. وقد تسبب "جين" في إضاعة الأمسية عليَّ.

- لكن.. قضيتوا وقت حلو؟

أيتوقع إجابة مختلفة للسؤال نفسه؟ لكي أكون منصفًا، لم أمنحه إجابة مناسبة، ولكن السبب وجيه.. فلم يكن لديَّ وقت للتفكير في ذلك المساء، وبالتالي تحديد الإجابة المناسبة. خمَّنتْ أن كلمة "حلو" ستكون إفراطًا في تبسيط تجربة معقدة جدًّا.

عمومًا، لخصت لـ"جين" كل ما جرى. وعندما حكيت له حكاية العشاء في البلكونة، قاطعني:

- لو شفتها تاني..

مفيش أي سبب يخليني أشوفها تاني.

- لو شفتها تاني، ياريت أحسنلك ماتجيبش سيرة مشروعك. خصوصًا إنها ستنطت فيه.

بغض النظر عن افتراضه بأنني سأرى "روزي" ثانيةً غير سليم، ولكن نصيحته منطقية.

عند هذا الحد، تغيَّر مسار الحوار تمامًا، ولم تتح لي فرصة لمعرفة الكيفية التي تعرَّف بها "جين" على "روزي". وكان السبب هو ساندويتش "جين". قضم منه قضمة، قبل أن يصيح في ألم، وينتزع زجاجة المياه من يدي.

- أوه .. شِت. أوه .. شِت. "كلاوديا" حطت شطة في الساندويتش.

مكتبة ٢٩١

من الصعب أن أتخيل أن "كلاوديا" يمكن أن تقع في خطأ من هذا النوع. ولكن الأولوية الآن هي الحد من الألم. وشطة "التشيليز" غير قابلة للذوبان في الماء، وبالتالي فإن شرب الماء لا يكون فعالًا. نصحته بالعثور على بعض الزيت. وهكذا عدنا إلى الكافيه الياباني، ولم نتمكن من التحدث مرة أخرى عن "روزي". ومع ذلك، فقد حصلت على المعلومات الأساسية التي أحتاجها. "جين" اختار امرأة من دون الرجوع إلى الاستبيانات. ورؤيتها مرة أخرى تتناقض تمامًا مع الأساس المنطقي للمشروع.

فكَّرت في الأمر وأنا أستقل الدراجة عائدًا للمنزل. ووجدت أن هناك ثلاثة أسباب تدفعني إلى لقاء "روزي" مجددًا.

يستلزم التصميم التجريبي الجيد استخدام مجموعة مراقبة. وسيكون من المثير للاهتمام أن أقارن "روزي" بالنساء اللاتي يختارهن الاستبيان. والاستبيان فشل في التوصُّل إلى المرأة المناسبة حتى الآن. وبالتالي يمكن أن أتفاعل مع "روزي" في الوقت الحالي.

وبصفتي عالم جينات، وقادرًا على تحليل الـ"دي إن إيه" وتفسيره، يمكنني أن أساعد "روزي" في العثور على والدها الأصلي.

كان السببان "1" و"2" غير صالحين. "روزي" ليست شريكة الحياة المناسبة. ولم يكن هناك أي جدوى من التفاعل مع امرأة غير مناسبة. ولكن السبب "3" يستحق النظر فيه. فاستخدام مهاراتي لمساعدتها في البحث عن معلومة هامة أمر يتماشى مع الغرض من حياتي. ويمكنني القيام بذلك في الوقت المخصص لمشروع الزوجة إلى أن تظهر مرشحة مناسبة.

فمن أجل المُضي قُدمًا، كنت بحاجة إلى إعادة الاتصال بـ"روزي". ولم أكن أريد أن أقول لـ"جين" إنني أنوي رؤيتها مرة أخرى، خصوصًا وقد أخبرته

مكتبة ٢٩١

للتو أن احتمال لقائي بها يساوي صفرًا. ولحسن الحظ، تذكرت اسم البار الذي تعمل به: "ذا ماركيز أوف كوينزبري".

هناك بار واحد فقط بهذا الاسم، في الشارع الخلفي لإحدى الضواحي الداخلية. عدَّلتُ بالفعل الجدول الزمني لهذا اليوم، وألغيت مشوار السوق حتى أعوِّض وقت النوم. قررت شراء عشاء جاهز بدلًا من طهيه. أنا أحيانًا أُتَهم بكوني غير مرن، ولكنني أعتقد أن في هذا دليل على قدرتي على التكيُّفْ مع أغرب الظروف.

وصلت في الساعة 7:04 مساءً، ولكنني وجدت أن البار لا يفتح أبوابه إلا في 9:00 مساءً. أمر لا يُصدق. لا عجب إذن في أن الناس يخطئون في أداء أعمالهم. ألن يكون ممتلئًا بالجراحين والمراقبين الجويين، الذين يسكرون حتى بعد منتصف الليل ومن ثم يعودون إلى العمل في اليوم التالي؟

تناولتُ العشاء في مطعم هندي قريب. وما إن انتهيت من الوليمة التي وجدتها أمامي، حتى سارعت بالعودة إلى البار، وكانت الساعة 9:27. وجدت رجل أمن عند الباب، فهيئت نفسي لشجار مشابه لشجار الأمس. تأملني بعناية، ثم سألني:

- أنت عارف المكان دا عبارة عن إيه؟

أنا على دراية تامة بالبارات، وربما أكثر من معظم الناس. فعندما أسافر للمؤتمرات، فإنني أعثر على بار لطيف قرب فندقي وآكل وأشرب هناك كل مساء. لذلك أجبته بالإيجاب، ودخلت.

سألت نفسي إن كنت قد دخلت المكان الصحيح. السمة الأكثر وضوحًا في "روزي" أنها أنثى، ولكن جميع من كانوا في "ذا ماركيز أوف كوينزبري" دون استثناء من الذكور. كثير منهم يرتدي ملابس غير عادية. استغرقت بضع

مكتبة ٢٩١

دقائق في تفحص المكان. لاحظ رجلان أنني أنظر إليهما، فابتسم أحدهما ابتسامة عريضة وأومأ لي. ابتسمت له. يبدو أنه مكان ودود دافئ بالفعل.

ولكنني هنا لأعثر على "روزي". فمشيت نحو البار. وتبعني الرجلان وجلسا إلى جانبي. كان حليق الذقن يرتدي تي شيرت مقطوع الكمين وواضح عليه أنه يمضي أغلب وقته في الجيم. ويمكن أن يكون أيضًا ممن يتعاطون المنشطات. أمَّا الآخر فله شارب ويرتدى زيًّا جلديًّا وقبَّعة رياضية سوداء. وهو من بدأ الكلام:

- أول مرة تيجي هنا.

- أول مرة أجي هنا.

- ممكن أعزمك على كاس؟

- تعزمني على كاس؟

طلب غريب من شخص لا أعرفه، وخمَّنت أنه يتوقع مني أن أجاريه بطريقة ما.

- أفتكر إن سؤالي واضح. أنت بتحب إيه؟

أخبرته أن النكهة لا تهم، طالما إن المشروب كحولي وحسب. وكنت متوترًا، كعادتي في أي موقف اجتماعي جديد.

في تلك اللحظة، ظهرت "روزي" عند الجانب الآخر من البار، ترتدي ملابس العمل. كم شعرت بالارتياح. أنا في المكان الصحيح وهي في وردية عملها. لوَّحَ لها صاحب القبَّعة. وطلب ثلاثة بيرة "بد وايزر". عندئذٍ لاحظت "روزي" وجودي.

- "دون".

- أهلًا.

- أنتم مع بعض؟

بادرها الرجل:

- ارجعيلنا بعد شوية.

مكتبة ٢٩١

- أعتقد إن "دون" هنا علشاني.

- صح.

سخر منها صاحب القبعة:

- متأسفين إذا كنا هنعطلكم بطلباتنا.

وجدتني أقول لها:

- ممكن تلجأي للـ"دي إن إيه".

نظرت لي في استغراب شديد:

- إيه؟

- علشان تعرفي مين هو والدك. الـ"دي إن إيه" أبسط طريقة.

- طبعًا... يا ريت تبقى تبعتلي الـ"دي إن إيه" بتاعتك يمكن تكون أنت والدي. اسمع... انسَ الموضوع... دردشة وراحت لحالها.

- ممكن تجمعي العينات...

سكتُّ للحظة، لأنني لم أكن متأكدًا من رد فعلها على بقية اقتراحي:

- بشكل سري.

سكتت "روزي". هي على الأقل تفكّر في الاقتراح. أم أنها تفكر في الإبلاغ عني. ولكن ردها جاء أقرب إلى الاحتمال الأول:

- مين اللي هيحلل العينات؟

- أنا عالم جينات.

- يعني لو جبتلك عينات هتحللهالي؟

- طبعًا. كام عينة هنحتاج نحللها؟

- يمكن واحدة. عندي فكرة كويسة. خصوصًا إن الشخص دا صديق للعيلة.

سعل الرجل مفتول العضلات بصوت عالٍ متعمدًا حتى يلفت انتباهها، فسارعت "روزي" تحضر لهما علبتي بيرة من الثلاجة. وضع صاحب القبعة السوداء عشرين دولارًا فوق الكاونتر، ولكن "روزي" أعادتها إليه وطلبت منهما أن ينصرفا.

شاهدت هذا، فقررت أن أجرب حيلة السعال هذه. ولكن "روزي" وقفت لحظات مستغربة وهي تحاول أن تفهم قصدي، قبل أن تحضر لي علبة بيرة أنا الآخر.

- بتحتاج عينة منين علشان تحلل الـ"دي إن إيه"؟

أوضحت لها أننا عادة ما نأخذ العينة من الجدار الداخلي للفم، ولكن هذه الطريقة غير عملية في حالتنا هذه؛ لأننا سنسرق العينة.

- الدم ممتاز، لكن جزء من البشرة أو المخاط أو البول ممكن..

- مش هينفع.

- طيب.. براز.. حيوانات منوية..

- تصدق فكرة كويسة.. أنام مع واحد عنده 60 سنة وصديق للعيلة عشان أعرف إذا كان هو بابا ولا لأ.

صحت في دهشة:

- هو أنتِ ممكن تنامي مع..

أوضحت لي "روزي" أنها كانت تمزح. ولكن، كيف تمزح معي في موضوع جاد مثل هذا؟! كان البار مزدحمًا وبدأت أصوات السعال تتعالى هنا وهناك. يا لها من طريقة فعَّالة لنشر الأمراض. كتبت لي "روزي" رقم تليفون فوق قصاصة ورقية.

- كلمني.

مكسه ٢٩١

10

في صباح اليوم التالي، عدت مرتاحًا إلى روتيني اليومي الذي تعرَّض لاختلال شديد في اليومين الماضيين. كان مشوار السوق في أيام الثلاثاء والخميس والسبت السمة المميزة في جدول مواعيدي، مع التدريبات، وشراء مكونات الوجبة، وجلسة التأمل. وكنت في حاجة ماسة إلى تلك الأخيرة بالذات.

لقد أعطتني امرأة رقم تليفونها وطلبت مني أن أتصل بها. وهو الأمر الذي أخل بعالمي أكثر من واقعة السترة، والوجبة في البلكونة، وحتى إثارة مشروع البحث عن الأب المحتمل. كنت أعرف أن هذا يحدث بانتظام، فالناس في الروايات والأفلام والمسلسلات التلفزيونية يفعلون بالضبط ما فعلته "روزي". ولكن هذا لم يحدث لي أبدًا. لم يحدث لي أبدًا أن قامت امرأة بكل تلقائية ومن دون أي تفكير بكتابة رقم تليفونها على ورقة، قبل أن تناولني إيَّاها وتطلب مني أن أكلمها. وهكذا انضممت مؤقتًا إلى ثقافة ظننت أبوابها مغلقة في وجهي. وعلى الرغم من أنه كان من المنطقي تمامًا أن تزودني "روزي" بوسيلة اتصال بها، فقد راودني شعور غير منطقي عندما اتصلتُ بها، وهو أن "روزي" ندمت على إعطائها الرقم لي.

مكتبة ٢٩١

وصلتُ إلى السوق وبدأت بشراء ما أريد. ولأن مكونات كل يوم ثابتة، فكنت أعرف أي الأكشاك أقصد، والباعة عادةً ما يكونون قد جهزوا ما أريد مسبقًا. وكل ما عليَّ هو أن أدفع النقود. الباعة يعرفونني جيدًا وهم ودودون معي على الدوام.

ومع ذلك، فليس من الممكن أن يجمع عقلي بين التفكير في مسألة عويصة وتنفيذ عملية الشراء، نظرًا لكم العقبات البشرية والثابتة؛ قطع الخضار الملقاة على الأرض، والسيدات العجائز مع عربات التسوق، والباعة المنشغلون بتوضيب الأكشاك، والنساء الآسيويات اللاتي لا ييأسن من مقارنة الأسعار، والبضائع التي يجري تسليمها، والسُيَّاح الذين يلتقطون الصور لبعضهم أمام المنتجات الزراعية. لحسن الحظ أنني عادة ما أكون المتعجِّل الوحيد.

استأنفتُ تحليلي لوضع "روزي" في الطريق إلى المنزل. أدركت أن منطلق أفعالي كان الغريزة أكثر من كونه المنطق. فهناك الكثير من الناس في حاجة للمساعدة، والعديد منهم في مشاكل أكبر من مشاكل "روزي"، والعديد منهم يستحق تنفيذ مشاريع علمية جديرة بهم، وربما تمثِّل استغلالًا أفضل لوقتي مقارنة بالسعي للعثور على أبٍ واحد. وبطبيعة الحال، يجب أن أعطي أولوية لمشروع البحث عن زوجة. وعليَّ أن أستحث "جين" ليختار نساء أكثر ملاءمة من القائمة، أو أن أقوم بتخفيف بعض معايير الاختيار الأقل أهمية، كما فعلت سابقًا مع شرط عدم الشرب.

وكان القرار المنطقي هو الاتصال بـ"روزي" وتوضيح أن "مشروع الأب" ليس فكرة جيدة. وهكذا اتصلت في الساعة 06:43 عند عودتي من الجولة، وتركت رسالة لها لكي تتصل بي مرة أخرى. وعندما أغلقت الخط، وجدتني أتعرق على الرغم من أن الصباح كان ما يزال باردًا. فتمنيت أن لا تكون هذه بوادر حمى.

مكتبة ٢٩١

اتصلت بي "روزي" بينما كنت ألقي محاضرة. أنا في العادة أغلق موبايلي وقت المحاضرة، لكنني كنت حريصًا على أن أنتهي من هذه المشكلة. كنت أعاني من ضغط نفسي بسبب احتمال تورطي في تفاعل يكون من الضروري فيه أن أتراجع عن هذا العرض. غريب أن تتحدث عبر الموبايل أمام قاعة محاضرات ضخمة ممتلئة بالطلاب، خصوصًا وأنني كنت أرتدي ميكروفون المحاضرة.

فكانت المحادثة على الهواء مباشرة.

- هاي.. "روزي".

- "دون".. كنت عايزة أشكرك على اللي بتعمله معايا. مكنتش أعرف إن الموضوع دا شاغلني للدرجة دي. تعرف مكان الكافيتيريا الصغيرة قدام المبنى التجاري.. "باريستاس"؟ تقابلني هناك بكرة الساعة اتنين؟

الآن، وبعد أن قبلت "روزي" عرضي لمساعدتها، فسيكون من غير الأخلاقي، وانتهاكًا للعقد بيننا، أن أنسحب.

- "باريستاس".. بكرة الساعة اتنين.

أكدت الموعد، على الرغم من عجزي عن الوصول إلى جدول مواعيدي في عقلي، بسبب تعرُّضه لحملٍ زائدٍ الآن.

- أنت رائع.

نبرة صوتها تدل على أنها تنهي المكالمة من طرفها. فكان دوري حتى أن أستخدم عبارة مناسبة، وكان البديهي أن أستخدم عبارة مماثلة لعبارتها.. "أنت رائعة". ولكنني وجدت أن لا معنى لها. فهي المستفيدة من "روعتي" لأنني خبير في الجينات. فلماذا لا أقول "مع السلامة" أو "أراكِ قريبًا"، ولكن لا وقت لديَّ للفحص والاختيار الآن. عليَّ ضغط كبير ولا بد وأن أبادر بالرد السريع.

مكتبة ٢٩١

- وأنا كمان معجب بيكي.

فوجئت بصيحات استحسان هادرة من القاعة بأكملها.

سمعت طالبة في الصف الأمامي تصيح بابتسامة عريضة:

- السهل الممتنع.

من حسن الحظ أنني اعتدت أن أكون سببًا في الدهشة والاستغراب، من دون قصد مني طبعًا.

لم أجد نفسي متضايقًا من الفشل في التخلص من "مشروع الأب". خاصة وأن حجم العمل المطلوب مني في اختبار الـ"دي إن إيه" لا يكاد يُذكر.

***

التقينا في اليوم التالي في "باريستاس" الساعة 2:07 بعد الظهر. غني عن القول، إن التأخير كان بسبب "روزي". سوف يكون طلابي في قاعة المحاضرات في تمام الساعة 2:15 في انتظار وصولي. كان في نيتي أن أنصحها فقط بخصوص جمع عينة الـ"دي إن إيه"، ولكن يبدو أنها غير قادرة على فهم ومعالجة التعليمات. انتبهت إلى أنني ربما أقدم لها العديد من الخيارات والكثير من التفاصيل التقنية وبسرعة كبيرة. ولأن أمامي سبع دقائق فقط لمناقشة المشكلة (مما يسمح لي بدقيقة واحدة للعودة السريعة إلى قاعة المحاضرة)، فقد اتفقنا على أن أبسط الحلول هو أن نجمع العينة معًا.

***

وصلنا إلى مقر الدكتور "إيمون هيوز"، الأب المحتمل، بعد ظهر يوم السبت. وكانت "روزي" قد اتصلت به مقدمًا.

بدا "إيمون" أكبر سنًا ممًا كنت أتوقع. خمَّنتُ أنَّه في الستين، مؤشر كتلة الجسم ثلاثة وعشرون. وكانت زوجة "إيمون"، واسمها "بليندا" (خمسة

مكتبة ٢٩١

وخمسون، مؤشر كتلة الجسم ثمانية وعشرون)، قد قدمت لنا القهوة، كما توقعت "روزي". وكان هذا أمرًا مهمًا، لأننا قررنا أن حافة قدح القهوة مصدر مثالي لعينة من اللعاب. جلستُ بجانب "روزي"، متظاهرًا أنني صديقها. جلس "إيمون" و"بليندا" قبالة بعضهما البعض، وكنت أجد صعوبة في أن أبعد عينيَّ عن قدح "إيمون".

من حسن حظي أنني لم أضطر إلى فتح موضوعًا للحديث. كان "إيمون" طبيب قلب، وخضنا في مناقشة مثيرة حول العلامات الوراثية لمرض القلب. انتهى "إيمون" أخيرًا من قهوته وتطوعت "روزي" بنقل القدح إلى المطبخ. وهناك، ستتمكن من مسح حافة القدح وستكون لدينا عينة ممتازة. عندما ناقشنا الخطة، اقترحت عليها أن هذا من شأنه أن يشكل خرقًا للاتفاق الاجتماعي بين البشر، ولكن "روزي" أكدت لي أنها تعرف "إيمون" و"بليندا" باعتبارهما من أصدقاء العائلة، ولأنها الأصغر فسيكون من المقبول أن يسمحا لها بالذهاب إلى المطبخ بالقدح. ومن سوء حظي أن أجد أن فهمي للتقاليد الاجتماعية كان صحيحًا، في هذه المرة على الأقل.

فبينما همَّت "روزي" بأخذ القدح، قالت لها "بليندا":

- سيبيه. أنا هشيله بعدين.

- لأ. أرجوكي.

وتناولتْ القدح.

- طيب.. نساعد بعض.

هكذا التقطت "بليندا" قدحي وقدح "روزي"، وصاحبتها إلى المطبخ. واضح أن "روزي" ستجد صعوبة في أخذ العينة في ظل وجود "بليندا"، ولكنني لم أتمكن من التوصل إلى حيلة تبعد "بليندا" عن المطبخ.

مكتبة ٢٩١

سألني "إيمون":

- قالتلك "روزي" إني كنت بدرس طب مع أمها؟

أومأت بأجل. لو كنت طبيبًا نفسيًّا، لاستطعت أن أستنتج من كلام ولغة جسد "إيمون" ما إذا كان يخفي حقيقة أنه والد "روزي" أم لا. ربما تمكنت من إدارة دفَّة الحوار بطريقة توقعه في الفخ. ومن حسن حظي أننا لا نعتمد على مهاراتي في هذا الصدد. وإذا نجحت "روزي" في أخذ العينة، فعندئذٍ سأكون قادرًا على تقديم إجابة أكثر موثوقية بكثير من إجابة مستمدة من ملاحظة السلوك.

- أقدر أقولك إن والدة "روزي" كانت من النوع الطايش حبتين وهي في شبابها. ذكية جدًّا، وجميلة، والكل كان معجب بيها. ومعروف إن طالبات الطب في الغالب بيتجوزوا زمايلهم في الكلية بعد التخرج. بس هي فاجئتنا كلنا واختارت واحد من برا الكلية. وما سابوش بعض.

من حسن حظه أنني لم أكن أبحث عن أدلة. ولا بد أن تعبيرات وجهي قد وشت عن عدم استيعابي لما قاله. لذلك عقب:

- أشك إن "روزي" ممكن تمشي على نفس طريق أمها في حياتها.

- في أي جزء من حياتها تقصد؟

كان من السلامة أن أسعى إلى الاستيضاح، بدلًا من أن أفترض أنه يقصد أنها ستكون حاملًا من طالب غريب، أو أنها ستموت في نهاية المطاف. هاتان هما الحقيقتان الوحيدتان اللتان أعرفهما عن أم "روزي".

- قصدي إنك ممكن تكون مناسب ليها. خصوصًا وهي بتمر بوقت صعب. مش هزعل لو طلبت مني أخليني في حالي. لكنها بنت كويسة.

مكتبة ٢٩١

الآن، صار القصد من كلامه واضحًا، على الرغم من أن "روزي" كانت بالتأكيد أكبر سنًا بكثير من أن يُقَال عنها "بنت". يعتقد "إيمون" أنني رفيق "روزي". وهو خطأ مفهوم. وسينطوي تصحيحه بالضرورة على كذبة، لذلك قررت أن أسكت. وعندئذٍ، سمعنا صوت تهشم قدح. صاح "إيمون":

- فيه مشكلة؟

أجابته "بليندا" من المطبخ:

- فنجان اتكسر.

لم يكن تهشيم القدح جزءًا من الخطة. افترضت أن "روزي" أسقطته بسبب توتر أعصابها أو في محاولة منها لمنع "بليندا" من غسله. تضايقت من نفسي لأنني لم أحضِّر خطَّة احتياطية. لم أتعامل مع هذا المشروع باعتباره عملًا ميدانيًّا جادًّا. كنت غير احترافي لدرجة محرجة، والآن مسؤوليتي أن أجد حلًّا. سيقوم بالتأكيد على خدعة، وأنا لست ماهرًا في الخداع.

وهكذا.. قررت أن آخذ العينة بالطريقة المشروعة.

- أنت سمعت عن مشروع الـ"جينوجرافيك".

- لأ.

شرحت له أنه من خلال عينة من الـ"دي إن إيه" يصبح بمقدورنا أن نتعرف على شجرة عائلته. وانبهر. عرضت عليه أن يرسل إليَّ عينة "دي إن إيه"، حتى يكون بوسعي أن أساعده في رسم شجرة العائلة.

- وإيه المانع تاخدها دلوقتي، قبل ما أنسى. تنفع عينة دم؟

- عينة الدم مثالية، لكن..

- أنا دكتور. اديني دقيقة.

تركني "إيمون" وانصرف، بينما كنت أسمع حوار "روزي" و"بليندا" في المطبخ.

مكتبة ٢٩١

- عمرك ما شفتي والدك؟

- ممكن تغيري السؤال؟

- أنا شايفة "دون" شخص لطيف.

ممتاز. أؤدي دوري بطريقة جيدة.

- مجرد صديق.

لو أنها تعرف عدد أصدقائي، لأدركت أنها حققت إنجازًا.

- أوه .. طيب.

عادت "روزي" و"بليندا" إلى غرفة المعيشة في نفس لحظة عودة "إيمون" ومعه حقيبة طبية. ظنت "بليندا" أن هناك مشكلة طبية، ولكن "إيمون" أوضح لها موضوع مشروع الـ"جينوجرافيك". كانت "بليندا" ممرضة، وهكذا أخذت عينة الدم منه بطريقة تنم عن خبرة ومهنية.

بينما أناول "روزي" الأنبوب المملوء دمًا لتضعه في حقيبة يدها، لاحظت أن يديها ترتجفان. شَخّصتُ الحالة، إنها قلقة. افترضت أن لهذا صلة بحرصها على مشروعها. لذلك لم أتفاجأ عندما سألتني بعد ثوانٍ فقط من مغادرة منزل عائلة "هيوز" إن كان من الممكن معالجة عينة الـ"دي إن إيه" على الفور. ذلك يتطلب فتح المختبر في مساء يوم سبت، ولكن هذا يعني على الأقل أنني سأنتهي سريعًا من هذا المشروع.

كان المختبر خاليًا. إن الفكرة البالية التي تسود جميع أنحاء الجامعة، والتي تحصر العمل من الإثنين إلى الجمعة فقط، تؤدي إلى عدم الاستفادة المُثلى من مرافق متقدمة باهظة التكاليف. لدى الجامعة أجهزة ومعدات تحاليل قادرة على اختبار العلاقات بين الآباء والأطفال بسرعة كبيرة. وكانت بحوزتنا عينة "دي إن إيه"

مكتبة ٢٩١

مثالية. فمن الممكن استخلاص الـ"دي إن إيه" من مجموعة واسعة من المصادر ولا نحتاج سوى إلى عدد قليل من الخلايا لتحليلها، ولكن العمل التحضيري يستغرق وقتًا علاوة على أنه معقد. لذلك أجد عينة الدم أسهل العينات.

الجهاز الجديد في غرفة صغيرة كانت في السابق غرفة إعداد الشاي وبها حوض وثلاجة. تمنيت لحظة لو أن مظهر الغرفة مثير للإعجاب – واستغربت من أن تخطر تلك الفكرة الأنانية على بالي. فتحت الثلاجة قبل أن أفتح علبة بيرة. سعلت "روزي" بصوت عالٍ، فانتبهت إلى الرمز، وناولتها علبة.

حاولتُ أن أشرح لـ"روزي" الطريقة وأنا أجهِّز الأدوات، ولكن يبدو أنها غير قادرة على الصمت، حتى وهي تأخذ عينتها من داخل فمها.

– مش مصدقة إن الموضوع بالسهولة دي. والسرعة دي. كنت فاكرة إن عندي معلومات عنها. كان بيجيبلي مجلات وكتب وأنا صغيرة.

– الآلة دي متطورة أكتر من إنها تقوم بالمهمة البسيطة دي.

– في يوم جابلي شطرنج. "فيل" متعود يجيب لي إكسسوارات كتيرة – علب للمجوهرات وحاجات زي دي. وكنت بستغرب دا منه، خصوصًا إنه مدرب شخصي.

– بتلعبي شطرنج؟

– مش أد كدا. ومش دا الموضوع. الفكرة إنه كان بيحترم عقلي. هو و"بليندا" معندهمش أولاد. وكنت بحس دايمًا إنه جنبي. وكان ممكن يكون أفضل صديق لماما. ولكن عمري ما خطر على بالي إنه يكون والدي الحقيقي.

– هو بالفعل مش والدك.

كانت النتيجة على شاشة الكمبيوتر. تمت المهمة. وبدأت خطة الانسحاب.

– واو.. مفكرتش يوم تشتغل استشاري علاقات إنسانية؟

مكتبة ٢٩١

- لأ. أنا فكرت في عدد من الوظائف فعلًا، بس كلها في المجال العلمي. مهاراتي في العلاقات مع الأشخاص ضعيفة.

ضحكت "روزي" بصوت عالٍ:

- لكن أنت خلاص قربت تخلص كورس مكثف في استشارات العلاقات البشرية.

اتضح لي أن "روزي" تمزح، خصوصًا وأن كل ما تعرفه عن استشارات العلاقات هو أنه ينحصر في شرب الكثير والكثير من الخمر. هكذا ذهبنا إلى "جيمي واتسون" في شارع "ليجون"، على مسافة قصيرة سيرًا على الأقدام، وكالعادة، وحتى في عطلة نهاية الأسبوع، كان ممتلئًا بالأكاديميين. جلسنا عند البار، وفوجئت أن أجد أن "روزي"، التي تحترف مهنة الخدمة، لا تعرف الكثير عن أنواع الخمور والنبيذ. قبل بضع سنوات اقترح "جين" أن النبيذ يصلح أن يكون موضوع حوار مثالي آمن، وقمت أنا بالبحث في هذا الموضوع. كما كنت على دراية بأنواع النبيذ التي تُقدَّم في هذا البار. نحن نشرب كثيرًا جدًّا بالفعل.

اضطرت "روزي" للخروج إلى الشارع لبضع دقائق بسبب إدمانها النيكوتين. وكان التوقيت ممتازًا، حيث مر عليَّ في تلك اللحظة رجل وامرأة؛ كان الرجل "جين" ولكن المرأة لم تكن "كلاوديا"، ولكنني عرفتها. كانت "أوليفيا"، تلك النباتية الهندية التي جلست معها في ذلك الاجتماع. لم ينتبها إليَّ، ومضيا بسرعة أكبر من أي فرصة لي كي ألفت انتباههما.

لا بد أن ارتباكي عند رؤيتهما قد أسهم في اتخاذ قراري التالي. جاءني جرسون، وقال لي:

- فيه ترابيزة لاتنين متاحة دلوقتي. هتطلبوا العشا هنا؟

مكتبة ٢٩١

أومأت بأجل. سيكون عليَّ أن أضع مشتريات السوق اليوم في الفريزر حتى السبت القادم، بما يعنيه هذا من فقدان العناصر المغذية في المكونات. ها أنا أجد أن الغريزة قد حلت من جديد محل المنطق.

ظهر رد فعل إيجابي على "روزي" عندما عادت لتجد أن هناك ترابيزة قد صارت لنا. لا شك أنها جائعة. كان من المطمئن أن أعرف أنني لم أرتكب خطأً، وهو أمر أقع فيه كثيرًا في أي تفاعل مع الجنس الآخر.

كان الطعام ممتازًا. تناولنا المحار المقشَّر الطازج (الطبيعي)، وتونة ساشيمي (اختارتها "روزي"، وربما لا تكون طبيعية)، والباذنجان وجبن الموتزاريلا (اختيار "روزي")، والخبز الحلو المحشو بلحم بقري (طلبي)، والجبن (طلب مشترك)، وطبق واحد من القشطة المصنوعة من فاكهة زهرة العاطفة "Passion Fruit" (تقاسمناه). وطلبت زجاجة نبيذ "مارسانيه". فكانت وجبة ممتازة.

قضت "روزي" أغلب وقت الوجبة في محاولة لشرح سبب رغبتها في التعرف على والدها البيولوجي. أنا لم أجد سببًا وجيهًا بصراحة. في الماضي، كانت تلك المعرفة مفيدة لتحديد مخاطر الإصابة بأمراض تنتقل بالوراثة، ولكن اليوم صار من الممكن فحص عينة "روزي" بشكل مباشر. أمَّا من الناحية العملية، فيبدو أن زوج أمها "فيل" قد مارس دور الأب عن حق، على الرغم من أن لدى "روزي" العديد من الشكاوى من أدائه. قالت إنه مهتم بنفسه؛ وغير متسق في تصرفاته معها؛ ومزاجه متقلِّب. كما أنه يرفض المشروبات الكحولية بشدة. فكَّرتُ في أن هذا موقف دفاعي تمامًا، ولكنه كان سببًا في حدوث خلافات بينهما.

بدا لي أن دافع "روزي" عاطفي، في حين أنني ليس بمقدوري أن أفهم علم النفس، ولكن من الواضح أن سعيها هذا مهم جدًّا في طريقها لتحقيق السعادة.

مكتبة ٢٩١

بعد أن انتهت "روزي" من طبق الحلو، تركت الترابيزة متوجهة للحمَّام. منحني هذا الوقت للتفكير، فأدركت أنني بصدد إتمام عشاء لم يشهد أي مواقف محرجة، بل على العكس كان ممتعًا للغاية، بصحبة امرأة، وهو إنجاز لو تعلم عظيم. وأنا لا أكاد أصبر على تعريف "جين" و"كلاوديا" بذلك.

توصلت إلى أن عدم وقوع مواقف محرجة يعود إلى ثلاثة عوامل.

كنت في مطعم أعرفه. لم يخطر ببالي أن أصطحب امرأة – أو حتى أي أحد – إلى "جيمي واتسون"، خصوصًا وأنا لم أقصده إلا لشراء النبيذ.

كما أن موعدي مع "روزي" ليس موعدًا غراميًّا. فأنا رفضتها، بشكل مفهوم، ولن تكون شريكة حياتي، وما يجمعنا هو مشروع مشترك. فهو أقرب إلى اجتماع عمل.

وكذلك أنا شبه سكران – أي أن أعصابي مسترخية. ونتيجة لذلك، ربما لا أنتبه إلى وقوع أي أخطاء اجتماعية من الأصل.

مع نهاية الوجبة، طلبت كأسي "سامبوكا". وسألتها:

– تحبي نختبر عينة مين دلوقتي؟

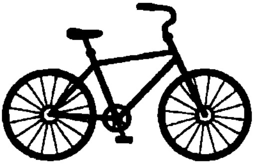

مكتبة ٢٩١

11

بخلاف "إيمون هيوز"، لا تعرف "روزي" سوى عائلتين أخرتين لمن كانوا أصدقاءً لأمها في كلية الطب. خطر لي أنه من المستبعد أن يبقى كل من أقام علاقة جنسية عابرة مع أمها على اتصال بها، وخصوصًا في وجود "فيل". ولكنَّ هناك افتراضًا يتمثل في أن أباها الحقيقي سيعمل بشكل أو بآخر على التأكد من أن من تحمل جيناته تتلقى تربية ورعاية جيدة. وكان هذا الافتراض من نتاج أفكار "روزي".

هكذا كان المرشح الأول هو الدكتور "بيتر إنتيكوت"، الذي يعيش في الحي نفسه. أمَّا المرشح الثاني، "ألان ماكبي"، فقد مات بسرطان البروتستاتا، وهي معلومة أسعدت "روزي"، فهي على الأقل لن ترث عنه هذا المرض، الذي لا يصيب سوى الرجال. كان اختصاصي أورام، ولكنه لم يكتشف ذلك السرطان الذي كان بداخله؛ سيناريو مألوف ومتكرر. فالإنسان لا يرى نفسه وما بداخلها حتى ولو كان بارعًا في اكتشاف ما في الآخرين من عيوب.

عرفنا لحسن الحظ أن لديه ابنة، وكانت "روزي" على صلة بها عندما كانت أصغر سنًا. ورتبت "روزي" لقاءً مع "ناتالي" في غضون ثلاثة أيام، والسبب الظاهري هو رغبتها في رؤية مولود "ناتالي".

مكتبة ٢٩١

عدت إلى جدولي الزمني العادي، ولكن بالي ظل منشغلًا بين حين وآخر بمشروع البحث عن الأب. وتجهزت للحصول على عينة الـ"دي إن إيه" – فأنا لم أكن أريد تكرار مشكلة الفنجان المكسور. وعلاوة على ذلك، فقد وقعت مشادة أخرى بيني وبين العميدة، وكانت نتيجة من نتائج واقعة السمك.

من بين مهامي.. تدريس علم الوراثة لطلاب الطب. وفي الصف الأول من الفصل الدراسي السابق، رفع طالب، لم يعرِّفني بنفسه، يده بعد أن عرضت الشريحة الأولى. كانت الشريحة ملخصًا بيانيًا رائعًا وجميلًا عن التطور؛ بدءًا من الكائنات وحيدة الخلية إلى المجموعة المتنوعة الرائعة للكائنات الحية في يومنا هذا. وليس بوسع أحد أن يقدِّم قصة جميلة على هذا النحو سوى زملائي في قسم الفيزياء. ولمواقف مثل هذا أظل دومًا غير مستوعب للأسباب التي تجعل أحدهم مهتمًا بمعرفة نتيجة مباراة كرة قدم أو أن يدفع نصف عمره ليعرف وزن ممثلة.

كان هذا الطالب من ذلك الصنف من البشر.

- بروفيسور "تيلمان"، أنت استخدمت كلمة تطور.
- صحيح.
- أعتقد إنه من الأفضل إنك توضح إن التطور مجرد نظرية.

لم تكن هذه أول مرة أسمع فيها سؤالًا – تقريريًا – من هذا النوع. وأعرف من خبرتي أنني غير قادر على أن أحسِّن آراء هذا الطالب، والتي هي بالتأكيد قائمة على خلفية دينية متشددة. كل ما بوسعي هو أن أتأكد من أن بقية زملائه من أطبَّاء المستقبل لن يأخذوا كلامه على محمل الجد كأنه اليقين.

مكتبة ٢٩١

- صحيح. ولكن استخدامك لكلمة (مجرد) مضلل. التطور نظرية مدعومة بأدلة كتير ومتنوعة. زيها زي نظرية الجراثيم في الأمراض. ويفترض إنك كطبيب لازم تكون مرجعيتك هي العلم. إلاّ إذاً كنت ناوي تكون معالج روحاني. وفي الحالة دي أحب أقولك إنك في المحاضرة الغلط.

سمعت بعض ضحكات. غير أن صاحبنا المعالج الروحاني اعترض:

- أنا مش بتكلم عن عقيدة هنا. أنا بتكلم من منطلق علوم الخلق.

تعالت آهات اعتراضية داخل الغرفة. هناك بلا شك عدد من الطلاب المنتمين إلى ثقافات لا تتسامح إلى حد كبير مع أي نقد للدين. مثل ثقافتنا. وكنت قد منعت قبل ذلك من التحدث في الدين بعد واقعة مماثلة. ولكننا هنا في مناقشة علمية. وكان بمقدوري أن أستمر في هذا الجدال، ولكن خبرتي تمنعني من أن يأخذني طالب إلى حيث يريد هو. كما أنني أضع محاضراتي بحيث لا تتجاوز الخمسين دقيقة بأي حال من الأحوال.

- التطور نظرية. ومفيش نظرية تانية زيها عن أصل الحياة العلماء تقبلوها، ومفيش نظرية غيرها ليها منفعة في مجال الطب. وبالتالي إحنا بنتبناها في المادة دي.

رأيتُ أنني أحسنت التعامل مع الموقف، ولكن ما ضايقني هو عدم وجود وقت كافٍ لمناقشة فكرة الخلق المتخفية في ثوب علمي فضفاض.

بعد مرور عدة أسابيع، وبينما أتناول طعامي في نادي الجامعة، وجدتُ وسيلة لتوضيح النقطة بطريقة موجزة للغاية. فبينما كنت أتجه نحو البار، لمحتُ أحد أعضاء هيئة التدريس منهمكًا في تناول سمكة، وكان رأسها ما يزال

مكتبة ٢٩١

في مكانه. وبعد حوار قصير وغريب، حصلت منه على الرأس والهيكل العظمي، وقمت بلفهما ووضعهما في حقيبة الظهر.

وبعد أربعة أيام، حان موعد المحاضرة التالية. بحثت عن "المعالج الروحاني"، وطرحت عليه سؤالًا استهلاليًا:

- هل بتؤمن إن السمكة اتخلقت بشكلها المعروف دلوقتي على ايد صانع مصمم عاقل؟

اندهش من السؤال، ربما لأن آخر حوار بيننا كان منذ سبعة أسابيع مضت. ولكنه أومأ برأسه بأجل.

هكذا أخرجت اللفافة وفتحتها. كانت رائحتها عطنة للغاية، ولكن طلاب الطب يجب أن يكونوا مؤهلين للتعامل مع مثل هذه الأعضاء العفنة بغية التعلم. أشرت إلى الرأس:

- لاحظوا إن مفيش سيمترية بين العينين.

الحقيقة أن العينين قد تحللتا بالفعل بعد كل هذا الوقت، ولكن محجرا العينين ما يزالان واضحين.

- وده لإن سمكة موسى اتطورت عن السمكة التقليدية اللي ليها عين في كل جانب من جوانب راسها. فيه عين اتنقلت ببطء من مكانها، بس بالقدر الكافي اللي يتيحلها تقوم بوظيفتها. ده بيحصل في حالات التطور. بس الأكيد هو إن الصانع المصمم القدير مش هيخلق سمكة فيها العيب ده.

ناولت "المعالج الروحاني" السمكة لأتيح له أن يفحصها، بينما عدت للمحاضرة. أمَّا هو، فانتظر حتى بداية العام الدراسي الجديد قبل أن يتقدم بشكواه.

مكتبة ٢٩١

خلال نقاشي مع العميدة، لَمحت إلى أنني حاولتُ إهانة "المعالج الروحاني"، رغم أن قصدي كان المجادلة العلمية وحسب. وبما أنه استخدم مصطلح "علم الخلق" ولم يذكر الدين، فقد تحججت بأنني لم أقم بإهانة دينه بأي شكل. بل كنت أدحض نظريته بنظرية أخرى فحسب. ورحبت بأن يقدم لي حجة أخرى تدحض حجتي خلال المحاضرة القادمة.

- "دون".. كالمعتاد.. أنت من الناحية الفنية مخالفتش أي قواعد. ولكن.. طيب أقولك إيه؟ إذا حد قاللي إن فيه أستاذ دخل المحاضرة ومعاه سمكة معفنة وإداها لطالب لمجرد إنه اتكلم في عقيدة دينية، فأنا على طول هعرف إن الأستاذ دا هو أنت.. أنت وبس. فاهم قصدي؟

- تقصدي إني الشخص الوحيد في هيئة التدريس الأقرب دايمًا للتصرف بطريقة غير تقليدية. وإنك بتطلبي مني أتصرف بطريقة تقليدية أكتر. وواضح إن دا طلب مش منطقي عشان تطلبيه من عالم.

- كل قصدي هو إنك ما تضايقش حد.

- إنك تضايق وتقدم شكوى بسبب جدال علمي على نظرية تصرف مش علمي.

هكذا انتهى الحوار، كالمعتاد، والعميدة غير راضية عني، رُغم أنني لم أخالف أي قواعد، ورُغم أنني من تلقى التذكير بأن عليَّ أن أبذل جهدًا أكبر في "التأقلم". ولمَّا غادرت مكتبها، أوقفتني "ريجينا"، مساعدتها الشخصية.

- أعتقد أن اسمك مش متسجل عندي في حفلة أعضاء هيئة التدريس، يا بروفيسور "تيلمان". أنت الأستاذ الوحيد اللي لسه مشتراش تذاكر الحفلة.

شعرتُ وأنا في طريقي للمنزل بضيق في صدري، وأدركت أنها استجابة جسدية لكلام العميدة. كنت أعرف أنني طالما أجد صعوبة في التأقلم داخل

مكتبة ٢٩١

القسم العلمي في الجامعة، فإن هذا يعني أنني لا يمكن أن أتأقلم في أي مكان آخر خارج الجامعة.

***

تعيش "ناتالي ماكفي"، ابنة الراحل الدكتور "ألان ماكفي"، الأب المحتمل لـ"روزي"، على بعد 18 كيلومتر من المدينة، وهي مسافة بسيطة بالدراجة، ولكن "روزي" اقترحت أن نذهب بالسيَّارة. وأدهشني أن أكتشف أنها تقود سيارة "بورش" حمراء من الطراز الـ"كونفيرتبل".

- عربية "فيل".

- والدك؟

صنعت بيديٌ علامة التنصيص في الهواء.. بطريقتها "الكول".

- أيوة.. هو مسافر تايلاند.

- كنت فاكر إنه مش بيحبك. سابلك العربية؟

- تصرف طبيعي منه. مفيش حب، ولكن دا تصرف عادي.

هذه السيَّارة البورش سيَّارة مثالية لأي شخص يريد أن يعير شيئًا لشخص لا يحبه. عمرها سبعة عشر عامًا (أي أنها تستخدم تكنولوجيا العادم القديمة)، وتستهلك الكثير من الوقود، وداخلها ضيق، ويحدث الهواء ضجيجًا بداخلها، والتكييف عطلان. بعد هذه المعلومات التي سمعتها من "روزي"، تأكدتُ من أنه أعارها سيارة غالية مع احتمالات عالية لأن تتعطل.

عندما وصلنا إلى منزل "ناتالي"، اكتشفت أنني أمضيت الرحلة كلها وأنا أستمع لشرحها لعيوب السيارة. تحاشيت مقاطعتها، ولكنني لم أعرِّف "روزي" بالطريقة التي سنحصل بها على عينة الـ"دي إن إيه".

مكتبة ٢٩١

- مهمتك هي إنك تشغليها في الحوار وأنا هاخد العينة.

هكذا يستغل كل منا أفضل مهارة يتمتع بها.

لكن سرعان ما اتضح لي أن خطتي البديلة ستكون ضرورية. فلم تكن "ناتالي" ترغب في الشرب، فقد توقفت عن شرب الكحوليات بسبب إرضاعها لمولودها، كما أن الوقت متأخر على تناول القهوة. اختياراتها معقولة ومسؤولة، ولكنها لن تتيح لنا أخذ عينة من كوب أو فنجان.

لذلك لجأت إلى الخطة البديلة.

- ممكن أشوف البيبي؟

- هو نايم. أرجو تلتزم الهدوء وأنت بتشوفه.

نهضت، ونهضت هي.

- عرفيني طريق أوضته فين، من فضلك.

- أنا هاجي معاك.

كلما زاد إصراري على أن أرى المولود وحدي، زاد رفضها لذلك. فذهبنا إلى غرفته، وكما توقعت هي، كان نائمًا. ضايقني هذا جدًا، لأنني كنت قد أعددتُ مجموعة خطط لأخذ عينة الـ"دي إن إيه" بطريقة غير محسوسة من المولود، الذي كان بالطبع من نسل "ألان ماكفي". ومن المؤسف أنني لم أتوقع أن تبالغ الأم في حماية مولودها إلى هذا الحد. ففي كل مرة أتحجج فيها لمغادرة الغرفة، تتبعني "ناتالي". فظهر الموقف غريبًا للغاية.

وأخيرًا، تعللت "روزي" بالذهاب إلى الحمام. ولكن حتى لو كانت تعرف ما عليها أن تفعله، فإنها ستجد استحالة في دخول غرفة المولود، فقد جلست "ناتالي" بحيث يمكنها مراقبة باب غرفة النوم، وهي ترمقها بين لحظة وأخرى.

مكتبة ٢٩١

- سمعتي عن مشروع "الجينوجرافيا"؟

لم تسمع به، ولم تهتم لسماع أي شيء عنه. بل غيَّرت الموضوع.

- الظاهر إنك مهتم جدًّا بالمواليد.

مؤكد أن هناك فرصة في هذا الكلام، وعليَّ فقط أن أحسن استغلالها:

- أنا مهتم بسلوكياتهم. من غير التأثير الخاص بوجود الأبوين.

نظرت إليَّ في استغراب:

- أنت بتشارك في أنشطة خاصة بالأطفال؟ أقصد حاجات زي الكشافة وجماعات الكنيسة و..

- لأ. مستبعد جدًّا إني أكون مناسب للأنشطة الجماعية.

عادت "روزي"، وتعالى صوت بكاء الطفل. فنهضت "ناتالي":

- وقت الرضاعة.

بادرت "روزي":

- يبقى لازم نمشي.

فشل! والسبب هو افتقاري للمهارات الاجتماعية. لو كنت ماهرًا فيها لأمكنني الوصول إلى الطفل.

- أنا آسف.

قلت لها ونحن في الطريق إلى سيارة "فيل" المتهالكة.

- مفيش داعي للأسف.

مدت يدها في حقيبتها قبل أن تخرج حفنة من الشعر:

- نضفت فرشة شعرها.

- لكن محتاجين جذور الشعر.

كان الشعر كثيرًا، وبالتالي من الممكن أن نجد شعرة منها ما تزال تحمل جذرها.

مكتبة ٢٩١

ولكنها مدت يدها في الحقيبة ثانية، وأخرجت فرشاة أسنان. استغرقت لحظات طويلة قبل أن أدرك ما يعنيه هذا.

- سرقتي فرشة سنانها؟

- لقيت واحدة جديدة في دولاب الحمام. قلت لازم تبدأ تستخدم واحدة جديدة.

صدمتني السرقة، ولكننا الآن نحمل بالتأكيد ما يصلح ليكون عينة "دي إن إيه". وكان من الصعب عليَّ ألا أعجب بدهاء "روزي". كما أن "روزي" صنعت معروفًا لـ"ناتالي" إلا إذا كانت تعتاد تغيير فرشاة الأسنان على نحو منتظم.

لم ترغب "روزي" في تحليل الشعر أو الفرشاة على الفور. كانت تريد أن نحضر عينة الـ"دي إن إيه" من المرشَّح الأخير، قبل أن نفحص العينتين معًا. لكنني وجدت هذا غير منطقي. فلو كانت عينة "ناتالي" هي المطلوبة، فلن يكون هناك داعٍ للبحث عن العينة الأخرى. ولكن "روزي" لم تكن مستعدة لفهم هذه الفكرة التي يمكن أن توفِّر التكلفة والمخاطرة.

***

بعد المشكلة التي صادفتنا مع المولود، قررنا أن نتعاون بالطريقة الأكثر ملاءمة عند أخذ عينة من الدكتور "بيتر إنتيكوت".

- هقوله إني بفكر أدرس طب.

الدكتور "إنتيكوت" أحد أعضاء هيئة التدريس في كلية الطب بجامعة "ديكين".

ستدعوه لتناول القهوة، وهي فرصة لأخذ العينة من الفنجان، رُغم أن تلك المحاولة أثبتت فشلها بنسبة مائة في المائة المرة السابقة. فكَّرت أنه من المستبعد أن تنجح جرسونة في بار في إقناع أستاذ جامعة بأنها تمتلك ما يؤهلها لدراسة الطب. واستاءت "روزي" من فكرتي هذه، وقالت لي إن هذه جزئية غير مهمة على كل حال. كل ما يهمنا هو أن نقنعه بالحضور وتناول القهوة.

مكتبة ٢٩١

المشكلة الأكبر هي كيف ستقدمني له، خاصة وأن "روزي" تعتقد أنها لن تستطيع إنجاز المهمة وحدها.

- أنت صاحبي اللي هتصرف على دراستي، وبالتالي أنت صاحب مصلحة.

ثم حدقت فيّ بقوة قبل أن تقول:

- لكن أرجوك.. مفيش مبالغة في تمثيل الدور.

***

ذات ظهيرة أربعاء، كان "جين" يُلقي بدلًا مني محاضرة "أسبرجر"، انطلقنا داخل سيارة "فيل" الغريبة إلى جامعة "ديكين". كنت قد ذهبت إلى تلك الجامعة عدة مرات لحضور محاضرات وندوات. بل أعرف بعض الباحثين في كلية الطب، ولكن لم يكن "بيتر إنتيكوت" من ضمنهم.

التقيناه عند كافيه في الهواء الطلق، يمتلئ بطلاب الطب الذين عادوا للتو من إجازة الصيف. كانت "روزي" مذهلة! تحدثت بكل لباقة عن الطب، بل حتى في الطب النفسي، حيث ذكَّرتُها أنها ترغب في التخصص فيه. وزعمت أنها تحمل شهادات في العلوم السلوكية وخبرة أبحاث الدراسات العليا.

بدا لي أن "بيتر" مهتم بذلك الشبه بين "روزي" وأمها، وهو ما لا صلة له بغرضنا من هذا اللقاء. فقد قاطع "روزي" ثلاث مرات لكي يذكرها بذلك الشبه في الملامح، وتساءلت عمَّا إذا كان في هذا ما يدل على وجود رابط معين بينه وبين أم "روزي" – ومن ثم يزيد من احتمالات أن يكون والدها. بحثت، كما فعلت في غرفة معيشة "إيمون هيوز"، عن أي تشابه في الملامح بين "روزي" وهذا الأب المحتمل، ولكنني لم أجد ما هو واضح للعيان.

- كلامك كله إيجابي، يا "روزي". ولكن أنا ماليش أي علاقة بإجراءات اختيار الطلاب – من الناحية الرسمية على الأقل.

مكتبة ٢٩١

قالها بطريقة توحي بأن المساعدة غير الرسمية، وبالتالي غير الأخلاقية، ممكنة ومقبولة. هل هذه علامة انحياز لها، وبالتالي دليل آخر على أنه قد يكون والدها؟

- خلفيتك الأكاديمية كويسة، بس لازم تدخلي امتحان "الجامسات".

ثم التفت إليَّ، وقال موضحًا:

- امتحان القبول القياسي للي عاوزين يدرسوا طب.

- دخلته السنة اللي فاتت. جبت أربعة وسبعين.

وانبهر "بيتر":

- المجموع دا يدخلك "هارفارد". بس فيه عوامل تانية بناخدها في الحسبان. ولازم تعرفيني إذا قررتي تقدمي.

تمنيت في تلك اللحظة ألا تسوقه الأقدار إلى بار "ماركيز أوف كوينزبري".

أحضر الجرسون الفاتورة. وبينما كان يرفع فنجان "بيتر"، وضعت يدي تلقائيًا فوقه حتى أوقفه. نظر الجرسون إليَّ باستغراب شديد، ثم أخذ الفنجان بالقوة. راقبته وهو يضعه فوق الصينية التي تقبع فوق عربته الصغيرة.

رمق "بيتر" موبايله:

- لازم أمشي. ولازم تخليكي على اتصال بيَّا.

انصرف "بيتر"، ولمحت الجرسون منشغلًا بعربته.

- عايزك تشغلي انتباهه.

- خد الفنجان وخلاص.

مشيت نحو العربة. كان الجرسون يراقبني، ولكن ما إن وصلت إلى الصينية حتى وجدته يلتفت سريعًا إلى حيث تجلس "روزي"، ثم يهرول مسرعًا نحوها. فأخذتُ الفنجان.

***

التقينا عند السيارة، التي كنا قد أوقفناها بعيدًا بعض الشيء. فكَّرتُ وأنا أمشي إلى السيارة في حقيقة أنني، وتحت ضغط الرغبة في إنجاز الهدف، ارتكبت جريمة سرقة. هل عليَّ أن أرسل شيكًا إلى الكافيه بثمن الفنجان؟ حسنًا، ما هو ثمن الفنجان؟ ثم إن الفناجين تتحطم طوال وقت، ولكن لأسباب عشوائية. ولو أن كل شخص سرق فنجانه، فعندئذٍ لن يكون للكافيه جدوى اقتصادية.

- أخذت الفنجان؟

رفعته أمام عينيها.

- اتأكدت إنه هو فنجانه؟

أنا لا أجيد التواصل غير اللفظي، ولكنني أعتقد أنني نجحت في أن أوصِّل لها حقيقة أنني دقيق الملاحظة، حتى ولو صرت الآن نشالًا. وسألتها:

- دفعتي الفاتورة؟

- ما هو أنا شتت انتباهه بالطريقة دي.

- بدفع الفاتورة؟

- لأ. قمت بسرعة ومشيت، ولما لحقني قلتله إنك رحت تدفع عند الكاشير.

- يبقى لازم نرجع الكافيه.

- (.....).

لن أخبرك – مهما حاولت - بتلك الكلمة التي قالتها لي "روزي" قبل أن تدخل إلى الـ"بورش".

كيف وصل بي الحال إلى هذا الحد.. بحق السماء؟

مكتبة ٢٩١

12

انطلقنا صوب الجامعة والمختبر. أوشكنا على الانتهاء من مشروع البحث عن الأب. الطقس دافئ، رغم وجود غيوم داكنة في الأفق. أزاحت "روزي" السقف المتحرك للسيارة. بينما انشغل بالي بتلك السرقة التي تورطت فيها. صاحت في "روزي" حتى يتغلب صوتها على الهواء:

- لسه ضميرك تاعبك علشان الفاتورة، يا "دون"؟ أنت مش ممكن. يعني إحنا بنسرق عينة "دي إن إيه"، وأنت كل اللي شاغل بالك فنجان قهوة؟!

- أخذ عينات الـ"دي إن إيه" مش جريمة.

كلامي صحيح، على الرغم من أنه يُعتبر في بريطانيا انتهاكًا لقانون الأنسجة البشرية الصادر عام 2004.

- ضروري نرجع.

- دا يبقى استغلال مش صح للوقت.

بدت لي نبرة صوتها غريبة، بينما توقفت عند إشارة مرور، وصار بمقدورنا أن نتحدث بصوت طبيعي. ضحكت، فأدركت أنها كانت تقلدني في كلامي. ووجدت تقريرها سليمًا، ولكن تبقى المسألة الأخلاقية، وينبغي أن يسود التحلي بالأخلاق أي مسألة أخرى.

مكتبة ٢٩١

- اهدى. الجو جميل، واحنا قربنا نعرف مين هو والدي، وعلشان أطمنك، هابعت شيك للكافيه بالبريد. وعد.

نظرت لي قبل أن تُكمِل:

- بتعرف تسترخي وتريَّح أعصابك؟ بتعرف تغيَّر المود بتاعك؟

سؤال أعقد من أن أجيب عليه بصوت يتغلب على صخب الهواء حولنا بعد أن انطلقنا مجددًا بعد الإشارة. كما أن السعي وراء المرح لا يؤدي إلى الرضا التام. هذا أمر أثبتته الدراسات بشكل قاطع. نبهتها:

- كان لازم ناخد مخرج الطريق اللي فات.

أجابتني ساخرة:

- تمام. إحنا رايحين الشط.

وما إن هممت بالاعتراض حتى تعالى صوتها للشوشرة على اعتراضي.

ضغطت زرًا، فانطلقت موسيقى الروك الصاخبة. هي الآن لا يمكن أن تسمعني. أنا مخطوف! مضينا في الطريق لقرابة أربع وتسعين دقيقة. لم أستطع رؤية مؤشر السرعة، كما أنني غير معتاد على السفر في سيَّارة مفتوحة السقف، ولكنني قدَّرتُ أننا تجاوزنا السرعة القانونية.

صوت صاخب، رياح، خطر الموت.. هكذا حاولتُ أن أُدخِل عقلي في الحالة التي يكون عليها وأنا جالس على كرسي طبيب الأسنان.

وأخيرًا، توقفنا في موقف للسيارات عند الشاطئ. كان فارغًا تقريبًا، خاصة وأننا في ظهيرة يوم عمل عادي. نظرت "روزي" إليَّ:

- ابتسم. هنتمشى على الشط الأول، وبعدين هنرجع للمختبر، وبعدها هوصلك البيت. ومش هتشوفني تاني بعدها.

- طيب ما نروح على البيت دلوقتي وخلاص؟

مكتبة ٢٩١

أدركت أنني أتكلم مثل طفل. وذكّرتُ نفسي أنني ذكر بالغ، وأكبر بعشر سنوات وأكثر خبرة من الأنثى التي بصحبتي، وأنه لا بد وأن يكون هناك غرض ما وراء ما تفعله. سألتها السؤال المنطقي، فأجابتني:

- أنا قرَّبت أعرف مين والدي. وعاوزة أفضي دماغي. فيه مشكلة لو اتمشينا نص ساعة ولا ساعة، وفيه مشكلة لو تخيلت نفسك إنسان عادي طبيعي وتسكت وتسمعني؟

لم أعرف كيف يمكن أن أحاكي الإنسان العادي الطبيعي هذا، ولكنني وافقت على أن أتمشى معها. من الواضح أن هناك عواطف مكثفة تعتمل داخل "روزي"، فاحترمت رغبتها في التغلب عليها. وتبين لي أنها لم تقدر على الكلام تقريبًا. وهو ما جعل التمشية مريحة لي - وكأنني أتمشى وحدي.

عندما اقتربنا من السيارة بعد قرابة ساعة، سألتني "روزي":

- إيه نوع الموسيقى اللي بتحبه؟

- ليه؟

- الموسيقى اللي أنا كنت مشغلاها مكنتش عاجباك، مش كدا؟

- فعلًا.

- يبقى العدل إنك تختار الموسيقى اللي نشغلها وإحنا راجعين. بس أنا معنديش حاجة لـ"باخ".

- أنا في الحقيقة مابسمعش موسيقى. وأسطوانة "باخ" كانت تجربة وفشلت.

- مش معقول تقضي حياتك من غير موسيقى.

- مبقدرش أنتبه ليها. وبفضَّل إني أسمع معلومات.

مكتبة ٢٩١

عندئذٍ خيم صوت ثقيل. ووصلنا السيارة.

- طيب أبوك أو والدتك بيسمعوا موسيقى؟ أخوك.. أختك؟

- بابا وماما بيسمعوا الروك. وخصوصًا بابا. الأغاني اللي عجبتهم وهما صغيرين.

دخلنا إلى السيَّارة، وأنزلت "روزي" سقفها مجددًا. وأخذت تقلب في موبايلها الـ"آي فون"، حيث كانت تشغل الموسيقى منه عبر سماعات السيارة.

- شيء من الماضي.

قالتها وهي تشغِّل الموسيقى.

كنت أتخيَّل نفسي في كرسي طبيب الأسنان مرة ثانية، عندما أدركت دقة العبارة التي نطقتها "روزي". فأنا أعرف تلك الموسيقى. كانت دائمًا في خلفية مشاهد الطفولة. أعادتني بغتة إلى غرفتي وأنا صغير، والباب مغلق، وأنا منشغل بكتابة برنامج كمبيوتر بلغة "البيزك"، بينما هذه الأغنية في خلفية المشهد.

- أنا عارف الأغنية!

ضحكت "روزي" وهي تقول:

- لو كنت طلعت متعرفهاش كان هيبقى دا الدليل الأخير على إنك كائن فضائي وقعتلي من المريخ.

ها أنا ذا أعود إلى المدينة، في سيَّارة "بورش" حمراء تقودها امرأة جميلة، وسط أجواء موسيقية، وأشعر أنني على مشارف عالم آخر. اعتمرني ذاك الشعور الذي صار أقوى من المطر الذي بدأ يهطل بينما تعطَّل السقف المتحرك وعجزنا عن تغطية السيَّارة به. الشعور نفسه الذي اعتراني وأنا أتأمل المدينة من البلكون بعد تلك الوجبة فيها، وكذلك بعد أن كتبت لي "روزي" رقم موبايلها. عالم آخر.. حياة أخرى.. أكاد أتلمسها، ولكنني لم أدخلها بعد.

ذلك النوع من الرضا... ا ل ر ض ا

مكتبة ٢٩١

***

وصلنا إلى الجامعة بعد أن خيَّم الظلام. وبمساعدة دليل الاستخدام، تمكنت من تغطية السيَّارة بسقفها يدويًّا.

داخل المختبر، فتحت علبتي بيرة (من دون انتظار إشارة السعال المعتادة)، ولامست "روزي" علبتها بعلبتي.

- بصحتك.

- أنتِ وعدتيني إنك هتبعتي الشيك للكافيه، صح؟

- أوكيه.. وعد.

- أنت رائعة.

كنت أريد أن أوصل لها هذا المعنى منذ ساعات. كان أداء "روزي" لدور طالبة الطب الطموحة مدهشًا للغاية.

- لكن إيه اللي خلاكي تبالغي في موضوع درجة امتحان الطب؟

- تفتكر إيه السبب؟

قلت لها إنني لو أعرف السبب لما سألتها من الأساس.

- علشان مكنتش عايزة أظهر غبية قدامه.

- قدام والدك المحتمل؟

- بالظبط. قدامه هو بالذات. أنا بتضايق جدًّا من الناس اللي بتفتكرني غبية.

- لكن أنا شايف إنك ذكيـ...

- متكملش.

- مكملش إيه؟

- ذكية بالنسبة لجرسونة في بار. مش كدا؟

كان توقع "روزي" صحيحًا.. جدًّا.

- أمي كانت دكتورة. وكمان بابا. دا لو هنتكلم جينات يعني. ومش لازم تكون أستاذ جامعة علشان تبقى ذكي. أنا لمحت تعبيرات وشك لما كنت بقوله إني جبت أربعة وسبعين درجة في امتحان "الجامسات". كنت بتقول لنفسك: "عمره ما هيصدق إن البنت دي ذكية". لكن هو صدق. علشان كدا لازم تتخلص من أحكامك المسبقة على الأمور.

نقدها منطقي. فأنا لا أحتك بكثير من الناس خارج الوسط الأكاديمي، وتوصلت إلى افتراضاتي عن العالم من حولي معتمدًا بالأساس على مشاهدة الأفلام ومسلسلات التليفزيون وأنا صغير. وأدركت بعد ذلك أن الشخصيات التي شاهدتها في "تائه في الفضاء" و"ستار تريك" لا تمثِّل كل البشر. وما أنا متأكد منه هو أن "روزي" لا تتماشى مع الصورة النمطية لديَّ عن الجرسونة. ويبدو أن الكثير من افتراضاتي عن الناس مغلوطة. ولم أندهش لهذه الحقيقة.

صار جهاز تحليل الـ"دي إن إيه" جاهزًا.

- مش عايزة تخمني وتختاري ما بين الاتنين؟

- أيًّا كان. أنا مش عايزة أقرر أبدأ بمين.

أدركت أنها فهمت سؤالي على أنه بخصوص اختيار العينة الأولى للفحص. فأوضحت لها السؤال مجددًا.

- مش عارفة. كنت بفكر طول اليوم في النقطة دي. "آلان" مات، وهيبقى الموضوع صعب لو طلع هو. وبعدين ساعتها "ناتالي" هتكون أختي، ودي لوحدها حكاية تانية. لكن في كل الأحوال بالي هيرتاح. وأنا عاجبني "بيتر"، لكن معرفش أي حاجة عنه. ويمكن تكون عنده أسرة،

خطر لي مجددًا أننا لم نفكر جيدًا في مختلف جوانب مشروع البحث عن الأب هذا. فقد أمضت "روزي" الظهيرة كلها وهي تحاول التغلب على مشاعر لم تكن ترغب فيها، ومع هذا فإن الدافع الأساسي وراء هذا المشروع عاطفي في المقام الأول.

قمت باختبار عينة "بيتر" أولًا، لأن شعر "ناتالي" يحتاج وقتًا للمعالجة المسبقة. وتبين أن "بيتر" ليس هو الأب.

عثرت على عدة جذور في الشعر، وبالتالي لم تكن هناك حاجة لسرقة فرشاة الأسنان. وبينما كنت أعالج الجذور، تذكرت أن عينة أول مرشحين أمام "روزي"، ومن ضمنهما "إيمون هيوز" الذي كانت تظن بدرجة كبيرة أنه هو الأب، لم تكونا متطابقتين مع عينة "روزي". لذلك خمنت أن عينة "ألان" ستلقى المصير ذاته.

وكنت محقًا. وتذكرت أن أرمق "روزي" لأرى تعبيرات وجهها. وجدتها حزينة للغاية. والظاهر أننا سنلجأ إلى الشرب ثانيةً.

- اوعى تنسى إن العينة مكنتش منه.. دي عينة بنته.

- أنا عملت حساب كدا في التحليل.

- طبيعي. كدا يبقى خلاص.

- لكن إحنا متوصلناش لحل للمشكلة.

بصفتي عالمًا، لم أكن معتادًا على ترك مشكلة من دون حل.

- ومش هنلاقي الحل. إحنا اختبرنا عينات كل الناس اللي أنا أعرفها.

- الصعوبات شيء محتوم. والمشروعات الكبيرة بتحتاج صبر وعزيمة.

- وفرهم لمشروعاتك المهمة.

لماذا نركز على أمور معينة على حساب أمور تانية؟ نخاطر بحياتنا لإنقاذ شخص لا نعرفه من الغرق، بينما لا نفكر حتى في التبرع لمن يعملون على إنقاذ

مكتبة ٢٩١

حياة عشرات الأطفال من الجوع. نقوم بتركيب لوحات الطاقة الشمسية التي لا يكاد يكون لها تأثير على خفض انبعاثات ثاني أكسيد الكربون – بل ربما يكون لها تأثير سلبي لو أخذنا التصنيع والتركيب في الحسبان – بدلًا من المساهمة في مشروعات بنية تحتية أكثر كفاءة.

أجد أن القرارات التي أتخذها في تلك الظروف أكثر عقلانية، ولكن هذا لا يعني أنني لا أرتكب أي أخطاء. نحن مبرمجون جينيًا بحيث نتفاعل مع المحفزات في بيئتنا المحيطة. ويستلزم التجاوب مع مسائل معقدة نعجز عن إدراكها حسيًا بشكل مباشر اللجوء إلى المنطق، وتأثيره أقل قوة من تأثير الغريزة.

ربما يكون هذا هو تفسير اهتمامي المستمر بمشروع البحث عن الأب. فمن الناحية المنطقية، هناك استخدامات أهم لأبحاثي، ولكن من الناحية الغريزية وجدتُني مدفوعًا إلى مساعدة "روزي" في حل مشكلتها الآنية. وبينما كنا نشرب كأسين من شراب اسمه "مدي ووتر بوينت نوار" في بار "جيمي واتسون"، قبل أن تذهب "روزي" إلى عملها، حاولتُ إقناعها بالاستمرار في المشروع، ولكنها أجابتني بمنطقية أنه لا يوجد أي سبب يجعلنا نهتم بأفراد معينين من دفعة أمها في الكلية ولا نهتم بغيرهم. وخمَّنت أن عدد الدفعة قد يتجاوز المائة، ونبهتني إلى أن أغلبيتهم من الذكور، بسبب السياسات المتحيزة للذكور التي كانت متبعة في الجامعة منذ ثلاثين عامًا مضت. فمن غير المنطقي التفكير في كم الجهد والوقت والمال الذي سنحتاج إليه للعثور على أكثر من خمسين طبيبًا، أغلبهم يعيش في مدن أو بلدان أخرى الآن، ومن ثم محاولة أخذ عينات منهم. ثم أخبرتني أنها لم تعد مهتمة بالأمر إلى هذا الحد.

عرضت عليَّ "روزي" أن توصلني إلى منزلي..

لكنني فضلت أن أبقى في البار.. وأشرب.

مكتبة ٢٩١

13

قبل أن أتخلى عن مشروع البحث عن الأب، رأيتُ أن أتأكد من تقدير "روزي" لعدد الأشخاص المحتمل أن يكون أحدهم هو والدها. وخطر لي أن من السهل استبعاد بعض الاحتمالات. فمواد الطب التي أقوم بتدريسها يحضرها العديد من الطلاب الأجانب. وبالنظر إلى لون بشرة "روزي" الأبيض المميز، أعتقد أنه من المستبعد أن يكون والدها صينيًا أو فيتناميًّا أو أسود أو هنديًا.

بدأت ببحث أساسي – عبر الإنترنت عن معلومات عن تلك الدفعة من كلية الطب، على أساس ثلاثة أسماء أعرفها.

وفاقت النتائج توقعاتي، غير أن حل المشكلة يتطلب في الغالب مسحة من الحظ. فلم أندهش عندما عرفت أن والدة "روزي" متخرجة في جامعتي الحالية. ففي ذلك الوقت، لم تكن هناك سوى دفعتي طب في "ملبورن".

عثرت على صورتين. إحداهما صورة رسمية لدفعة التخرج بأكملها، يصاحبها أسماء مائة وستة وأربعين طالبًا وطالبة. أمَّا الصورة الثانية فقد التقطت خلال حفل التخرج، ويصاحبها أسماء كذلك. لم أجد سوى مائة وأربعة وعشرين وجهًا فقط، ربما بسبب عدم حضور بقية الطلبة. وحيث إن والدتها اختارت قرينها أثناء الحفل، أو بعده، فلا بأس من تجاهل الطلبة الذين

مكتبة ٢٩١

لم يحضروا. وتحققت من أن المائة والأربعة والعشرين طالبًا موجودون في الصورة الكبيرة للمائة والستة والأربعين طالبًا.

توقعتُ أن ينتج عن بحثي قائمة من الخريجين، وربما أخرج بصورة. كما عثرت على هدية غير متوقعة، تمثلت في منتدى نقاشي على الموقع يحمل عنوان "أين هم الآن؟". ولكن ضربة الحظ الحقيقية كانت في معلومة تقول أن هناك ثلاث عشرة جامعة ستنظم حفلات لم شمل لخريجيها السابقين. ووجدت أن التاريخ بعد ثلاثة أسابيع فقط. لذلك علينا أن نسرع بالتحرك.

تناولتُ العشاء في المنزل، ثم قدت السيَّارة إلى "ماركيز أوف كوينزبري". وكان بانتظاري كارثة! فلم تكن "روزي" في العمل. وأبلغني البارمان أن "روزي" لا تعمل سوى ثلاث ليالٍ كل أسبوع، وهو ما وجدته غير كافٍ لأن يوفر لها دخلًا مناسبًا. وربما هي تعمل في وظيفة نهارية كذلك. أنا لا أعرف الكثير عنها، خلاف عملها، واهتمامها بمعرفة والدها، وعمرها، الذي قدرته اعتمادًا على تاريخ حفل تخرج والدتها منذ ثلاثين عامًا بأنه تسعة وعشرون. أنا لم أسأل "جين" عن كيفية تعرفه عليها. وحتى لا أعرف اسم والدتها حتى أحددها في الصورة.

وجدت البارمان ودودًا، فطلبت بيرة وبعض المكسرات، وراجعت الأوراق التي أحضرتها معي.

هناك ثلاثة وستون ذكرًا في صورة حفل التخرج، بزيادة طالبين فقط على عدد الإناث، وهو ما لا يكفي لدعم رأي "روزي".

كنت قد استنتجت أن "ماركيز أوف كوينزبري" هو بار مخصص للمثليين. ففي الزيارة الأولى، لم أنتبه لطبيعة التفاعلات الاجتماعية في المكان، فقد كنت مهتمًا بالعثور على "روزي" والبدء في مشروع الأب، ولكنني تمكنتُ هذه المرة

مكتبة ٢٩١

من تحليل الأجواء المحيطة بي بكثير من التفصيل. وتذكَّرت نادي الشطرنج الذي كنت عضوًا فيه أيام المدرسة. أن يجتمع عدد من البشر حول قاسم مشترك بعينه. وكان هو النادي الوحيد الذي انضممت إليه، باستثناء نادي الجامعة، والذي هو أقرب إلى مطعم لأعضاء هيئة التدريس.

ليس لي أصدقاء مثليون، ولكن هذا يعود إلى محدودية عدد أصدقائي بأكثر مما يعود إلى أي أحكام مسبقة تجاههم. وربما كانت "روزي" مثلية؟ فهي تعمل في بار للمثليين، رغم أن كل زبائنها من الذكور. فسألت البارمان. وضحك:

- أتمنى لك معها حظًّا سعيدًا.

هو لم يجب عن سؤالي، كما أنه تركني وراح ليخدم زبونًا آخر.

***

بينما كنت أنهي غدائي في نادي الجامعة في اليوم التالي، رأيتُ "جين" يقترب، ومعه سيدة تذكرتها من ذلك الحفل.. "فابيان"؛ الباحثة المحرومة جنسيًّا. يبدو أنها قد وجدت حلًا لمشكلتها. مرا إلى جواري عند مدخل قاعة الطعام.

غمز "جين" لي:

- "دون".. أعرفك على "فابيان". باحثة زائرة من "بلجيكا" وبنبحث في خيارات التعاون البحثي مع بعض.

غمز لي من جديد، وابتعدا سريعًا.

"بلجيكا". افترضت أن "فابيان" فرنسية. ولكن "بلجيكا" منطقية. فلدى "جين" رفيقة فرنسية بالفعل.

كنت أقف عند مدخل "ماركيز أوف كوينزبري"، عندما فتحت "روزي" أبوابه في تمام الساعة التاسعة مساءً.

- "دون"!.. فيه حاجة؟

مكتبة ٢٩١

- عندي معلومات.

- طيب قولها بسرعة.

- ما ينفعش أقولها بسرعة. فيه تفاصيل كتيرة.

- متأسفة يا "دون"، لكن المدير موجود. مش عايزة مشاكل، ومش مستعدة أتطرد من الشغل.

- هتخلصي الساعة كام؟

- تلاتة الفجر.

غير ممكن! ما هي نوعية الوظائف التي يعملها زبائن "روزي" إذن؟ ربما يعملون جميعهم في بارات تفتح في التاسعة مساءً، ولديهم إجازة أربع ليالٍ في الأسبوع. إنها جماعة كاملة لا يعرف أحد عن مشاغلها، وتستخدم موارد لم يكن ليستخدمها أحد. تطلَّب الأمرُ مني نفسًا عميقًا وقرارًا أعمق.

- هكون في انتظارك ساعتها.

عدت إلى منزلي، ومن ثم إلى السرير، بعد أن ضبطت المنبه على الساعة 2:30. ألغيت ساعة الركض مع "جين" في صباح الغد حتى أعوِّضَ هذه الساعة. كما ألغيت درس الكاراتيه.

عند الساعة 2:50 بعد منتصف الليل، كنت أركب درَّاجتي عبر شوارع الضاحية. وجدتها خبرة لطيفة نوعًا ما. الحقيقة أنني وجدت مزايا في العمل ليلًا. مختبرات خاوية. لا طلاب. شبكة أسرع. العميدة غير موجودة. وكم سيكون مجديًا لو أنني عثرت على وظيفة بحثية بحتة ليس فيها تدريس. أو ربما أمكنني التدريس عبر دائرة تلفزيونية مغلقة لدى جامعة في منطقة زمنية مختلفة عن منطقتنا.

مكتبة ٢٩١

وصلت إلى مكان عمل "روزي" في تمام الثالثة. وجدت الباب مغلقًا ولافتة (مغلق) منيرة. قرعت الباب بقوة. فخرجت لي "روزي".

- أنا مشغولة جدًّا.. تعالَ ادخل.. قرّبت أخلص.

واضح أن البار يغلق أبوابه في الساعة 2:30، ولكن "روزي" تقوم بالتنظيف.

- عايز بيرة؟

بيرة! في الساعة الثالثة فجرًا. غير معقول.

- أوكيه.. من فضلك.

جلست إلى البار، أراقبها وهي تنظّف. خطر لي السؤال نفسه الذي طرحته يوم أمس وأنا جالس في المكان نفسه.

- أنت مثلية؟

- دا السؤال اللي جابك دلوقتي؟

- لأ. السؤال ملوش علاقة بالغرض الأساسي لإني أجي.

- طيب كويس إني أسمع سؤال زي دا، وأنا لوحدي الساعة تلاتة الفجر مع راجل غريب.

- أنا مش غريب.

- مش غريب قوي.

كانت تضحك، ربما لأنها انتبهت للمعنى المزدوج لكلمة (مثلي). ولكنني لم أحصل بعد على إجابة سؤال. فتحت لنفسها زجاجة بيرة. وقمت بإخراج الملف، وأخذت منه صورة حفل التخرج.

- هي دي الحفلة اللي والدتك حملت فيكِ بعدها؟

- "شِت". أنت جبت الصورة دي منين؟

شرحت لها طريقة بحثي، وعرضت عليها القائمة.

مكتبة 291

- كل الأسماء هنا. تلاتة وستين راجل، تسعتاشر منهم مش قوقازيين، حسب التقييم البصري والاستناد للأسماء، واستبعدت تلاتة كمان.

- أنت أكيد بتهزر. أنت عايزنا نحلل عينات لـ.. واحد وتلاتين شخص.

- واحد وأربعين.

- أيًّا ما كان. أنا معنديش اللي يسمحلي أقابل أي واحِد منهم.

عرَّفتها بموضوع حفلة لم الشمل.

- أنت نسيت جزئية بسيطة.. إحنا مش من المعزومين.

- صحيح. هي جزئية بسيطة، وأنا حليتها فعلًا. الحفل فيه مشروبات كحولية.

- أيوة؟

أشرت إلى البار، ومجموعات وأنواع المشروبات فوق الأرفف.

- خبرتك هتكون مطلوبة.

- أنت جاي تهزر بقى.

- هل تقدري تشتغلي في الحفلة دي؟

- استنى بس أستوعب. لأن الموضوع بدأ يقلب بجنان. أنت بتفكر إن احنا ندخل الحفلة ونبدأ نجمع الكوبايات من قدام الناس علشان العينات؟!.. أوه، "مان".

- مش إحنا. أنتِ. أنا معنديش المهارة ولا الخبرة. لكن بقية كلامك صح.

- انسى.

- كنت فاكر إنك عايزة تعرفي والدك الأصلي.

- قلتلك قبل كدا مش للدرجة دي.

***

بعد يومين، جاءت "روزي" إلى شقتي. في الساعة 8:47 مساءً، وكنت أنظف الحمَّام؛ لأن "إيفا" اعتذرت لمرضها. فتحت لها باب العمارة من الإنتركم. كنت

مكتبة ۲۹۱

أرتدي ملابس تنظيف الحمَّام: وهي: شورت، حذاء بلاستيكي، وقفّازين، ولكن من دون تيشيرت. حدقت في جسدي شبه العاري للحظات:

- واو.. هي تمارين الكاراتيه ممكن تعمل كدا؟

الظاهر أنها تقصد تكويني العضلي. وفجأة، وجدتها تتقافز مثل طفلة صغيرة.

- اتعينت أنا وأنت في الحفلة! دوَّرت على وكالة التخديم وعرضت عليهم ناخد أجر قليل، ورغم كدا وافقوا. القانون بيمنع دا، وأنا هبلغ عنهم النقابة.. بس بعد الحفلة.

- كنت فاكر إنك مش موافقة.

ناولتني كتابًا قديمًا، وهي تقول:

- غيَّرت رأيي.. احفظ دا. لازم أروح الشغل.

وانصرفت.

نظرتُ إلى الكتاب - "رفيق الجرسون: الدليل الشامل لصنع وتقديم المشروبات". يبدو أنه يوضِّح طبيعة مهام الدور الذي عليَّ أن ألعبه. حفظت بضعة صفحات قبل أن أنتهي من الحمَّام. وأنا أستعد للنوم، بعد أن ألغيت حصة الآيكيدو حتى أقضي المزيد من الوقت في حفظ الكتاب، خطر لي أن الأمور بالفعل بدأت تصير مجنونة. هذه ليست أول مرة تصبح فيها حياتي فوضوية، وكنت قد وضعت خطة منذ زمن للتعامل مع المشكلة وما تسببه من خلل في التفكير المنطقي. وهكذا اتصلت بـ"كلاوديا".

التقتني في اليوم التالي. ولأنني لستُ أحد زبائنها بصفة رسمية، فكان علينا أن نتقابل خلال استراحة القهوة وليس في مكتبها. تفعل هذا ثم تتهمني أنا بالمبالغة في الدقة!

مكتبة ٢٩١

حكيتُ لها الخطوط العريضة للموضوع، متعمدًا ألّا أذكر لها مشروع البحث عن الأب، حيث إنني لم أكن مستعدًا للاعتراف بموضوع عينات الـ"دي إن إيه"، وهو الأمر الذي كانت ستعتبره "كلاوديا" غير أخلاقي. وبدلًا من ذلك أخبرتها أن حب الأفلام هو ما يجمع بيني وبين "روزي".

- أنت اتكلمت مع "جين" عنها؟

قلت لها إن "جين" هو من عرَّفني بـ"روزي" ضمن المرشحات في مشروع البحث عن الزوجة، وأنه لَمَّح لي أنها مناسبة جدًّا لي لو رغبت في ممارسة الجنس معها. وشرحت لها أن "روزي" غير مناسبة تمامًا لموضوع الزوجة، ولكنها تتوهم أنني مهتم بها على هذا الأساس. ربما ظنَّت أن اهتمامنا المشترك بالأفلام سيكون ذريعة حتى أتقدم لها. وقلت لها إنني ارتكبت خطأً اجتماعيًا فادحًا عندما سألتها عن ميولها الجنسية – وهو ما من شأنه أن يعزز ذلك الانطباع.

ولكن "روزي" لم تتحدث أبدًا في موضوع مشروع الزواج. فقد انشغلنا سريعًا بحادثة السترة، وبعد ذلك تطورت الأمور في مسارات أخرى غير متوقعة أبدًا. ولكنني أجد مخاطرة تتمثل في أنني في وقت ما سأجرح مشاعرها عندما أخبرها أنها مستبعدة أصلًا من المرشحات للزواج، وأن هذا تم بعد أول لقاء معها.

- دا اللي أنت قلقان علشانه بس.. إنك تجرح مشاعرها؟
- تمام.
- ممتاز يا "دون".
- غلط. دي مشكلة كبيرة.
- أقصد ممتاز لأنك مهتم بمشاعرها. مستمتع بوقتك معاها؟

مكتبة ٢٩١

- جدًا.

قلتها، فأدركت أنني أشعر بهذا لأول مرة.

- وهي مستمتعة؟

- المفروض. لكن هي من ضمن المتقدمين لمشروع البحث عن الزوجة.

- متشغلش بالك. الظاهر إن عندها مرونة في تقبُّل الأمور. استمتع بوقتك معاها.

وقع شيء غريب في اليوم التالي. هي أول مرة على الإطلاق يستأذن فيها "جين" مسبقًا قبل أن يأتي للقائي في مكتبي. فقد كنت أنا دائمًا من يبحث عنه ليلتقيه، ولكن كان قد مر وقت طويل بسبب انشغالي في مشروع البحث عن الأب.

مكتب "جين" أكبر من مكتبي، بسبب منصبه الأعلى وليس لحاجة عمله لكل هذه المساحة. أدخلتني "هيلينا الجميلة"، حيث إن "جين" لم يكن قد عاد بعد من اجتماع. انتهزت الفرصة وبحثت في خريطة العالم المعلقة لديه عن دبابيس وضعها فوق مناطق في "الهند" و"بلجيكا". كنت متأكدًا من أنه كان على علاقة بالهندية، ولكن ممكن ألا تكون "أوليفيا" هندية الأصل. قالت لي إنها هندوسية، لذلك ربما تكون من "بالي" أو "فيجي" أو من أي دولة بها جالية هندية. يهتم "جين" بتجميع الجنسيات أكثر من الأعراق، بنفس طريقة الرحالة الذي يحصي البلدان التي زارها. وتوقعت ألا أجد أي دبوس في كوريا الشمالية.

حضر "جين"، وطلب من "هيلينا الجميلة" أن تحضر لنا القهوة. جلسنا إلى ترابيزته، وكأننا في اجتماع.

- أنت اتكلمت مع "كلاوديا".

مكتبة ٢٩١

هذه واحدة من سلبيات ألا أكون زبونًا لديها؛ حيث لا أحظى بميزة السرية التي أقسمت هي عليها.

- وأنا فهمت إنك لسة بتقابل "روزي". زي ما اتوقعت خبيرتنا.

- أيوة. بس بره مشروع البحث عن الزوجة.

"جين" أعز صديق لديَّ، ولكنني ما زلت أشعر بعدم الراحة تجاه مسألة الإفصاح له عن معلومات عن مشروع البحث عن الأب. ومن حسن حظي أنه لم يسأل، ربما ظنًا منه أن اهتمامي بـ"روزي" اهتمام جنسي. الحقيقة أنني اندهشت من أنه لم يبادر بالتعليق على هذه المسألة.

- أنت تعرف إيه عن "روزي"؟

- مش كتير. متكلمناش كتير عنها. كلامنا كله كان عن موضوعات عامة.

- استنى بس.. أنت عارف هي بتشتغل إيه، وبتقضي وقتها فين؟

- هي جرسونة في بار.

- أوكيه. دا بس اللي تعرفه عنها؟

- وإنها مبتحبش أبوها.

وجدت "جين" يضحك من دون سبب واضح.

- أفتكر إنه مش "روبنسون كروزو".

بدا لي تعليقًا سخيفًا بلا معنى، إلى أن انتبهت إلى أنه يقصد بإشارته إلى تلك الشخصية الخيالية معنى مجازيًا وهو أن والدها ليس وحده الذي تكرهه "روزي". ولا بد أن "جين" قد لاحظ حيرتي، فقد أردف:

- حبايب "روزي" كتير.

- هي مثلية؟

- ممكن. طريقة لبسها غريبة فعلًا.

يبدو أنه يشير إلى تلك الملابس التي كانت ترتديها يوم أن دخلت مكتبي لأول مرة. ولكنني أعرف أنها ارتدت ملابس عادية في البار وفي بقية لقاءاتنا أثناء جمع عينات الـ"دي إن إيه". ورغم أنها كانت ترتدي ليلة حادثة السترة ملابس لافتة، إلا أنها كانت جذابة. جذابة جدًّا.

ربما هي لا ترغب في أن تبث إشارات معينة إلى الذكور في البيئة التي التقاها "جين" فيها؛ في البار أو في مطعم. كثير من ملابس السيدات تصمم لتعزيز جاذبيتهن الجنسية بغية أن تؤمن الأنثى لنفسها الذكر المناسب. ولو كانت "روزي" لا تبحث عن قرين من الذكور، فإن من المنطقي للغاية أن ترتدي الملابس التي تنفر منها الذكور. هناك أشياء كثيرة عن "روزي" أود أن أسأل "جين" عنها، ولكني شككت في أن سؤالي سينم عن مستوى من الاهتمام يسيء "جين" فهمه بطبيعة الحال. ولكن كان هناك سؤال واحد بالغ الأهمية.

- هي ليه كانت مستعدة تشارك في مشروع البحث عن زوجة؟

تردد "جين" بعض الشيء.

- مين عارف؟ أنا مش شايف إنها مرفوضة للدرجة دي، بس متتوقعش منها كتير. مشاكلها كتيرة. ومش عايزك تركز معاها قوي. خد بالك من بقية دنيتك.

أدهشني أنني وجدت منطقًا في نصيحة "جين". ولكن.. هل يعرف عدد الساعات التي صرت أقضيها في حفظ كتاب المشروبات؟

مكتبة ٢٩١

14

– "اسمي "دون تيلمان"... وأنا مدمن للخمر".

صغت هذه الكلمات في عقلي، ولكنني لم أقلها بصوت عالٍ، ليس لأنني سكران (وكنت بالفعل سكران)، ولكن لأنه بدا لي أنني لو نطقت بها فسيكون الوصف صحيحًا، ولن يكون أمامي خيار سوى اتباع الخطوة المنطقية وهي أن أمتنع عن الشرب نهائيًّا وإلى الأبد.

أما سُكري فكان نتيجة مشروع البحث عن الأب – وبالأخص الحاجة إلى التمرُّس التام في وظيفتي الجديدة؛ الجرسون. اشتريت الأكواب المعدنية الخاصة بخلط الكوكتيلات، وأكواب، وكؤوس، وزيتون، وليمون، وصودا، وكمية من زجاجات الخمر، حسب نصائح دليل "الجرسون الماهر"، حتى أصير ماهرًا في عمل الكوكتيلات. وأدهشني أن الأمر معقَّد، كما أنني لست بطبعي ماهرًا في استخدام يدَي. والحقيقة أنني، وباستثناء تسلق الصخور، وهي الهواية التي توقفت عنها منذ أن كنت طالبًا، وتدريبات الفنون القتالية، فإنني أعاني مع بقية الرياضات الأخرى. أمَّا خبرتي في الكاراتيه والآيكيدو فهي نتاج سنوات طويلة من التدريب والمثابرة.

مكتبة ٢٩١

في البداية تدربت على الدقة، ثم السرعة. وعند الساعة 11:07 مساءً كنت قد أنهكت، وقلت لنفسي أن أتذوق ما صنعته من كوكتيلات لأختبر جودتها. كنت قد صنعت مارتيني كلاسيك، وفودكا مارتيني، ومارجريتا، وكاوبوي – وهي الكوكتيلات التي قال عنها الكتاب إنها الأشهر. وجدتها ممتازة، ومذاقها مختلف عن بعضها البعض، وليست متقاربة المذاق مثل أنواع الآيس كريم. كما وجدت أنني عصرت ليمون أكثر من المطلوب على المارجريتا، فصنعت كأسًا أخرى.

أثبتت الأبحاث أن ضرر شرب الكحوليات أكبر من نفعها. أما أنا فأجد في منفعتها لصحتي العقلية ما يبرر لي تجاهل مخاطرها. فالخمور تهدئني وتعدِّل مزاجي، وهو تناقض يسعدني. كما أنها تقلل من توتري أثناء تواجدي في أي مناسبة اجتماعية.

وأنا في العموم أتحكم في قدر ما أشربه، فأمتنع عنها ليومين في الأسبوع، رغم أن مشروع الأب تسبب في كسر هذه القاعدة عدة مرات. كما أن كم ما أشربه لا يؤهلني للقب سكِّير. ولكنني أشك في أن تعاستي وأنا بعيد عن الشرب قد تجعلني في يوم من الأيام من أصحاب هذا اللقب.

تجري خطوات مشروع التجميع الجماعي لعينات الـ"دي إن إيه" على ما يرام، كما أنني أحفظ الدليل وفق المعدل المطلوب. فعلى النقيض من الاعتقاد الشائع، فإن الكحوليات لا تدمِّر خلايا المخ.

شعرتُ وأنا أستعد للنوم برغبة عارمة في الاتصال بـ"روزي" وتعريفها بما أحرزته من تقدم. رغم أن هذا غير ضروري من الناحية المنطقية، كما أنها مضيعة للجهد أن أعرِّفها بأن المشروع يسير وفق الخطة، حيث إن هذا هو الغرض الأساسي وهكذا تغلب المنطق. وهذا عدل.

***

مكتبة ٢٩١

التقيت "روزي" في الكافيه قبل موعد حفل لم الشمل بثماني وعشرين دقيقة. وصار بمقدوري أن أضيف إلى البكالوريوس مع مرتبة الشرف والدكتوراه شهادة جرسون محترف. ولم يكن الاختبار صعبًا.

كانت "روزي" ترتدي بالفعل يونيفورم الجرسونة، وجلبت معها اليونيفورم الخاص بي.

- اخترته بدري وغسلته. مش عايزة خناقة كاراتيه تانية.

واضح أنها تقصد حادثة السترة، رغم أن الحركات القتالية التي أديتها كانت آيكيدو وليس كاراتيه.

تجهزت جيدًا لجمع عينات الـ"دي إن إيه"؛ حقائب خاصة بأقفال، ومناديل، وملصقات مطبوعة مسبقًا بأسماء جميع من كانوا في صورة التخرج. أصرّت "روزي" على أننا لسنا بحاجة إلى جمع عينات أولئك الذين لم يحضروا حفل التخرج، وهكذا شطبت على الملصقات الخاصة بهم. أدهشها أنني أحفظ أسماءهم، ولكنني كنت مصممًا على ألا أتسبب في أخطاء بسبب نقص في المعرفة.

أقيم حفل لم الشمل في نادٍ للجولف، وهو ما استغربته، ولكنني اكتشفت أن منشآت النادي مناسبة أكثر للطعام والشراب أكثر من جاهزيتها للعبة الجولف. كما اكتشفت أننا جهزنا أنفسنا لدور الجرسون بدرجة أكبر من اللازم. فقد كان هناك جرسونات عاديون مسؤولون عن تحضير المشروبات. ودورنا فقط أن نعلمهم بالطلبات ومن ثم نحمل المشروبات ونوصلها لأصحابها، والأهم هو جمع الكؤوس والأكواب الفارغة. وبالتالي أكون قد أهدرت ساعات طويلة في تعلم مهارات صنع المشروبات.

مكتبه ٢٩١

بدأ توافد الضيوف، وتسلمت صينية مشروبات لأقوم بتوزيعها. عندئذٍ أدركت مشكلة. كيف لنا أن نحدد أصحاب العينات والأكواب والكؤوس لا تميزها أسماء الأشخاص؟ بحثت عن "روزي" حتى عثرت عليها، ووجدتها انتبهت للمشكلة ولكنها توصلت لحلها، الذي استند إلى معرفتها بسلوكيات البشر الاجتماعية.

- قول لكل واحد منهم.. أهلًا بيك، اسمي "دون"، وفي خدمة حضرتك الليلة دي يا دكتور..

ثم بينت لي كيف أقول الجملة بحيث تعطي انطباعًا بأنها ناقصة، وبطريقة تشجع من يسمعها على أن يكملها باسمه وبنفسه. والغريب أنني وجدت أنها طريقة ناجحة بنسبة 72.5 في المائة. كما انتبهت أن عليَّ أن أقوم بتلك الطريقة مع السيدات أيضًا، تفاديًا لشبهة التحيُّز الجنسي.

وصل الحفل كل من "إيمون هيوز" و"بيتر إنتيكوت". أجل، المرشحان المستبعدان. لا بد أن "إيمون" يعرف مهنة "روزي" باعتباره صديق العائلة، وتطوعت هي بأن شرحت له أنني أعمل في المساء جرسونًا حتى أزيد من دخلي. وأخبرت "بيتر إنتيكوت" أنها تعمل جرسونة في جزء من الوقت لتجمع مصروفات رسالة الدكتوراه، وبالتالي ربما افترضا أننا تعرفنا على بعضنا خلال العمل في مناسبات كهذه.

وتبيَّن لي أن تبديل الأكواب والكؤوس خلسة هي المشكلة الأصعب، وتمكنت من الحصول على عينة من كل صينية أعدتها إلى البار. أمَّا "روزي"، فكانت تواجه مشكلات أصعب.

- أنا تهت، والأسامي اتخلبطت في مخي.

مكتبة ٢٩١

قالت لي في جزع، ونحن نمرق جوار بعضنا البعض حاملين المشروبات. كان الزحام قد زاد وبدت هي متوترة. وأنا أحيانًا أنسى أن العديد من الناس لا يعرفون الأساليب الأساسية لحفظ البيانات. وهكذا صار نجاح المشروع متوقفًا عليَّ وحدي.

- هتكون فيه فرصة كويسة لما يقعدوا. مفيش داعي للقلق.

درت بعينيَّ على جميع الموائد المعدة للعشاء، فوجدت أن لكل ترابيزة عشرة كراسي، وهناك مائدتان لكل منها أحد عشر كرسيًا، وهكذا عرفت أن عدد الحضور اثنان وتسعون ضيفًا. وهذا العدد يشمل الطبيبات أيضًا. لم تكن الدعوة موجهة للأزواج والزوجات. كما أن احتمال أن يكون والد "روزي" من المتحولين جنسيًا احتمالٌ ضعيفٌ للغاية. ولكنني سجلت في عقلي ملحوظة أن أدقق في وجوه السيدات بحثًا عن أي سمات ذكورية غابرة، وبالتالي أخذ عينة من أي واحدة منهن أشك فيها. ولكن الأرقام واعدة في المجمل.

بعدما جلس الضيوف، تحوَّلتِ المهمة من تقديم باقة محدودة من المشروبات إلى تلقي الطلبات منهم. والظاهر أن هذا الترتيب كان غير معتاد. ففي العادة يكون المطلوب هو وضع زجاجات النبيذ والبيرة والماء على كل ترابيزة، ولكن لأن هذا الحفل يضم مجموعة من كبار الشخصيات الثرية، فقد قرر النادي أن يستفيد وأمرنا بأن نوصيهم بأغلى المشروبات، ربما بغرض زيادة أرباح النادي. وخطر لي أنني لو أجدت القيام بهذا الدور فربما غفروا لي أي أخطاء أخرى.

اقتربت من إحدى المائدتين ذات الأحد عشر كرسيًا. وسبق أن عرفت نفسي لسبعة من ضيوف تلك الترابيزة، وحصلت على ستة أسماء.

بدأت مع سيدة أعرف اسمها مسبقًا.

- تحياتي، دكتورة "كولي". تحبي تشربي إيه؟

مكتبة ٢٩١

نظرت لي في استغراب، حتى خُيِّل إليَّ أنني ارتكبت خطأً في الكلام، أو أن أكون أخطأت في الاسم. ولكنها لم تصحح لي شيئًا.

- ويسكي وايت، من فضلك.
- تحبي أقترح عليكي مارجريتا؟ الكوكتيل الأشهر على مستوى العالم.
- بتعملوا كوكتيلات؟
- مظبوط.
- طيب .. هاخد مارتيني.
- عادة؟
- أيوه.. متشكرة.

موضوع سهل.

تحوَّلتُ إلى الرجل الذي لا أعرف اسمه والجالس إلى جوارها، وجربت طريقة "روزي" في الحصول على الاسم.

- أهلًا بيك، اسمي "دون"، وفي خدمة حضرتك الليلة دي يا دكتور...
- أنت قلت إنكم بتعملوا كوكتيلات؟
- مظبوط.
- سمعت عن كوكتيل اسمه "روب روي"؟
- طبعًا.
- طيب هاتلي واحد.
- حلو.. سادة.. ولا سبيشيال؟

ضحك أحد الضيوف الجالسين قبالة زبوني:

- أطلبلك واحد، يا "برايان".

- طيب هاتلي واحد سبيشيال.

هكذا عرفت أن اسمه "برايان جويس". هناك اثنان "برايان"، ولكنني كنت قد تعرَفتُ على الأول منهما من قبل.

د. "وولش" (وهي أنثى من دون سمات تدل على أنها كانت ذكرًا من قبل) طلبت مارجريتا.

- سادة، ممتازة، بالفراولة، بالمانجا، بالبطيخ، بالمريمية، ولا أناناس؟

- مريمية وأناناس؟ ليه لأ؟

كان زبوني التالي هو الرجل الوحيد الذي لم أعرف اسمه بعد، ذلك الذي ضحك وقت طلب "برايان". وسبق له أن فشل في الرد على سؤالي على طريقة "روزي". فرأيت ألا أكرر الطريقة.

- تحب تشرب إيه؟

- عايز كاس "سيلميكر دوبل كردستاني" مضروب مش مخلوط.

وطبعًا كانت هذه هي أول مرة أسمع فيها عن هذا المشروب، ولكنني افترضت أن من في البار يعرفونه.

- اسمك من فضلك؟

- نعم؟

- محتاج الاسم.. منعًا للخطأ في الطلبات.

خيَّم الصمت المندهش علينا، ولكن د. "جيني برودهرست" الجالسة إلى جواره تطوعت بتعريفه:

- اسمه "رود".

- دكتور "رودريك برودهرست"، صح؟

مكتبة ٢٩١

سألته على سبيل التأكيد. انتبهت إلى أن الحفل يشمل أيضًا أطباء وطبيبات تربطهما علاقة زوجية. هناك سبعة أزواج وزوجات، وبطبيعة الحال كانت "جيني" جالسة إلى جوار زوجها.

- أيـــ..

قاطعته "جيني":

- مضبوط. أنا "جيني" وأنا كمان هاخد مارجريتا مريمية وأناناس لو سمحت.

ثم التفتت إلى "رود":

- أنت بتهزر؟ "سيلميكر" إيه؟ اختارلك حاجة تستحملها.

نظر "رود" إليها، ثم إليّ:

- متأسف، يا صديقي، كنت بجرب حظي. هاخد مارتيني سادة.

جمعت بقية الأسماء والطلبات بسهولة. فهمت أن "جيني" كانت تحاول أن تخبر "رود" خلسة أنني لم أفهم طلبه، وأنني محدود الذكاء، ولكن بلباقة. استخدمت حيلة اجتماعية، وسجلتها في عقلي لأستخدمها في وقت مناسب، ولكنها ارتكبت خطأ حقائقي لم يقم "رود" بتصحيحه. ربما يأتي يوم ترتكب فيه هي أو هو خطأ سريري أو بحثي نتيجة لسوء التفاهم بينهما.

قبل أن أعود إلى البار، فكرت أن أتحدث إليهما مجددًا:

- مفيش دليل تجريبي على وجود ارتباط بين عدد الوصلات العصبية ومستوى الذكاء لفصيلة الرئيسيات. وأنصحكم تقروا بحث "ويليامز وهيرب"، بعنوان: "مراجعة سنوية لعلوم الأعصاب".

تمنيت أن تكون نصيحتي مفيدة لهما.

مكتبة ٢٩١

عدت إلى البار. سببت طلبات الكوكتيل ارتباكًا واضحًا. لم أجد سوى واحدة فقط من الثلاثة الذين يعملون في البار تعرف كيف تجهز "الروب روي"، وبالطريقة التقليدية وحدها. أعطيتها التعليمات اللازمة لصنع مشروب مثالي. ثم كانت هناك مشكلة في مكونات مارجريتا المريمية والأناناس. لدى البار أناناس (معلب – ولكن لأن الكتاب قال طازج "قدر الإمكان"، فقد قبلت بذلك) ولكن لا توجد مريمية. ذهبت إلى المطبخ فلم أجد لديهم ولا حتى مريمية جافة. من الواضح أن هذا البار ليس من النوع الذي قال عنه الكتاب "بار مجهَّز بالكامل، ومستعد لأي طلب". كان العاملون في المطبخ مشغولين، ولكننا قررنا أن نستخدم أوراق الكزبرة بدلًا من المريمية، كما سجلت في عقلي كل محتويات البار حتى لا أقع في مشكلة المكونات مرة أخرى.

كانت "روزي" بدورها تتلقى الطلبات. ولم نكن قد انتقلنا بعد إلى مرحلة جمع الكؤوس والأكواب، وهناك من يتناول مشروبه ببطء شديد. وأدركت أن فرصتنا ستزيد لو سارت الطلبات بوتيرة أسرع. ومن المؤسف أنني عجزت عن تشجيع الضيوف على شرب مشروباتهم بسرعة أكبر؛ لأنني بهذا أكون قد خالفت واجباتي بوصفي حامل شهادة الخدمة المسؤولة للمشروبات الكحولية. فقررت اللجوء إلى حل وسط يتمثَّل في أن أذكرهم بأنه ما يزال هناك المزيد من الكوكتيلات اللذيذة.

وأنا أتلقى الطلبات، لاحظت تغيرًا في ديناميكية أجواء المكان، وتأكدت من ذلك أثناء مرور "روزي" إلى جواري وهي متضايقة.

– ترابيزة خمسة رفضت أخد منها الطلبات. عايزينك أنت.

الكل يريد كوكتيل ويرفض النبيذ. ولا شك أن أصحاب المكان سيسعدون بكم الأرباح. ومن المؤسف أنهم جهزوا العاملين على أساس أن أغلب الطلبات ستكون إمَّا نبيذ أو بيرة، وبالتالي واجه عمَّال البار مشكلات جمَّة. وجدت أن

مكتبة ٢٩١

درايتهم بالكوكتيلات ضعيفة لدرجة مدهشة، وكان عليَّ أن أملي عليهم الطريقة مع كل طلب.

كان حل المشكلتين بسيط؛ صارت "روزي" تعمل في البار لتساعدهم وقمت أنا بأخذ كل الطلبات بنفسي. الذاكرة الجيدة مفيدة للغاية، فلم أكن بحاجة إلى كتابة أي شيء، أو أن أتعامل مع ترابيزة واحدة في كل مرة. فقد تلقيت طلبات جميع ضيوف المكان مرة واحدة، قبل أن أعود بها إلى البار على فترات معقولة. ومن أجده من الضيوف بحاجة إلى وقت للتفكير أتركه وأعود إليه لاحقًا بدلًا من الانتظار. كنت في الواقع أهرول ولا أمشي، وزدت من إيقاع نطقي بالكلمات إلى أقصى حد رأيته مفهومًا للغير. سارت العملية بكفاءة جدًا، بل وكنت موضع تقدير الضيوف، ومنهم من كان يصفق لي استحسانًا حينما أتمكن من اقتراح مشروب يتصادف أنه مرغوب بشدة لدى صاحبه، أو حينما أكرر طلبات ترابيزة بأكملها عندما يطلبون مني ذلك خشية أن أكون قد نسيت شيئًا.

كان الضيوف ينتهون من مشروباتهم، ووجدت أن بوسعي استبدال ثلاث كؤوس في الطريق بين القاعة والبار. أمَّا البقية فجمعتها مع بعضها وأشرت لـ"روزي" وأنا أحمل الصينية للبار، وأنا أعرِّفُها سريعًا بأسماء أصحاب الكؤوس.

وجدتها متوترة شيئًا ما تحت هذا الضغط. أمَّا أنا فكنت مستمتعًا بوقتي للغاية. حتى إنني كنت حاضر العقل لدرجة التحقق من توافر الكريمة قبل تقديم أطباق الحلو. وتوقعت أن كميتها لن تكون كافية لتغطية عدد الكوكتيلات وأطباق الحلو. فذهبت "روزي" إلى المطبخ لتجلب المزيد. وعندما عُدت إلى البار، وجدت أحد العاملين يناديني:

- أنا كلمت المدير. هيبعت كمية تانية من الكريمة. محتاج حاجة تانية؟

مكتبة ٢٩١

عاينت الأرفف بعيني، وتوصلت إلى توقعات مبنية على أساس "أشهر عشرة كوكتيلات حلوة". وقلت له:

- محتاجين براندي، جاليانو، كريم دي مينت، كوينتراو، أفوكادو، روم أسمر، وروم أبيض.

- واحدة واحدة.

يستحيل عليّ الآن أن أدع الأمور تسير "واحدة واحدة"، فقد سرقتني السكين كما يقولون.

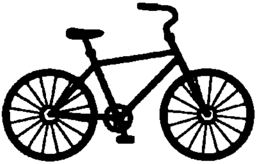

مكتبة ٢٩١

15

وصل المدير؛ رجل في متوسط العمر (مؤشر كتلة الجسم سبعة وعشرون)، ومعه المؤونة الإضافية في توقيت تقديم أطباق الحلو، وأجرى إعادة تنظيم لكل ما يدور خلف البار. كان وقت أطباق الحلو مسليًا للغاية، على الرغم من صعوبة سماع الطلبات خلال ضجيج أحاديث الضيوف. توليت بيع الكوكتيلات المغطاة بأنواع الكريمة، والتي لا يعرف أغلب الضيوف عنها الكثير، ولكنهم تجاوبوا معها بحماس شديد.

ومع قيام الجرسونات برفع أطباق الحلو، أجريت حسابات عقلية سريعة لما قمنا بتغطيته. وكان هذا الأمر يعتمد على "روزي" إلى حد كبير، ولكنني أعتقد أننا جمعنا عينات مما لا يقل عن خمسة وثمانين في المائة من الذكور. وهذا جيد، ولكنه ليس الاستغلال الأقصى لفرصتنا. فبعد أن تأكدت من أسماء الضيوف، حددت أن الكل عدا اثني عشر من الذكور القوقازيين الذين كانوا في حفل التخرج هم من الحاضرين. أمَّا الغائبون فمنهم "آلان ماكفي"، الذي مات، ولكن تم استبعاده بالفعل بفضل فرشاة شعر ابنته.

توجهت إلى البار، وتبعني د. "رالف براونينج":

- ممكن أخد واحد "كاديلاك" كمان؟ دا أفضل مشروب شربته في حياتي.

مكتبة ٢٩١

كان عمّال البار يستعدون للانتهاء من عملهم، ولكن المدير أمر "روزي":

- اعملي للدكتور واحد "كاديلاك".

ظهرت "جيني" ومعها "رود برودهرست" من عند قاعة الطعام، وقال "رود":

- خليهم تلاتة.

أحاط بقية العاملين بالبار بالمدير، ودار بينهم حوار.

- الناس عايزة تمشي.

قالها لي المدير وهو يهز كتفيه. والتفت إلى "روزي" قائلًا:

- أوفر تايم؟

في تلك الأثناء، كان الضيوف يتحلقون حول البار، وكل منهم يرفع يده وينادي على طلب.

ناولت "روزي" كأس "الكاديلاك" للدكتور "براونينج"، قبل أن تلتفت إلى المدير:

- آسفة، لازم يكون معايا اتنين على الأقل علشان أكمل أوفر تايم. مش ممكن أدير بار فيه مائة واحد وأنا لوحدي.

- طيب أنا وهو معاكي.

كان المدير يشير إليَّ.

أخيرًا، أتتني الفرصة لكي أستغل خبراتي. رفعت "روزي" الرف المعلق للبار حتى أدخل.

رفعت د. "ميراندا بول" يدها:

- الطلب نفسه، لو سمحت.

ناديت على "روزي"، بصوت عالٍ، بعد أن صار الصخب حول البار لا يطاق:

- "ميراندا بول". "ألاباما سلامر". اخلطي جين مع ويسكي وجاليانو، تريبل سيك، وعصير برتقان، وشريحة برتقان مع حباية كرز.

مكتبة ٢٩١

- مافيش "تريبل سيك".

- حطي "كوينتراو". قللي الكمية عشرين في المية.

وضع د. "روكاس" كأسه الفارغة على سطح البار، ورفع إصبعه. "كمان كأس". ناديت على "روزي":

- "جيري لوكاس". وكاس فاضية.

فهمتني "روزي"، وتناولت الكأس الفارغة. أتمنى أن تكون قد فهمت أيضًا أننا لم نأخذ عينة من الرجل بعد.

- كاس "أنال بروب" كمان للدكتور "لوكاس".

- حاضر.

كان صوتها يأتيني من المطبخ. ممتاز، لقد تذكرت استبدال الكأس.

ونادى الدكتور "مارتن فان كريجر" بصوت عالٍ:

- فيه كوكتيل "جاليانو" و"تيكيلا"؟

خفت ضجيج الحضور. صار هذا النوع من الأسئلة معتادًا خلال العشاء، وبدا الضيوف معجبين بأدائي. أخذت بضع لحظات في التفكير. فقال "مارتن":

- مش مشكلة إذا كان مفيش؟

- أنا بس بعيد ترتيب قاعدة بياناتي الداخلية.

قلت له مفسرًا سبب تأخري في الرد. وقد تطلب الأمر بضع دقائق قبل أن أجيبه:

- "مكسيكان جولد" أو "فريدي فدباكر".

وجدت الحضور يصفقون.

- هات لي دا ودا.

تعرف "روزي" طريقة تحضير "فريدي فدباكر". وأمليت على المدير طريقة تحضير "المكسيكان جولد".

استمر بنا الحال على هذا المنوال الناجح. ورأيت أن أستغل الفرصة لاختبار جميع الذكور الحاضرين، بمن فيهم أولئك الذين كنت قد استبعدتهم بسبب المظهر العرقي غير المتطابق. وعند الساعة 1:22 بعد منتصف الليل كنت واثقًا من أننا اختبرنا الكل عدا واحد. فحان وقت التصرف.

- دكتور "أنور خان". تعال عند البار لو سمحت.

كان تعبيرًا سمعته ذات مرة في التليفزيون. وتمنيت أن يكون قد عكس درجة السيطرة المطلوبة.

لم يشرب "أنور خان" إلا من كوب الماء، وحمله معه إلى البار.

- أنت مطلبتش أي حاجة الليلة دي.

- وإيه المشكلة؟ أنا مبشربش كحوليات.

- تصرُّف حكيم.

كان ردي يناقض فعلي، وخصوصًا مع زجاجة البيرة التي فتحتها جواري.

- أحب أقدملك "فيرجين كولادا" أو "فيرجين ماري" أو "فيرجين...

في تلك اللحظة، وضعت د. "إيفا جولد" ذراعها على كتف د. "خان". واضح أنها سكرانة.

- فكها شوية، يا "أنور".

التفت د. "خان" إليها، ثم إلى الحضور من حوله، وكانوا حسبما أرى قد وصلوا إلى حد السكر.

- وليكن.. رصلي كاسات "فيرجين".

هكذا وضع كوبه الفارغ فوق البار.

***

مكتبة ٢٩١

لم أغادر نادي الجولف إلا في وقت متأخر. فقد انصرف أخر الضيوف في الساعة 2:32، أي بعد ساعتين ودقيقتين من وقت الإغلاق المفترض. أعددت أنا و"روزي" والمدير مائة وثلاثة وأربعين كوكتيلًا. وباعت "روزي" والمدير بعض زجاجات البيرة وهو ما لم أقم بإحصائه. وقال لنا المدير:

- ممكن تروَّحوا. هنضف الصبح.

مد يده إليَّ، فصافحته كما يرغب، رغم أن الوقت تأخر كثيرًا على هذا التعارف.

- "أمجد".. شغل ممتاز يا شباب.

لم يصافح يد "روزي"، ولكنه نظر إليها وابتسم. لاحظتُ أنها متعبة بعض الشيء. بينما كنت مفعمًا بالطاقة.

- عندكم وقت نشرب حاجة مع بعض؟

- فكرة ممتازة.

ولكن "روزي" اعترضت:

- أنت أكيد بتهزر. أنا هروح. كل حاجة في شنطتك. مش عايز حد يوصلك يا "دون"؟

كانت دراجتي معي، ولم أكن قد شربت سوى ثلاث زجاجات بيرة طوال الليلة كلها. وقدرت أن مستوى الكحول في دمي أقل بكثير من الحد القانوني، حتى بعد أن أشرب كأسًا مع "أمجد". وانصرفت "روزي".

- سمّك؟

- سم؟

- عايز تشرب إيه؟

قصده مفهوم طبعًا، ولكن لماذا.. لماذا لا ينطق الناس ما يريدون بكل وضوح وحسب؟

مكتبة ٢٩١

- بيرة، لو سمحت.

فتح "أمجد" زجاجتي بيرة، ولامسنا الزجاجتين.

- بقالك مدة بتشتغل الشغلانة دي؟

رغم أن الكذب هنا ضروري لأجل مشروعنا، فإنني لم أكن مرتاحًا للكذب.

- دي أول مرة ليا في الشغلانة دي. هو أنا غلطت؟

ضحك "أمجد":

- دمك خفيف فعلًا. المكان هنا كويس جدًّا، ولكن أغلب طلباته طبق ستيك ومشروبات ما بين بيرة وأنواع خمرة. أمَّا الليلة دي كانت مختلفة تمامًا، والفضل يرجعلك.

جرع بعض البيرة، ونظر إليَّ للحظات قبل أن يعقب:

- كنت بفكر أفتح بار صغير ويكون مختلف. فيه لمسة من بارات نيويورك، ولكن برضه فيه لمسات مش موجودة في بقية البارات، لو كنت فاهم قصدي. ولو كنت مهتم بإنك...

إنه يعرض عليَّ عملًا! وكم شعرت بالفخر، بالنظر إلى خبرتي المحدودة، وكان أول ما خطر لي هو أنني تمنيت لو كانت "روزي" موجودة لترى ذلك بنفسها.

- أنا شغَّال فعلًا. متشكر.

- أنا مش بتكلم عن شغل. أنا عايزك تكون شريكي.

- لأ، متشكر. أنا آسف، بس أعتقد إني مش هكون عند حسن ظنك.

- ممكن، بس أنا ليا نظرة خاصة. كلمني لو غيرت رأيك. أنا مش مستعجل.

***

كان اليوم التالي يوم أحد.

مكتبة ٢٩١

رتبت أنا و"روزي" أن نلتقي في المختبر عند الساعة 3:00 عصرًا. تأخرت هي كالعادة، وكنت أنا في عملي بالفعل. تأكدت من حصولنا على عينات من جميع الحضور في حفل لم الشمل، بما يعني أننا اختبرنا الآن الكل عدا أحد عشر من الذكور القوقازيين في الدفعة.

وصلت "روزي" وهي ترتدي جينز أزرق ضيقًا وقميصًا أبيض، واتجهت إلى الثلاجة على الفور. فقلت لها:

- مفيش بيرة قبل ما نختبر كل العينات.

استغرق العمل بعض الوقت، وكنت بحاجة إلى إحضار المزيد من المواد الكيماوية من المختبر الرئيسي.

عند الساعة 7:06 مساءً، خرجت "روزي" لتشتري لنا البيتزا، وهو خيار غير صحي، ولكنني فوَّت موعد العشاء في الليلة الماضية وقدرت أن جسدي سيتمكن من هضم هذه السعرات الحرارية الزائدة. وعندما عادت، كان قد تبقى لي خمس عينات. وبينما كنا نفتح علبة البيتزا، رن جرس موبايلي. وعرفت على الفور هوية المتصل. كانت أمي:

- تليفون البيت مبيردش. قلقت عليك.

رد فعل منطقي من جانبها، حيث أن اتصالها يوم الأحد صار من البنود الأساسية في جدولي الأسبوعي.

- أنت فين؟

- في الشغل.

- بخير؟

- كويس.

مكتبة ٢٩١

شعرت بالحرج و"روزي" تستمع إلى هذه المحادثة الشخصية، وفعلت كل ما بوسعي حتى أنهيها على عجل، فكانت ردودي أقصر ما يمكن. بدأت "روزي" تضحك – من حسن حظي أنه ضحك مكتوم لن تسمعه أمي – وأخذت تصنع تعابير مضحكة بوجهها. قالت لي عندما انتهت المكالمة في نهاية المطاف:

- والدتك؟

- أيوه. عرفتي إزاي؟

- كنت عامل زي ولد عنده ستاشر سنة بيكلم مامته قدام...

سكتت، بعد أن شعرت أنني قد تضايقت بالفعل، ثم عقبت:

- أو زي ما أكون أنا بتكلم مع "فيل".

لفت انتباهي أن "روزي" تعرف أن التحدث إلى الأب أو الأم أمر صعب. أمي شخصية طيبة، ولكنها حريصة دومًا على التعرف على المعلومات الشخصية. التقطت "روزي" شريحة بيتزا، ونظرت إلى شاشة الكمبيوتر.

- شايفة إن مفيش جديد.

- بالعكس، فيه جديد. استبعدنا خمسة، ومتبقي أربعة. بما فيها العينة دي.

كانت نتيجة العينة قد ظهرت أثناء المكالمة، فأردفت:

- احذفي "أنور خان".

شطبت "روزي" الاسم من الورقة، وهي تقول محاكية صوت صاحبنا المسلم:

- بحمد الله.

وذكرتها قائلًا:

- أصعب وأكتر أوردر معقد في الدنيا.

مكتبة ٢٩١

كان الدكتور "خان" قد طلب خمسة مشروبات مختلفة، ليعوِّض امتناعه عن الشرب طوال الليلة السابقة. ومع نهاية الليلة، غادر المكان وهو يستند إلى الدكتورة "جولد".

- أيوه، وأنا لخبطت الدنيا. حطيتله روم في الفيرجين كولادا.

- حطيتيله خمرة؟

أعتقد أن في هذا انتهاك لمعتقداته الشخصية أو الدينية.

- أكيد مش هياخد باله بين كل أنواع الفيرجين اللي شربها.

كنت أعرف نظرية دينية ذات صلة. وموقفي، كما شرحته للعميدة، هو أنني أعتبر أن لكافة المعتقدات غير العلمية نفس الوجاهة والجدارة. ولكنني وجدت هذا المعتقد لافتًا.

- اختياره مش منطقي من وجهة نظري. هو بيشرب الفيرجين. بس أنا عارف طبعًا إن أنسب ست لأي رجل سانج هي اللي ليها تاريخ طويل من العلاقات.

ضحكت "روزي"، وفتحت زجاجتي بيرة. كانت تنظر إليَّ، بالطريقة التي لا يفترض بي أن أنظر بها للآخرين.

- أنت مدهش. أكثر شخص مدهش قابلته في حياتي. وأنا مش عارفة ايه السبب اللي يخليك تعمل كل دا علشاني، لكن.. شكرًا.

لامست زجاجتي بزجاجتها، ثم أخذت تشرب.

شعور مبهج أن تسمع أحدًا وهو يمتدحك، ولكن هذا بالتحديد ما أثار قلقي عندما تحدثت مع "كلاوديا". الآن صارت "روزي" تتساءل عن دوافعي. هي تقدمت لمشروع الزوجة، ومن المفترض أن لديها توقعات على ذلك الأساس. من هنا وجدت أن الوقت قد حان لأصارحها.

مكتبة ٢٩١

- يمكن تفتكري إني بعمل دا علشان أدخل معاكي في علاقة رومانسية.

- الفكرة دي جت في بالي فعلًا.

هكذا تأكدت الفرضية.

- إذن أنا آسف جدًّا لو كنت اتسببت في انطباع مش صح.

- تقصد إيه؟

- أنا مش مهتم بيكي من الناحية الرومانسية. كان لازم أقولك كدا من بدري، ولكن أنتِ مش مناسبة أبدًا ليا كزوجة.

حاولت أن أقيس رد فعل "روزي"، لكنني ضعيف في تفسير تعبيرات الوجوه.

- طيب.. أكيد مش هيزعلك بقى لو قلتلك إني شايفة إنك متنفعش ليا نهائيًّا.

غمرني ارتياح شديد. أنا لم أجرح مشاعرها إذن. ولكن بقي سؤال بلا إجابة.

- طيب إيه اللي دفعك تتقدمي لمشروعي؟

كنت أستخدم كلمة "تتقدمي" اعتباطًا؛ لأن "جين" لم يطلب من "روزي" تعبئة استمارة الاستبيان. ولكن إجابتها أوحت لي بوجود مستوى خطير من سوء التواصل بيننا.

- مشروعك؟

قالتها وكأنها تسمع به لأول مرة.

- "جين" بعتك ليا باعتبارك واحدة من اللي مترشحين في مشروعي. قالي إنك النمرة الكسبانة.

- بتقول بعتني؟

- أنتِ مسمعتيش عن مشروع البحث عن زوجة؟

سألتها، وأنا أحاول التوصل إلى نقطة مشتركة في هذا الحوار.

أجابتني بنبرة من توجه وتؤنب طفلها الصغير:

مكتبة ٢٩١

- لأ. مسمعتش قبل كدا عن مشروع البحث عن زوجة. ولكن أنا مستعدة أسمع. وبالتفصيل.

- طبعًا.. ولكن لازم نعمل كدا وإحنا بناكل البيتزا ونشرب البيرة، علشان ما نضيعش وقت أكتر من كدا.

- أكيد.

شرحت لها بشيء من التفصيل مشروع البحث عن الزوجة، بما في ذلك استعراض المرشحات مع "جين" والزيارات الميدانية لمؤسسات التعارف بين الجنسين. انتهيت من حكايتي مع آخر قطعة بيتزا. ولم تطرح "روزي" أي أسئلة، ولكنها كانت تعلق بعبارات تعجب أثناء سردي.

- وبعدين.. أنت لسة شغَّال على المشروع دا؟ مشروع الزوجة؟

شرحت لها أن المشروع ما يزال قائمًا من الناحية الفنية، ولكنه من الناحية العملية متوقف، في ظل عدم وجود أي مرشحات.

- خيبة كبيرة إنك مقدرتش ولحد دلوقتي توصل لواحدة مناسبة.

- أعتقد إن فيه أكتر من مرشحة معاييرها مظبوطة، ولكن الموضوع أشبه بالبحث عن متبرع بنخاعه الشوكي. أقصد أن العدد قليل جدًّا.

- أتمنى إن عدد أكبر من الستات تنتبه لمسؤولياتها وتقدم أوراقها ليكم.

وجدته تعليقًا لافتًا. فأنا لا أشعر أن هناك أي مسؤولية على السيدات تجاه مشروعي هذا. كنت في الأسابيع الأخيرة، وأنا أفكر في مشروعي وعدم نجاحه، أشعر بالحزن لفكرة أن هناك عددًا كبيرًا من السيدات اللاتي تبحثن عن شريك حياة، وإلى حد قيامهن بتعبئة الاستمارات، على الرغم من محدودية احتمال أن تستوفي واحدة منهن معاييري.

- الموضوع اختياري تمامًا.

عندئذٍ بادرتني "روزي" بنبرة تصاعد فيها الغضب:

- يبقى حظهم حلو. عندي ليك فكرة كويسة. كل واحدة بتوافق إنها تشترك معاكم بتبقى سعيدة بفكرة إنها موضع اهتمام منكم. وممكن تقول فعلًا إن دا اختيارها. ولكنك لو فكرت ولو دقيقتين في إن المجتمع هو اللي أجبرها على كدا، هتعرف إن الموضوع مفيهوش اختيار. اللي أنا عايزة أعرفه هو هل أنت بتدور على واحدة بتفكر بالطريقة دي؟ هل هي دي نوعية الزوجة اللي أنت عايزها؟ أنت عارف أنا بلبس بالطريقة دي ليه؟ وعارف ليه أنا بلبس النضارة دي؟ لأني مش عاوزة حد يبصلي على إني شيء، أو موضوع اختبار. ياريتك تعرف قد إيه حسيت بالإهانة لما عرفت إنك اتعاملت معايا على إني متقدمة أو مرشحة أو..

- لمَّا هو دا رأيك، إيه اللي خلاكي تروحي تقابليني يومها؟ وتوافقي تقابليني تاني يوم بعد خناقة البدلة؟

- لو تفتكر.. يوم ما كنا في شقتك، في البلكونة. سألتك سؤال عن حجم الخصيتين؟

أومأت برأسي.. أتذكر.

- ما خطرش في بالك إن غريب إني أسألك سؤال زي دا في أول مرة نتقابل فيها؟

- الحقيقة لأ. أنا عن نفسي بكون مركز إني مقولش أي حاجة غريبة في أول مرة أقابل فيها ست.

قالت لي بنبرة أكثر هدوءًا:

- أوكيه.. سبب إني سألتك السؤال دا هو إني كنت مراهنة "جين". صاحبك المهووس بالجنس. راهني إن البشر مش أحاديي الجنس بطبيعتهم، وإن الدليل على كلامه هو حجم الخصية عند الذكور. وبعتني لمتخصص في الجينات علشان أعرف رأيه ونشوف مين كسب الرهان.

مكتبة ٢٩١

تطلب الأمر مني بضع دقائق حتى أحلل المغزى من كلام "روزي". لم يكن "جين" قد عرفها أنها مدعوة على العشاء معي. أي إن امرأة – "روزي" – قبلت عرضًا للقاء رجل من دون أن تعرف الموضوع بأكمله. أي أنه فخ. غمرني إحساس غير عقلاني وغير متوازن بالرضا. ولكن "جين" ضللها. ويبدو أنه استغل "روزي" ماديًا كذلك.

- خسرتي فلوس كتير؟ أنا شايف إنه مش أخلاقي إن بروفيسور جامعي يراهن جرسونة في بار.

- أنا مش جرسونة في بار.

شعرت أن نبرة الغضب قد عادت في كلامها من جديد.

- دي شغلانة مؤقتة. أنا بحضَّر الدكتوراه في علم النفس، فهمتني؟ أنا في قسم "جين". فهمتني دلوقتي؟

طبعًا! تذكرت فجأة أنني قد رأيتها من قبل – كانت تناقش "جين" بعد واحدة من محاضراته. تذكرت أن "جين" طلب منها وقتذاك أن تتناول معه القهوة – كما هي عادته كلما التقى امرأة جميلة – ولكنها رفضت. ولسبب ما شعرت بالسعادة وأنا أتذكر هذا. ولو أنني تذكرتها عندما جاءت إلى مكتبي في أول مرة، لأمكنني تفادي كل سوء الفهم هذا. الآن وضحت الصورة تمامًا، بما في ذلك طريقة أدائها مع ذلك الطبيب. تبقى أمران فقط.

- ليه معرفتنيش كل دا؟

- لأني جرسونة فعلًا، وأنا مش خجلانة من شغلانتي. تقدر تقبلني أو ترفضني وأنا زي ما أنا؛ جرسونة.

افترضت أنها تتكلم بطريقة المجاز.

مكتبة ٢٩١

- ممتاز. كدا كل شيء بقى واضح. تقريبًا.
- طيب كويس. لكن ليه تقريبًا دي؟ لازم تعرف كل حاجة عن أي حاجة.
- ليه "جين" خبى عني كل دا؟
- لأنه حمار.
- "جين" أقرب صديق ليا.
- يبقى ربنا معاك.

***

طالما اتضحت الأمور، فإن الوقت قد حان للانتهاء من هذا المشروع، رغم أن فرص العثور على الأب ضئيلة للغاية هذه الليلة. بقي أربعة عشر مرشَّحًا ولم يتبقَ معنا سوى ثلاث عينات. نهضت واتجهت إلى الماكينة. فسألتني "روزي":
- اسمعني. أنا هسألك تاني.. أنت ليه بتعمل معايا كل دا؟

تذكرت تفكيري في هذا السؤال، وكانت الإجابة التي توصلت إليها تشتمل على تحدٍ علمي، وكذلك على نوع من الإيثار الإنساني. ولكن عندما هممت بأن أشرح لها ذلك، أدركت أن هذا غير صحيح. قمنا هذه الليلة بتصحيح الكثير من الافتراضات غير المفهومة وغير الصحيحة في التواصل بيننا. فليس عليَّ أن أصنع سوء تواصل جديدًا.
- مش عارف.

عدت إلى الماكينة وبدأت تحميل العينة. قطع عليَّ استغراقي في العمل صوت تهشم زجاج. لقد ألقت "روزي" بإحدى أوعية الاختبار بقوة نحو الجدار. ومن حسن الحظ أنها لم تكن تحمل عينة غير مختبرة. صاحت فيّ وهي تخرج:
- أنا زهقت من الموضوع دا كله.

مكتبة ٢٩١

***

في الصباح التالي، سمعت طرقات على باب مكتبي. كانت "روزي".

- ادخلي. أعتقد إنك هنا علشان تعرفي نتيجة أخر تلات عينات.

مشيت "روزي" بخطوات بطيئة مريبة إلى مكتبي، حيث كنت أراجع بعض البيانات التي يفترض أنها غاية في الأهمية.

- لأ. أعتقد إنها سلبية، وإلا كنت هتتصل بيا.

- صح.

وقفت ونظرت إليَّ في صمت. أدركتُ أن في مثل هذا الصمت فرصة لي حتى أتحدث، ولكنني لم أجد كلامًا أقوله، وأخيرًا، تحدثت هي:

- أنا آسفة على اللي حصل امبارح.

- أنا متفهم لتصرفك تمامًا. صعب جدًّا إن الواحد يبذل الجهد دا كله من غير أي فايدة. ولكن أنا متعود على كدا بصفتي عالم.

تذكرت أنها هي أيضًا خريجة كلية علمية، وأنها جرسونة أيضًا.

- أنا أقصد مشروعك أنت. أعتقد إن فكرته غلط، بس أنت مش ممكن هتكون مختلف عن بقية الرجالة في نظرتك للست – الفرق إنك صريح شوية. وعلى كل.. أنت عملت حاجات كتيرة علشاني.

- كان سوء تفاهم، ومن حسن الحظ إننا صححناه. وبالتالي ممكن نكمل مشروع البحث عن الأب بعد ما صفينا الجوانب الشخصية.

- مش هنكمل إلا لما أفهم سبب إصرارك دا.

السؤال الصعب مجددًا. ولكنها كانت سعيدة للمضي قدمًا في مشروعها وقت أن كانت تظن أنني أحمل لها اهتمامًا رومانسيًّا، حتى ولو لم تكن هي تبادلني نفس ذاك الاهتمام. قلت لها بصدق:

مكتبة ٢٩١

- دوافعي متغيرتش. أنا كان همي دوافعك أنتِ. كنت فاكرك مهتمة بيا كشريك في البحث. ومن حسن الحظ إن الافتراض ده كان مبني على معلومات مغلوطة.

- مش الأحسن إنك تركز على مشروعك أنت؟

سؤال في وقته تمامًا. فقد كانت البيانات التي أطالعها على الشاشة تشير إلى تقدم حقيقي.

- عندي خبر كويس. أنا وصلت لمرشحة استوفت معاييري تمامًا وبكل دقة.

- جميل.. أنت كدا مش محتاجلي.

لم أتوقع هذا الرد الغريب أبدًا. فأنا لم أكن محتاجًا لـ"روزي" في أي شيء.. بخلاف مشروعها هي.

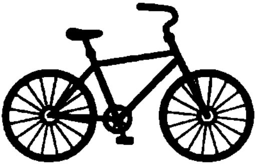

16

اسم المرشحة "بيانكا ريفيرا"، واستوفت جميع المعايير. هناك عقبة وحيدة، رغبت أن أخصص لها وقتًا. كانت قد كتبت أنها فازت مرتين ببطولة الرقص في الولاية، وتريد من شريك حياتها أن يكون راقصًا بارعًا. وبدا لي معقولًا تمامًا أن يكون لها هي بدورها بعض المعايير في شريك حياتها، وهذا معيار من السهل استيفاؤه. كما أن لديَّ مكانًا مثاليًّا لاصطحابها إليه.

اتصلت بـ"ريجينا"، مساعدة العميدة، وتأكدت من أنها ما تزال تبيع تذاكر لحفل أعضاء هيئة التدريس. ثم أرسلت رسالة إلكترونية إلى "بيانكا" أدعوها فيها أن تكون رفيقتي إلى الحفل. وأجابت بالقبول! هكذا صار لديَّ موعد رومانسي – مثالي. وأمامي الآن عشرة أيام أتعلم خلالها الرقص.

دخل "جين" مكتبي، بينما كنت أتمرن على خطوات راقصة.

- أفتكر إن إحصائيات طول عمر الإنسان كانت قصدها الجواز من ناس عايشة يا "دون".

كانٍ يلمح إلى الهيكل العظمي الذي كنت أستخدمه كرفيقة رقص وأنا أتمرن. استعرته من قسم التشريح، ولم يسألني أحد عن سبب احتياجي له. رغم أنني أكاد أكون متأكدًا من كونه هيكلًا عظميًّا لذكر، بالنظر إلى حجم عظمة الحوض،

مكتبة ٢٩١

ولكن هذا غير مهم في التمرين على الرقص. شرحت الأمر لـ"جين"، وأنا أذكره بذاك المشهد من فيلم "جريس" الذي علقت أفيشه في مكتبي.

- عايز تقوللي إن الست، أقصد الدكتورة، اللي وقع عليها اختيارك ظهرت فجأة في الإنبوكس بتاعك؟

- اسمها "بيانكا ريفيرا".

- عندك صورة ليها؟

- مش ضروري. ترتيبات معادنا دقيقة جدًا. هتحضر حفلة هيئة التدريس.

- أوه .. شِت.

سكت "جين" لدقائق، فاستأنفت التمرين على الرقص، قبل أن يردف:

- "دون" .. الحفلة يوم الجمعة بعد الجاية.

- مظبوط.

- مش ممكن تقدر تتعلم الرقص في تسعة أيام.

- عشرة. أنا بدأت امبارح. سهل أفتكر الخطوات. كل اللي أنا محتاجه هو إني أتمرن على الحركات والإيقاع. والموضوع أسهل بكتير من الفنون القتالية.

استعرضت أمامه بعض الحركات.

- رائع جدًّا. اتفضل اقعد يا "دون".

جلست.

- أتمنى متكونش متضايق مني بسبب موضوع "روزي".

انتبهت إلى أنني كنت قد نسيت الأمر فعلًا:

- أنت ليه معرفتنيش إنها طالبة في علم النفس؟ وليه معرفتنيش بالرهان؟

مكتبة ٢٩١

- اللي فهمته من "كلاوديا" إنكم كنتم منسجمين مع بعض. وخمنت إنها طالما مقالتش ليك أي حاجة فأكيد ليها أسبابها. هي ممكن تكون مخبولة حبتين، بس هي مش غبية.

- منطقي جدًّا.

طبيعي ألا أجادل أستاذ علم نفس في موضوعات التواصل الإنساني.

- أنا مبسوط إن فيه حد فيكم إنتم الاتنين مرتاح للعلاقة دي. ولازم أقولك إن "روزي" كانت زعلانة مني. دا غير إنها أصلًا زعلانة من حياتها. اسمعني يا "دون"، أنا أقنعتها تحضر الحفلة. لوحدها. ولو تعرف طبيعة علاقتي بـ"روزي"، هتعرف قد إيه كان من الصعب عليَّ إني أقنعها. أنا هنا علشان عايزك أنت كمان تعمل كدا.

- أعمل إيه.. آخد بنصيحتك؟

- لأ. إنك تحضر الحفلة لوحدك. أو إنك تطلب من "روزي" تكون رفيقتك في الحفلة.

الآن أفهم ما يرمي "جين" إليه. إنه شديد التركيز على الجاذبية الجنسية، حتى إنه صار يراها في كل مكان حوله. ولكنه على خطأ هذه المرة.

- أنا اتناقشت مع "روزي" بكل صراحة في العلاقة اللي بيننا. إحنا الاتنين مش مهتمين بالعلاقة دي.

- ومن امتى الست بتناقش أي حاجة بصراحة؟

***

زرت "كلاوديا" لأتلقى منها نصيحة بشأن موعدي المهم مع "بيانكا". كنت أفترض أنها ستكون موجودة في الحفل باعتبارها زوجة "جين"، وعرفتها أنني قد أحتاج إلى مساعدتها في تلك الليلة. لكنني اكتشفت أنها لا تعرف أي شيء عن موضوع الحفلة من الأصل.

مكتبة ٢٩١

- خليك على طبيعتك، يا "دون". لو هي مش عايزاك زي ما أنت يبقى متنفعكش أبدًا.

- أظن إن مفيش أي واحدة هترضى بيا وأنا على طبيعتي.

- نسيت "دافني"؟

معها حق – كانت "دافني" مختلفة عن بقية السيدات اللاتي التقيتهن. حجة ممتازة؛ النفي بمثال مناقض. وربما تكون "بيانكا" النسخة الراقصة الأصغر عمرًا من "دافني".

- ونسيت "روزي"؟

- "روزي" مش مناسبة تمامًا.

- مش دا قصدي من السؤال. مش شايف إنها كانت متقبلة لشخصيتك وهي على طبيعتها؟

فكرت في الأمر لدقيقة. يا له من سؤال صعب.

- ممكن يكون معاكي حق. وأعتقد إن دا لأنها مكنتش بتتعامل معايا كشريك حياة محتمل.

- وجميل إنكم كنتم حاسين بعض على الأساس دا.

أحاسيس! أحاسيس.. أحاسيس! أنا أجد الأحاسيس سببًا في اختلال كياني. وبالإضافة إلى تلك الرغبة الملحة في أن أعمل على مشروع البحث عن أبيها مهملًا مشروعي أنا، صرت الآن قلق للغاية تجاه "بيانكا".

يتهمونني دومًا بنقص المشاعر، وكأن هذه خطيئة. ولذلك كان قراري بالتفاعل مع الزملاء من الأطباء وعلماء النفس – ومنهم "كلاوديا" – بسبب رغبتي في تلمس مشاعري وعواطفي تلك. ولكن ما يقصدونه حقًا هو أن عليَّ أن أستسلم لها.

مكتبة ٢٩١

ولكنني سعيد باكتشافها والتعرف عليها وتحليلها. تلك مهارة مفيدة وأود أن أصقلها. ومن حين لآخر يمكن الاستمتاع بعاطفة – مثل امتناني تجاه أختي التي زارتني خلال أوقاتي العصيبة، وذلك الإحساس الذي يعتريني بعد تناول كأس من نبيذ راقٍ – ولكن علينا أن نتنبه حتى لا تكون المشاعر عائقًا أمامنا.

شخصت حالتي الراهنة بوجود حمل زائد في المخ، وأعددت جدولًا لتحليل الموقف.

بدأت بتدوين جميع مسببات الخلل في جدولي اليومي. وجدتُ أن هناك سببين إيجابيين بلا جدال. كما وجدت أن "إيفا"، عاملة النظافة صاحبة الجيب القصيرة، تقوم بعمل ممتاز أتاح لي قدرًا جيدًا من الوقت. ومن دونها لم يكن ممكنًا لي القيام بكل ما قمته به من أنشطة إضافية. ثم أنا لديَّ الآن – وبعيدًا عن القلق تجاهها – مرشحة مثالية في مشروع الزوجة. أول مرة منذ أن قررت أن أتزوج أعثر على مرشحة مثالية إلى هذا الحد. والمنطق يملي عليَّ أن مشروع الزوجة، الذي كنت قد قررت أن أخصص له أغلب وقت فراغي، يحتاج إلى الحد الأقصى من اهتمامي. وهكذا توصلت إلى المشكلة رقم واحد. وهي أن عواطفي لا تتماشى مع المنطق. فقد وجدتني مترددًا في انتهاز تلك الفرصة.

لم أكن أعرف ما إذا كنت سأدرج مشروع الأب في الخانة الإيجابية أم السلبية، ولكنني أعرف أنه استهلك وقتًا هائلًا والنتيجة صفر. كما أن حججي للاستمرار فيه كانت دائمًا ضعيفة، كما بذلت فيه مجهودًا أكبر بكثير مما هو متوقع مني. وإذا أرادت "روزي" تحديد مكان بقية العينات والحصول عليها من المرشحين الباقين، فلتفعل ذلك بنفسها. لديها الآن خبرة عملية كبيرة في هذا الصدد. ويمكنني أن أساعد فقط في أداء الاختبارات الفعلية. ها أنا ذا مرة أخرى أمام تناقض بين المنطق والعاطفة. أجدني أرغب في مواصلة مشروع البحث عن الأب. فلماذا؟

مكتبة ٢٩١

يكاد يكون من المستحيل إجراء مقارنات بشأن مستويات السعادة، خصوصًا عبر فترات طويلة من الزمن. ولكن إذا طلب مني أن أختار أسعد يوم في حياتي، لرشحت، من دون تردد، أول يوم قضيته في المتحف الأمريكي للتاريخ الطبيعي في نيويورك، عندما سافرت إلى هناك لمؤتمر خلال دراستي للدكتوراه. أمّا ثاني أفضل يوم فهو ثاني يوم لي هناك، وثالث أفضل يوم هو ثالث يوم لي في نفس المتحف. ولكن بعد الأحداث الأخيرة، صار الاختيار صعبًا. من الصعب أن تختار بين متحف التاريخ الطبيعي وليلة صنع الكوكتيلات في حفل لم الشمل في نادي الجولف. ألا ينبغي لي أن أفكر في الاستقالة من عملي وقبول عرض "أمجد" بمشاركته البار؟ ألن أكون في سعادة دائمة حينئذٍ؟ بدت لي فكرة سخيفة.

سبب حيرتي أنني كنت أتعامل مع معادلة تحتوي على قيم سلبية كبيرة - وأخطرها تعطل جدولي اليومي - وقيم إيجابية كبيرة - تلك الخبرات والتجارب الممتعة. ويعني عجزي عن تحديد تلك العوامل بدقة أنني عاجز عن تحديد النتيجة النهائية - سلبية كانت أو إيجابية. كما أن هامش الخطأ كبير. ميزت مشروع البحث عن الأب بكونه ذا صافي قيمة غير محدد، وصنفته ليكون مصدر الاختلال الأكثر جدية.

كان العنصر الأخير في جدولي هو الخطر الداهم المتمثل في أن تؤدي عصبيتي ومشاعري المتناقضة تجاه مشروع الزوجة إلى عرقلة التفاعل الاجتماعي مع "بيانكا". لم أكن قلقًا من حكاية الرقص - فأنا واثق من أنني سأتمكن من الاعتماد على خبرتي في التحضير لمباريات فنون الدفاع عن النفس، مع ميزة إضافية تتمثل في إمكانية تناول أكبر قدر من المشروبات الكحولية، وهو الأمر الممنوع في مباريات الدفاع عن النفس. قلقي الأكبر من الوقوع في أي زلة اجتماعية. فسيكون من الرهيب أن أفقد تلك العلاقة المثالية لأنني فشلت في

مكتبة ٢٩١

الانتباه لنبرة سخرية أو لدعابة ماكرة، أو لأنني نظرت في عينيها لفترة أطول أو أقصر من اللازم والمتعارف عليه. طمأنت نفسي بأن "كلاوديا" كانت على صواب: إذا كانت تلك الأمور تهم "بيانكا" بهذا الشكل المفرط، فإنها بالتالي ليست الزوجة المثالية لي، ولكنني سأكون على الأقل في وضع يمكنني من تحسين وتطوير نموذج الاستبيان لاستخدامه مستقبلًا.

كما أنني ذهبت إلى متجر متخصص في أزياء الحفلات، بنصيحة من "جين"، واخترت الزي الأكثر رسمية من بقية الأزياء.. فأنا لا أرغب أبدًا في تكرار حادثة السترة.

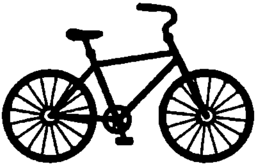

مكتبة ٢٩١

17

كانت الحفلة ليلة الجمعة في مركز احتفالات قرب النهر. وعلى سبيل الاحتياط، جلبت معي زي الحفلة إلى مكتبي، وتمرنت على رقصة تشاتشا والرومبا مع الهيكل العظمي أثناء انتظاري الانصراف. وعندما توجهت إلى المختبر لإحضار زجاجة بيرة، شعرت بفيض مشاعر قوية. فقد كنت أفتقد مشروع البحث عن الأب.

كانت تلك البدلة الصباحية، ذات الذيل والقبعة العالية، غير مناسبة إطلاقًا لركوب الدراجة، وهكذا أخذت تاكسي لأصل في الساعة 7:55 مساءً بالضبط. وكما هو مخطط له، توقف تاكسي آخر خلفنا، وخرجت منه سيدة طويلة سوداء الشعر. كانت ترتدي أعجب فستان في العالم: به الكثير من الألوان الزاهية.. أحمر.. أزرق.. أصفر.. أخضر.. مع تصميم معقد أبرز تفاصيله هو ذلك القطع الطويل في جانب جسدها. لم يسبق لي أن رأيت سيدة بمثل هذه الروعة. قدرت أن عمرها خمسة وثلاثون، مؤشر كتلة الجسم اثنان وعشرون، أي أن ردودها على أسئلة الاستبيان كانت سليمة. في الميعاد تمامًا. لا تبكير ولا تأخير. فهل أنا بالفعل أمام زوجة المستقبل؟ لم أصدق نفسي.

مكتبة ٢٩١

تأملتني بينما كنت أترجل من التاكسي، قبل أن تستدير وتتجه نحو المدخل. أخذتُ نفسًا عميقًا قبل أن أتبعها. دخلت وتطلعت حولها. لمحتني مجددًا، فأمعنت النظر هذه المرة. اقتربت منها، بما يكفي لأن أتحدث معها، وأنا أحاذر ألا أخترق حيزها الشخصي. نظرت في عينيها. عددت.. واحد.. اثنان. ثم خفضت عينيَّ قليلًا، قليلًا للغاية.

- هاي .. أنا "دون".

نظرت إليَّ للحظات، قبل أن تمد يدها لتصافحني، بضغطة بسيطة من أصابعها.

- أنا "بيانكا". أنت.. متأنق جدًا.

- طبيعي. الدعوة مشترطة الزي الرسمي.

مرت ثانيتان قبل أن تضحك رغمًا عنها:

- للحظة افتكرتك بتتكلم جد. دمك خفيف فعلًا. أنت كنت محدد شرط حس الدعابة في قايمة الشروط، ولكنك طبعًا مش متوقع إني أكون كوميديانة. أنا شايفة إن احنا هنقضي وقت ممتع مع بعض.

كانت الأمور تسير على ما يرام بالفعل.

قاعة الاحتفال ضخمة – هناك عشرات الترابيزات التي يجلس إليها أكاديميون في ملابسهم الرسمية. التفت الكل إلينا ونحن ندخل المكان، ومن الواضح أننا تركنا انطباعًا قويًا في أنفسهم. ظننت في البداية أن السبب هو فستان "بيانكا" الرائع، ولكنني وجدت الكثير من السيدات اللاتي اخترن فساتين تضاهيها في الروعة. ثم لاحظت أن الرجال جميعهم وبلا استثناء يرتدون بدلًا سوداء وقمصانًا بيضاء وببيونات. لا أحد منهم يرتدي بدلة بذيل أو قبعة عالية. عندئذٍ أدركت رد فعل "بيانكا" وسبب ضحكها. شعرت

مكتبة ٢٩١

بالضيق، ولكن الموقف لم يكن غريبًا عليَّ. لوَّحتُ بقبعتي للحاضرين، فصاحوا محيين. ويبدو أن "بيانكا" كانت مستمتعة بهذا الاهتمام.

ذهبنا إلى مكاننا، ترابيزة رقم 12، حسب المخطط له، عند طرف حلبة الرقص. كانت هناك فرقة موسيقية تدندن وتضبط آلاتها. تأملت آلاتهم، فبدا لي أن مهاراتي الجديدة في رقص تشاتشا، والسامبا، والرومبا، والفوكستروت، والفالس، والتانجو، واللامبادا لن تكون مطلوبة. وسيكون عليَّ أن أعتمد على تدريبات اليوم الثاني الذي أمضيته في مشروع إجادة الرقص.. على الروك أند رول.

نصحني "جين" أن أصل بعد نصف ساعة من توقيت البداية الرسمية، وهكذا وجدنا أن جميع الكراسي حول ترابيزتنا مشغولة ما عدا ثلاثة. أحدهما لـ"جين"، الذي كان يتجول في المكان، ويصب الشامبانيا للضيوف. ولم تكن "كلاوديا" موجودة.

لمحت "لازلو هيفيسي"، من قسم الفيزياء، الذي كان يرتدي ملابس غير ملائمة بالمرة، ملابس كاجوال، ويجلس إلى جوار سيدة أدهشني أنها "فرانسيس" التي التقيتها من قبل في ليلة الاجتماع الرباعي السريع. إلى الجانب الآخر من "لازلو"، وجدت "هيلينا الجميلة". وهناك كذلك رجل ثلاثيني داكن الشعر (مؤشر كتلة جسمه عشرون) ترك ذقنه بلا حلاقة لعدة أيام، وإلى جواره أجمل امرأة رأيتها في حياتي. ففي تناقض مع تعقيد تصميم ملابس "بيانكا"، كانت هي ترتدي فستانًا أخضر بسيطًا للغاية، وقماشه محدود للغاية لدرجة أنه لا يحتوي على حمالات لتثبته فوق جسدها. ولكنني لم أنتبه إلا بعد دقيقة إلى أن "روزي" هي التي ترتديه.

أخذت مكاني أنا و"بيانكا" في الكرسيين المتبقيين، بين الرجل الملتحي و"فرنسيس"، متوخيين في ذلك ترتيب رجل بعده امرأة المتبع. تولت "روزي"

مكتبة ٢٩١

تقديم الجميع للجميع، وأدركت أنه البروتوكول الذي تعلمته للمؤتمرات ولم أستخدمه أبدًا.

- "دون" أعرفك بـ"سيتفان".

كانت تقصد الملتحي. مددت يدي أصافحه، بضغط أصابع يساوي ضغط أصابعه، الذي قدرت أنه مبالغ فيه. تولد لديَّ على الفور انطباع سلبي عنه. أنا في العموم غير كفوء في تقييم بقية البشر، إلا من خلال مضمون كلامهم أو مراسلاتهم. ولكنني متمرس على تمييز الطلاب المشاغبين. مدحني "ستيفان":

- سمعتك سبقاك.

ربما أكون تعجلت في حكمي عليه.

- شفت أعمالي؟

ضحك وهو يجيبني:

- ممكن تقول كدا.

أدركت أنه من غير اللائق أن أستكمل هذا الحوار قبل أن أقدم "بيانكا".

- "روزي".. "ستيفان".. اسمحولي أقدملكم "بيانكا ريفيرا".

مدت "روزي" يدها إليها:

- تشرفنا.

تبادلا ابتسامة مصطنعة، بينما صافح "ستيفان" يد "بيانكا".

مكتبة ٢٩١

انتهت مهمتي، فعدت إلى "لازلو"، الذي لم أكن قد حدثته لبعض الوقت. كان الشخص الوحيد الأسوأ مني في المهارات الاجتماعية، ولذلك أشعر بالطمأنينة طالما كان في الجوار. قلت له وأنا أرى أن الرسميات لن تكون مناسبة معه:

- إزيك .. "لازلو". إزيك .. "فرنسيس". أنتِ لقيتي رفيق. قابلتي كم واحد قبل ما تختاريه؟

تدخل "لازلو" قائلًا:

- "جين" عرَّفنا على بعض.

كان يحدق بشكل غير مؤدب في "روزي". أشار "جين" بإبهامه مؤيدًا "لازلو"، ثم اقترب مني و"بيانكا" ومعه زجاجة الشامبانيا. إلا أن "بيانكا" بادرته:

- أنا و"دون" مبنشربش.

قالتها وهي تقلب كأسها وكأسي. ابتسم لي "جين" ابتسامة عريضة. كان رد فعل عجيب من جانبي على هذه الرقابة الإجبارية - من الواضح أن "بيانكا" كانت تجيب على النموذج الأصلي للاستبيان.

سألتها "روزي":

- أنتِ و"دون" تعرفوا بعض من إمتى؟

- بيجمعنا حب الرقص.

ظننت أن هذه إجابة ممتازة، وخاصة أنها لم تشر إلى مشروع الزوجة، ولكن "روزي" رمقتني بنظرة غريبة.

- جميل. أنا مشغولة جدًّا بالدكتوراه، ومعنديش وقت للرقص.

- لازم تنظمي وقتك. أنا مؤمنة جدًّا بتنظيم الوقت.

- طبعًا.. أنا..

مكتبة ٩١٤

- أول مرة وصلت فيها لنهائي مسابقة رقص كنت بحضَّر الدكتوراه. وفكرت يا إما أنسحب من بطولة الترايثلون أو من كورس الطبخ الياباني، لكن..

ابتسمت "روزي"، ولكنها لم تكن ابتسامتها المعتادة:

- لأ. خلي بالك. الراجل بيحب الست اللي بتعرف تطبخ.

- أنا أفضل نتجاهل الصور النمطية دي. وافتكر إن "دون" نفسه طباخ ماهر.

يبدو أن اقتراح "كلاوديا" أن أذكر مهارتي في الطهي في استمارة الاستبيان كان مثمرًا بالفعل. والدليل هو "روزي".

- طباخ ممتاز. كلنا مع بعض أحلى إستاكوزا في بلكونة شقته.

- بجد؟

واضح أن "روزي" تساعدني في تعزيز العلاقة مع "بيانكا"، ولكن "ستيفان" يتصرف مثل طالب ثرثار. لذلك استخدمت معه أسلوب الأستاذ المحاضر:

- أنت صديق "روزي"؟

وبالطبع لم يكن لدى "ستيفان" رد جاهز، وهذا هو أسلوبي في المحاضرات، حيث أنتهز فرصة سكوت الطالب في تلك اللحظات واستمر في محاضرتي، بعد أن يكون الطالب قد وعى الدرس. ولكنني وجدت "روزي" تتطوع بالإجابة.

- "ستيفان" بيحضَّر الدكتوراه معايا.

هكذا بادر "ستيفان":

- الوصف المناسب هو رفيقها.

- في حفلة الليلة دي.

- أول لقاء لينا سوا خارج الدراسة.

استغربت أنهما غير متفقين على تحديد طبيعة علاقتهما. وعادت "روزي" إلى "بيانكا":

- أول لقاء بينكم إنتم كمان؟

- فعلًا، يا "روزي".

- إيه رأيك في استمارة الاستبيان؟

رمقتني "بيانكا"، قبل أن تعود لتنظر إلى "روزي":

- ممتازة. الراجل في الغالب بيحب يتكلم عن نفسه. علشان كدا حاجة جميلة إنه يكون متوقع منك تتكلمي عن نفسك.

- واضح جدًّا إن الفكرة عجبتك.

- لأ، وبيعرف يرقص كمان. حظي كويس جدًّا. وزي ما بيقولوا: اللي بيتعب بيلاقي.

رفعت "روزي" كأس الشامبانيا، بينما قال "ستيفان":

- بقالك مدة بترقص، يا "دون"؟ خدت جوايز؟

أنقذني وصول العميدة من البحث عن إجابة عن هذا السؤال.

كانت ترتدي فستان وردي به الكثير من التفاصيل، فالجزء السفلي منه واسع عريض، وكان برفقتها سيدة من نفس عمرها تقريبًا، ترتدي بدلة وببيون، مثل التي يرتديها الرجال. وكان رد فعل الحضور مماثل لما فعلوه لما دخلت، ولكن من دون التحية الودودة. وندت عن "بيانكا" صيحة خافتة مندهشة:

- أوه.. مش ممكن.

رغم رأيي في العميدة، ولكن تعليق "بيانكا" أشعرني بالقلق. وانتهزت "روزي" الفرصة:

- أنتِ عندك مشكلة مع الستات المثليات؟

- لأ، طبعًا. أنا استغربت طريقة لبسها.

مكتبة ٢٩١

- يبقى هتكوني مبسوطة مع "دون" أكيد.

- أنا شايفه "دون" جذاب في بدلته. الموضوع محتاج جرأة ورغبة في الاختلاف. أنت رأيك إيه، يا "دون"؟

أومأت برأسي موافقًا في أدب. تظهر "بيانكا" خصائص الشخصية التي أبحث عنها بالضبط. إنها الاختيار المثالي فعلًا. ولكنني لا أعلم لماذا أشعر أن غريزتي تخبرني بعكس كل ذلك. ربما كان هذا لإصرارها على عدم الشرب. وبالتالي تجبر رغبتي الملحة في تناول الشراب وعيي الباطن على إرسال إشارة رفض لكل شخص يقف بيني وبين حبي للشرب. وعلي أن أتغلب على ذلك.

بدأت الفرقة تعزف بصوت أعلى. ونهض "ستيفان" واتجه إليهم، وأخذ الميكروفون من المغني.

- مساء الخير عليكم. كنت عايز أنبه الحضور إن معانا هنا الليلة بطلة رقص سابقة. يمكن تكونوا شفتوها قبل كدا في التلفزيون. "بيانكا ريفيرا". اسمحولي أقدملكم فقرة راقصة ممتعة من استعراض "بيانكا" و"دون".

لم أكن أتوقع أن يكون أول أداء راقص في حفل عام كهذا، ولكن هناك ميزة، وهي أن أرضية الرقص فارغة. كما أنني معتاد على إلقاء محاضرات على جمهور كبير، وشاركت في استعراضات فنون قتالية أمام جمهور أكبر. فلا داعي للتوتر. هكذا تقدمت مع "بيانكا" إلى حيث سنرقص معًا.

وقفت معها في الوضعية المعتادة التي تدربت عليها مع الهيكل العظمي، ولكن اعتراني في تلك اللحظة ذلك الشعور الغريب الذي أحس به كلما كنت مجبرًا على ملامسة إنسان آخر. كنت قد جهزت نفسي عقليًا للرقص، ولكن لم يخطر ببالي أن أستعد للتعامل مع فكرة التلامس هذه. كما أنني لم أتدرب على الرقص مع

مكتبة ٢٩١

الموسيقى. أنا متأكد من تنفيذي الخطوات بدقة، ولكن ليس بالإيقاع الصحيح مائة في المائة. هكذا اضطربت أقدامنا، وأحسست أننا مقبلون على كارثة. ورغم أن "بيانكا" تولت قيادة خطوات الرقص، فإنني أفتقر إلى خبرة الرقص مع إنسان حي، ناهيك عن أنها هي التي تحاول الإمساك بزمام الأمور الآن.

بدأت ضحكات الحضور تتعالى.

أنا خبير في هذا الموقف بالذات، أن أكون مثار ضحك من حولي، ولكن "بيانكا" سحبت نفسها من يدي، بينما انشغلت في البحث عن شخص لا يضحك بين الحضور، فهي وسيلة ممتازة لتعرف بها من هو صديقك بالفعل. هكذا أدركت أن "جين" و"روزي"، والعميدة – وهذه مفاجأة في حد ذاتها – وحبيبتها، أصدقائي في تلك الليلة. أمَّا "ستيفان" فلم يكن صديقي بالتأكيد.

المطلوب هو حدوث شيء مهم ينقذ الموقف. وخلال بحثي في علم الرقص، لاحظت أن هناك حركات خاصة، ورغم أنني لم أكن أنوي استخدامها، ولكنني تذكرتها الآن لأنها كانت لافتة فعلًا. كما أن ميزتها هي أنها لا تعتمد على تناغم مع الموسيقى، ولا على وجود إنسان آخر معك في الرقصة. والآن هو الوقت المناسب للجوء إليها.

هكذا أديت رقصة الرجل الراكض، وحلب البقرة، وتقليد الصيد، وطلبت من "بيانكا" أن تشاركني أداء الحركات، ولكنها وقفت في مكانها بلا حراك. وأخيرًا، أديت مناورة فيها تلامس جسدي، وهي تستخدم عادةً لإنهاء الرقصة بحركة استعراضية رائعة، حيث يقوم الراقص بإمالة جسد الراقصة إلى جانب، ثم يدير جسدها فوق ظهرها ويسحبها لتمر بين ساقيه. المؤسف أن هذا يتطلب تعاونًا كبيرًا من جانب الراقصة، وخاصة لو أنها أثقل وزنًا من ذلك الهيكل العظمى. ولم تتعاون "بيانكا" معي، فكانت النتيجة أن ظهر الأمر وكأني

مكتبة ٢٩١

أهجم عليها. هكذا أسقطتها أرضًا. وعلى عكس الآيكيدو، فإن تدريبات الرقص لا تتضمن التمرن على السقوط أرضًا على النحو السليم.

مددت يدي لأساعدها، ولكنها تجاهلت يدي ونهضت واتجهت مسرعة نحو الحمَّام، ولكن من الواضح أنها لم تكن مصابة.

عدت إلى الترابيزة، وجلست. لم تتوقف ضحكات "ستيفان" من البداية وحتى النهاية. فوبخته "روزي".

همس "جين" بكلمات لـ"روزي"، ربما بغرض تهدئتها من غضبها، وبدا أنها هدأت.

عادت "بيانكا" إلى كرسيها، ولكنها التقطت حقيبتها. حاولت أن أشرح لها:

- المشلكة كانت في التوافق الزمني. الإيقاع في رأسي كان مختلف ومش منضبط مع إيقاع الفرقة.

تجاهلتني "بيانكا"، ولكن "روزي" بدت مهتمة بأن تعرف أكثر. وهكذا أردفت:

- أنا اتدربت على الرقص من غير موسيقى، علشان أكون مركز في إني أتعلم الخطوات.

لم ترد "روزي" على كلامي، بينما سمعت "بيانكا" تتحدث إلى "ستيفان":

- بتحصل. دي مش أول مرة.. لكنها أسوأ مرة. وبيقول بيعرف..

مضت نحو الخارج من دون أن تتمنى لي ليلة سعيدة، ولكن "جين" نهض ولحق بها.

وجدت في هذا الموقف فرصة. عدلت كأسي وملأته بالنبيذ عن آخره. هذا شراب "جوردو بلانكو" سيئ الصنع، وبه كمية كبيرة من السكر. شربته وصببت لنفسي كأسًا أخرى. بينما نهضت "روزي" من مقعدها واتجهت صوب الفرقة. تحدثت إلى المغني، ثم الطبَّال.

مكتبة ٢٩١

عادت وأشارت إليَّ بطريقة استعراضية. انتبهت إلى قصدها – فقد رأيت هذه الإشارة اثني عشرة مرة. إنها إشارة "أوليفيا نيوتن" لـ"جون ترافولتا" في فيلم "جريس" حتى تبدأ تلك الفقرة الراقصة التي كنت أتدرب عليها عندما دخل عليَّ "جين" فجأة منذ تسعة أيام. جذبتني "روزي" نحو أرضية الرقص.

– ارقص.. سيب نفسك وارقص.

بدأت أرقص من دون موسيقى. كان هذا ما تدربت عليه. وأخذت "روزي" ترقص مثلي. ثم رفعت ذراعها ولوحت به بحركات متوافقة مع حركاتنا. سمعت الطبال يبدأ، وشعرت في جسدي أن إيقاعه هو إيقاعنا. ولم ألحظ بعد ذلك بقية الفرقة وهي تعزف.

"روزي" راقصة جيدة، والتعامل معها أسهل من التعامل مع الهيكل العظمي. وأديت بها أصعب الحركات، وأنا في تركيز شديد على الخطوات وعلى ألا أخطئ. انتهت أغنية فيلم "جريس" وصفق الجميع. وقبل أن أعود إلى الترابيزة، وجدت الفرقة تعزف أغنية جديدة، والجمهور يصفق لي. ربما يكون هذا هو مفعول "الجوردو بلانكو"، ولكنني شعرتُ بإحساس غريب يغمرني – ليس الرضا.. بل البهجة الطاغية. نفس شعوري وأنا في متحف التاريخ الطبيعي، وكذلك لما كنت أصنع مشروبات الكوكتيل. عدنا نرقص سويًّا من جديد، وفي هذه المرة سمحت لنفسي بالتركيز على أحاسيس حركة جسدي مع إيقاع الأغنية التي أعرفها من أيام طفولتي، وكذلك على "روزي" وهي تتحرك على الإيقاع نفسه.

انتهت الأغنية، وصفق الجميع من جديد.

مكتبة ٢٩١

نظرت نحو "بيانكا"، رفيقتي، فوجدتها واقفة مع "جين" قرب المدخل. ظننت أنها ستسعد لأن عقدتي انحلت، ولكنني أدركت، رغم بعد المسافة وقدرتي المحدودة على تفسير تعبيرات الوجه، أنها كانت غاضبة. وسرعان ما انصرفت.

مرت بقية الليلة رائعة، بعد أن غيرتها رقصة واحدة. أتاني الجميع لتحيتي أنا و"روزي". وصورنا مصور الحفلة صورة مجانية. وغادر "ستيفان" مبكرًا. بينما أحضر "جين" زجاجة شامبانيا عالية الجودة من البار، فتناولنا عدة كؤوس بصحبته وأستاذة مجرية من قسم الفيزياء اسمها "كلارا". رقصتُ مع "روزي" من جديد، قبل أن أراقص جميع سيدات الحفل تقريبًا. سألت "جين" عن أيهما أراقص: العميدة أم حبيبتها؟ ولكنه وجده سؤالًا يتجاوز حتى خبراته الاجتماعية العريضة. وفضلت أن أصرف نظر، وخاصة لما وجدت العميدة في مزاج سيئ. واضح أن الحضور يفضلون الرقص والاستمرار فيه على الاستماع إلى كلمتها التي كان من المفترض أن تلقيها.

في نهاية الليلة، عزفت الفرقة موسيقى الفالس، ولما انتهت وجدتني أنا و"روزي" وحدنا فوق أرضية الرقص. والكل يصفق. ولم أنتبه إلا لاحقًا أنني عايشت تجربة ملامسة جسدية طويلة مع إنسان آخر من دون أن أضطرب. ولكنني أرجعت ذلك إلى تركيزي على تنفيذ خطوات الرقص على نحو صحيح. سألتني "روزي":

- تاخد تاكسي معايا؟

وجدت في العرض استخدامًا رشيدًا للوقود الأحفوري.

وفي التاكسي، سألتني "روزي":

- كان لازم تتدرب على أغاني مختلفة. أنت مش ذكي زي ما كنت فاكراك.

اكتفيت بالتطلع عبر شباك التاكسي.

مكتبة ٢٩١

ويبدو أنها قد انتبهت أخيرًا إلى حقيقة ما جرى، فقد التمعت عيناها وهي تصيح:

- مش ممكن. مش ممكن فعلًا. أنت فعلًا متمرن على الأغاني؟ أنت فضّلت إنك تخلي الناس تضحك عليك بدل ما تصارحها إنك لقيتها مش مناسبة تبقى زوجة ليك.

- الموقف كان هيبقى غريب. ما كانش عندي سبب مقنع يخليني أرفضها.

- يعني كنت عاوز تتجوز واحدة بتفكرني بالبغبغان؟!

رسم خيالي لصورة أضحكتني، لا شك أن ذلك بسبب الكحول وأعراض ما بعد التوتر. ضحكنا معًا لبضع دقائق، بل وربتت "روزي" على كتفي عدة مرات. لم أضطرب، ولكننا عندما سكتنا راودني ذلك الشعور الغريب، فأبعدت عينيَّ عنها.

- تصرفاتك غريبة فعلًا. بصلي وأنا باكلمك.

أبقيت عينيَّ على الشباك.

- مش لازم. أنا عارف شكلك كويس.

- طيب لون عينيا إيه؟

- بني.

- لما اتولدت عينيا كانت زرقا. صافية، زي عين أمي. كانت آيرلندية بس عينيها زرقا. بعد كدا اتحولت بني.

نظرت إلى "روزي". عيناها رائعتان.

- لون عينين والدتك بيتغير؟

- وعينيا. بتحصل مع الأطفال الصغيرين. وقتها ماما عرفت إن "فيل" مش أبويا. عينيها زرقا وعينيه برضه زرقا. فقررت تقول له. من حسن حظي إنه مكنش أسد.

مكتبة ٢٩١

أواجه دائمًا مشكلة في فهم بعض عبارات "روزي"، ووجدت صعوبة الآن في فهم ما تقول، ولا شك في أن ذلك بسبب الكحول، وكذلك عطرها. ولكنها منحتني فرصة أن أحافظ على حوارنا في مسار مأمون. وموضوع وراثة صفات جينية مثل لون العينين أعقد من أن يفهمه العامة، وكنت على ثقة من قدرتي التحدث في هذا الموضوع لفترة كافية لأن تشغل الوقت اللازم لمشوارنا هذا. ولكنني أدركت أن في هذا تصرفًا دفاعيًا وعدم أدب مع "روزي" التي خاطرت بالكثير وبعلاقتها مع "ستيفان" في هذه الليلة لأجلي.

هكذا عدت بأفكاري إلى آخر جملة نطقتها. أعتقد أنها تشير إلى دردشتنا ليلة عشاء البلكونة، عندما أخبرتها أن الأسود تقتل أبناءها من زوجات سابقات. ربما هي ترغب في التحدث عن "فيل". وهو موضوع يهمني. فالدافع الأساسي لمشروع البحث عن الأب كان فشل "فيل" في القيام بدور الأب. ولكن "روزي" لم تذكر لي ما يدل على هذا الفشل، بخلاف رفضه للمشروبات الكحولية، وامتلاكه لسيارة غير عملية، واختياره أن يهديها صندوق لحفظ المجوهرات.

- كان عنيف معاكِ؟

- لأ.. بس هو كان غريب. يوم أكون بالنسبة له أهم شيء في الدنيا، ويوم تاني أحس إنه مش عايزني في الدنيا على بعضها.

بدا لي كلامها عام جدًا، ولا يمكن أن يكون مبررًا لمشروع الـ"دي إن إيه" الذي نقوم به.

- ممكن تديني أمثلة؟

- أبدأ منين؟ أوكيه.. أول مرة كانت وأنا عندي عشر سنين. وعدني ياخدني ديزني لاند. فرحت وقلت لكل زمايلي في المدرسة. واستنيت.. واستنيت.. وفي الآخر.. فشنك.

مكتبة ٢٩١

توقف التاكسي عند عمارة. استمرت "روزي" في كلامها، وهي تنظر إلى ظهر كرسي السائق.

- كان عندي شعور إني مرفوضة. لو أنت مكاني تتصرف إزَّاي؟

- أنا متعرضتش للمشكلة دي أبدًا.

لم يكن وقتًا مناسبًا للبدء في موضوع جديد.

- مش مصدقاك.

يبدو أن عليَّ أن أجاوبها بصدق أكثر. أنا بين يدي خريجة علم نفس.

- واجهت مشاكل في المدرسة. علشان كدا بتعلم فنون القتال. لكن أنا اتعودت على أساليب معينة غير عنيفة أتعامل بيها مع المواقف الاجتماعية الصعبة.

- زي الليلة دي.

- أنا بركز على الحاجات اللي بتعجب الناس.

سكتت "روزي" ولم تعلق. وانتبهت إلى أسلوبها العلاجي، ولكنني لم أجد أمامي سوى أن أستمر في الكلام.

- مكنش عندي صحاب كتير. ممكن تقولي مفيش خالص، ما عدا أختي. من حظي الوحش إنها اتوفت من سنتين بسبب أخطاء طبية.

- إيه اللي حصل؟

- مقدروش يشخصوا حالتها صح.. كانت حامل برا الرحم.

- أوه.. "دون".

نبرتها عطوفة للغاية. شعرت أنني اخترت الشخص المناسب لهذه الفضفضة.

- كانت.. متجوزة؟

- لأ.. ومعرفش الشخص اللي كانت على علاقة معاه.

- اسمها إيه؟

مكسة ٢٩١

سؤال بريء في الظاهر، ولكنني لم أجد سببًا يدفع "روزي" للسؤال عن اسم أختي. شعرت بعدم ارتياح. ولم أعرف السبب إلا بعد دقائق. فلقد اكتشفت أنني لم أنطق باسمها منذ وفاتها، رغم أنني لم أتعمد ذلك أبدًا.

- "ميتشيل".

بعد ذلك، سكت كلانا لفترة.

سعل سائق التاكسي متعمدًا. ولكنني لا أتصور أنه بذلك يريد زجاجة بيرة.

- تطلع معايا؟

شعرت بأن هناك العديد من الشحنات بداخلي. لقاء "بيانكا"، الرقص، رفض "بيانكا" لي، ذلك الحمل الاجتماعي الكبير، والتحدث في أمور شخصية – والآن وبعد أن ظننت أنني في طريقي لإزاحة كل تلك الهموم، أجد "روزي" تعرض عليَّ أن نتحدث أكثر. لم أكن واثقًا من قدرتي على الاستمرار.

- الوقت متأخر جدًّا.

كنت أعرف أن هذه وسيلة مقبولة اجتماعيًّا للتعبير عن الرغبة في العودة إلى المنزل.

- أجرة التاكسي بتكون أقل في ساعات الصبح برضه.

لو أنني أفهمها على نحو سليم، فإن هذا يعني أن الأمور تتطور لما هو أكثر. وكنت أريد أن أتيقن منها.

- تقصدي إني أبات معاكي الليلة؟

- ممكن. بس لازم في الأول تسمع قصة حياتي.

تحذير! خطر، "ويل روبنسون". كائن غريب يقترب! شعرت بنفسي تنزلق إلى هاوية عاطفية. ولكنني نجحت في الحفاظ على هدوئي.

- لسوء الحظ.. عندي حاجات كتيرة لازم أعملها الصبح.

الروتين المعتاد.

مكتبة ٢٩١

وجدتها تفتح باب التاكسي. انتظرتها أن تذهب. لكن يبدو أن لديها مزيدًا:

- "دون".. ممكن أسألك عن حاجة؟

- سؤال واحد.

- أنت مش معجب بيا؟

***

أخبرني "جين" في اليوم التالي أنني فهمتها خطأ. لكنه لم يكن معنا في التاكسي، وبعد ليلة مشحونة كتلك الليلة، ومع أجمل امرأة في العالم. لذلك أعتقد أنني تصرفت على النحو السليم. لقد أدركت المغزى من سؤالها. كنت أريد من "روزي" أن تعجب بي، وتذكرت كلامها المتحمس عن الرجال الذين يتعاملون مع المرأة وكأنها جماد. كانت تختبرني لتعرف ما إذا كنت أراها إنسانًا أم جمادًا. والإجابة واضحة. طبعًا واضحة.

- ماخدتِّش بالي الحقيقة.

تخيَّل.. قلت هذه الجملة لأجمل امرأة في العالم.

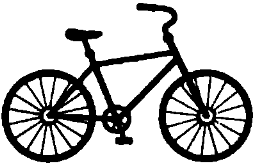

مكتبة ٢٩١

18

أرسلت رسالة إلى "جين" وأنا في التاكسي. الساعة 1:08 صباحًا، ولكنه كان قد غادر الحفلة في نفس توقيت مغادرتي لها، كما أن لديه سفرًا.

عاجل: قابلني ساعة الجري 6 صباحًا.

رد عليَّ "جين":

الأحد الساعة 8... هات معاك عنوان "بيانكا".

كنت على وشك الإصرار على الموعد الأول عندما أدركت أن بوسعي الاستفادة من هذا الوقت في ترتيب أفكاري.

واضح أن "روزي" تدعوني لأمارس الجنس معها. وكنت محقًا في تجنب هذا الموقف. كلانا تناول كمية ليست قليلة من الشامبانيا، ومعروف أن الكحول يشجعك على اتخاذ قرارات غير حكيمة فيما يتعلق بالجنس. وأمامي مثال "روزي"؛ فقرار أمها، الذي كان بلا شك تحت تأثير الكحول، لا يزال سببًا في تعاسة "روزي".

أنا خبرتي الجنسية محدودة. زمان.. نصحني "جين" ألا أدعو الطرف الآخر إلى ممارسة الجنس إلا بعد الموعد الثالث، وأنا لم أصل بأي علاقة إلى مرحلة

مكتبة ٢٩١

اللقاء الثالث هذا أبدًا. والحقيقة أنني و"روزي" ما زلنا عمليًا في مرحلة اللقاء الأول – أي ليلة السترة والطعام في البلكونة.

كما أنني لا أستعين بخدمات بيوت الدعارة، وليس هذا لداعٍ أخلاقي، ولكنني لا أستسيغ تلك الفكرة. قد تجد هذا سببًا غير منطقي، ولكن بما أن الفائدة التي أسعى إليها بدائية، فيكفيك هذا السبب البدائي.

يبدو لي الآن أنني كنت أمام فرصة من النوع الذي يسميه "جين" الجنس بلا أي قيود أو ارتباط. وقد تحققت فيه الشروط المطلوبة: أنا و"روزي" متفقان وبشكل واضح أن كلانا بعيد كل البعد عن علاقة رومانسية تربطنا، ومن ثم لَّمحت "روزي" إلى أنها ترغب في ممارسة الجنس معي. ولكن، هل أريد أنا ممارسة الجنس مع "روزي"؟ ليس هناك من سبب منطقي يمنعني من هذا، وهو ما يتيح لي حرية تلبية هذه الرغبة البدائية. بالطبع أريد أن أمارس الجنس معها. وبعد أن حسمت هذا القرار بعقلانية، لم يسعني أن أفكر إلا في شيء واحد: لقد ضاعت الفرصة.

***

التقاني "جين" صباح الأحد خارج منزله. أحضرت معي عنوان وبيانات "بيانكا"، وعرفت جنسيتها – إنها من بنما. وكم كان "جين" سعيدًا بمعرفة هذه المعلومة الأخيرة.

أراد "جين" أن يعرف كل تفاصيل لقائي مع "روزي"، ولكنني رأيت أنني سأضيع الوقت والجهد لو حكيت الحكاية مرتين: لذا سأحكيها مرة واحدة أمامه و"كلاوديا" معًا. ولأنني لم أجد موضوعًا آخر لأناقشه مع "جين"، الذي يجد صعوبة أصلًا في الركض والكلام في الوقت نفسه، لذلك أمضينا السبع والأربعين دقيقة التالية في ركض صامت.

مكتبة ٢٩١

عندما عدنا إلى منزل "جين"، وجدنا "كلاوديا" و"أوجين" تتناولان الإفطار. جلست وبادرتهم:

- أنا عايز نصيحتكم.

- ممكن نأجلها شوية؟ لازم نوصل "أوجين" تدريب الخيل، وبعدها عندنا اجتماع الضهر.

- لأ. أنا شايف إني عملت خطأً اجتماعي. كسرت قاعدة من قواعد "جين".

تدخل "جين" في الحوار:

- "دون".. أنا فعلًا شايف إن البُنَية طارت منك. ولكن دا راجع لقلة الخبرة مش أكثر.

- أنا قصدي "روزي" مش "بيانكا". والقاعدة هي.. متفوتش أي فرصة لممارسة الجنس مع واحدة تحت سن التلاتين.

اندهشت "كلاوديا":

- "جين" هو اللي قالك كدا؟

دخل "كارل" إلى الغرفة، فتجهزت للدفاع عن نفسي ضد هجومه المعتاد، ولكنه توقف لينظر إلى أبيه. فقلت لها:

- قلت لنفسي إني لازم أستشيرك بما إنك أخصائية نفسانية، وأستشير "جين" بما إنه صاحب خبرة كبيرة في الموضوع دا.

نظر "جين" إلى "كلاوديا"، ثم نقل عينيه سريعًا إلى "كارل". وقال:

- دا كان في شبابي الضايع، مش في فترة المراهقة؟

عاد يتحدث إليَّ مردفًا:

- أعتقد إن الموضوع دا ممكن يستنى لبكرة على الغدا.

- طيب وبالنسبة لـ"كلاوديا"؟

مكتبة ٢٩١

نهضت هي بدورها عن المائدة:

- أنا واثقة إن مفيش حاجة "جين" ميعرفهاش.

عبارة مشجعة، وخصوصًا عندما تنطق بها زوجته. لكن "جين" سألني:

- أنت قلتلها إيه؟

كان الغداء في الغد محددًا في نادي الجامعة، حسب جدولي.

- سألتني إن كنت شايفها جذابة، فقلتلها إني مخدتش بالي. أنا مش عايزها تفتكر إني ممكن أبصلها نظرة جنسية.

- يا أمي.. يعني المرة اليتيمة اللي المفروض ترد فيها قبل ما تفكر تقوم تفكر قبل ما ترد؟!

- يعني كنت عايزني أقولها إنها جميلة وجذابة؟

- طبعًا.. أنا دلوقتي عرفت ليه كانت عمالة تاكل في كيكة شوكولاتة.

نظرت له نظرة بلا معنى. والسبب مفهوم. فتطوع بالشرح:

- لقيتها في مكتبها.. بتفطر كيكة شوكولاتة.

هذا خيار غير صحي بالطبع، يتفق مع حبها للتدخين، ولكنه ليس مؤشرًا على إحساسها بالحزن أو الغضب، ولكن "جين" أكد لي أنها تفعل ذلك عندما تكون حزينة.

بعد أن زودت "جين" بكافة المعلومات الضرورية، صارحته بحقيقة المشكلة. فقال:

- أنت شايف إنها مش اختيارك. مش هتنفع تكون زوجتك.

- هي مش مناسبة إطلاقًا. بس هي جذابة جدًا. ولو كنت عايز أمارس الجنس من غير أي ارتباط، فأكيد هتكون هي الاختيار الأول. وهي برضه معندهاش أي مشاعر ناحيتي.

مكتبة ٢٩١

- طيب أنت متوتر ليه دلوقتي؟ أنت مش مارست الجنس قبل كدا؟

- طبعًا.. الدكتور بتاعي بيشجعني جدًا على كدا.

- دا الجنس الطبي حضرتك.

واضح أنها دعابة لم أفهمها. لكن أنا متيقن من أن البشر يعرفون قيمة الممارسة المنتظمة للجنس منذ أزمنة طويلة.

- المشكلة مش في الجنس.. المشكلة لما يكون الجنس دا مع شخص تاني.

نظر لي "جين" نظرة لم أفهمها:

- ومن غيرك هيقول كلام زي دا.. كان لازم أعمل حسابي.. إيه رأيك تقرا كتب في الموضوع دا؟

***

وجدت أن مثل هذه المعلومات متاحة على الإنترنت، ولكني بعد بضع دقائق من البحث بعبارة "أوضاع جنسية" اقتنعت أن الكتب ستوفر لي معلومات مكثفة من دون جهد بحثي كبير.

لم أجد صعوبة في العثور على كتاب مناسب، ولما عدت إلى مكتبي، اخترت وضعًا عشوائيًا. يسمونه (وضع الكاوبوي المقلوب – رقم 2). جربته – ووجدته بسيطًا. ولكن المشكلة، كما أخبرت "جين"، هي ضرورة وجود طرف آخر. هكذا أحضرت الهيكل العظمي، وهيئته على تلك الوضعية، بحيث كنت أنا راقدًا على ظهري وهو جالس فوقي، بنفس الطريقة المبينة في الشكل داخل الكتاب.

هناك قاعدة متبعة في الجامعة، وهي ألا يفتح أي شخص أي باب قبل أن يطرقه أولًا. ولكن "جين" لا يعبأ بها معي، كوننا أصدقاء. وبما أن العميدة ليست ضمن قائمة أصدقائي، فقد كان محرجًا جدًا أن تدخل عليّ في تلك

مكتبة ٢٩١

اللحظات، وخصوصًا أنها كانت برفقة شخص آخر، ولكنها غلطتها هي. ومن حسن حظي أنني لم أخلع ملابسي. كما في الشكل داخل الكتاب.

- "دون".. ممكن تسيبك من تصليح الهيكل العظمي دقيقة؟ عايزة أعرفك على الدكتور "بيتر إنتيكوت"، من مجلس الأبحاث الطبية. كنت كلمته عن شغلك على أنسجة الكبد، وكان عايز يقابلك. لأغراض تمويلية.

ضغطت على أحرف الجملة الأخيرة بشدة، وكأنني لا أعرف سياسة الجامعة التي تعبد التمويل عبادة. ولكن معها حق، بالنظر إلى مواقف سابقة لي في هذا الصدد.

تعرفت على "بيتر" فورًا. بالطبع. فقد كان هو ذلك الأب المحتمل الذي يعمل في جامعة "ديكين"، والذي نفذنا معه خطة سرقة الفنجان. وبدوره، تعرف عليَّ فورًا.

- أنا و"دون" اتقابلنا قبل كدا. له صديقة بتفكر تتقدم لبرنامج كلية الطب. واتقابلنا برضه من فترة في مناسبة اجتماعية.

وغمز لي، وهو يردف للعميدة:

- أعتقد إنكم مش مخصصين مرتبات كافية لأعضاء هيئة التدريس.

دار بيننا نقاش ممتاز عن تجاربي على الفئران المحقونة بالكحول. كان الاهتمام واضحًا على "بيتر"، وكان عليَّ أن أؤكد له بين دقيقة وأخرى أنني صممت البحث بحيث لا تكون هناك ضرورة لتلقي أي منح مالية خارجية. وجدت العميدة تشير إليَّ خلسة بإشارات بيدها وحركات بوجهها، فخمنت أنها تريد مني أن أكذب واقول أن بحثي بحاجة إلى تمويل، حتى تتمكن من أخذ ذلك المال وتخصيصه لمشروع آخر يعاني من عجز في التمويل. فضلت أن أتظاهر بعدم فهمي لها، ولكن هذا لم يؤدِّ إلا إلى مزيد من تلك الإشارات والإيماءات. ولم أفهم إلا لاحقًا أنها كانت تريد مني أن أنتبه إلى ناحية أرض المكتب.. حيث تركت كتاب الأوضاع الجنسية مفتوحًا على تلك الصفحة.

***

حددت عشرة أوضاع، ووجدتها كافية كمرحلة أولى. فبوسعي تعلم المزيد من الأوضاع في حال نجح اللقاء الأول. ولم يستغرق الأمر طويلًا – تعلمتها في وقت أقل من تعلمي رقصة تشاتشا. ومن ناحية الفائدة مقارنة بالمجهود، فيبدو لي أنها أفضل من تعلم الرقص، وكنت أتطلع إلى التطبيق بكل شوق.

لذلك، ذهبت لزيارة "روزي" في محل عملها. مكان طلبة الدكتوراه عبارة عن مساحة بلا شبابيك، ترتص فيها المكاتب إلى جوار الحوائط. أحصيت ثمانية طلبة، بمن فيهم "روزي" و"ستيفان" الجالسان متجاوران.

قابلني "ستيفان" بابتسامة غريبة. ما زلت غير مرتاح له. بادرني وهو ينظر إلى "روزي":

- بقيت مشهور على الفيسبوك، "دون". لازم تعمل تحديث للحالة الاجتماعية على صفحتك.

أراني شاشة موبايله. صورة رائعة لي مع "روزي" ونحن نرقص، مشابهة لتلك التي أعطاني إياها المصور، والتي أضعها الآن إلى جوار شاشة الكمبيوتر في منزلي. السعادة الطاغية على محيا "روزي". لا يمكن من الناحية العملية أن يقوم أحد بعمل "تاج" لصفحتي من خلال هذه الصورة، وهذا لأن ليس لي صفحة فيسبوك أصلًا (أنا غير مهتم بمواقع التواصل الاجتماعي) ولكن التعليق يحمل اسمينا.. بروفيسور "دون تيلمان" أستاذ الجينات، و"روزي جارمان"، طالبة الدكتوراه في قسم علم النفس. ولكنني وجدت "روزي" تقول:

- مش عايزة سيرة الصورة دي.

- الصور مش عاجباكي؟

بداية غير جيدة.

مكتبة ٢٩١

- أنا مش عايزة "فيل" يشوفها.

أجابها "ستيفان":

- وأنتِ فاكرة إن والدك مقضيها على الفيسبوك؟

- أراهنك إنه هيتصل بيا.. وأسئلة بقى.. بياخد كام في الشهر؟ بتروحيله؟ رياضي؟ بيروح الجيم؟

- أنا شايف إنها أغرب أسئلة ممكن يسألها أب لبنته عن شخص على علاقة معاه.

- أنا مش على علاقة مع "دون". كل اللي فيها إننا روحنا في نفس التاكسي مع بعض. مش كدا، يا "دون"؟

- كدا طبعًا.

عادت تتحدث إلى "ستيفان":

- خلي آراءك لنفسك. دايمًا.

قلت لها:

- أنا عايز أتكلم معاكي على انفراد.

- لكن أنا مش شايفة حاجة بيننا تستدعي نتكلم على انفراد.

كان ردها غريبًا. ولكني خمنت أنها تتبادل المعلومات مع "ستيفان" على نفس النحو الذي أفعله مع "جين". ولم لا، ألم يكن هو رفيقها إلى تلك الحفلة؟ ولم يكن لديَّ خيار آخر إذن:

- أنا راجعت نفسي في موضوع عرضك الجنسي.

وضع "ستيفان" يده على فمه من فرط الدهشة. وخيم صمت طويل – ربما استمر ست ثوانٍ.

- "دون".. أنت بتهزر، صح. دي نكتة.

مكتبة ٢٩١

لم أفهم مرادها. أنا أفهم أنها قد تكون غيرت رأيها. ربما كان ردي شنيعًا على طلبها الجنسي وقتذاك. ولكنني لا أقول نكتة هنا. كما أنني واثق أنها لم تكن تمزح حينما طلبت مني أن أصعد إلى شقتها. ولكن من يدري، فهناك العديد من المزحات التي لم أفهمها في وقتها أيضًا. دائمًا ما أفعل الحقيقة.

- أوه.. طيب.. إمتى تحبي نتقابل بخصوص مشروعنا التاني؟

تحاشت عينا "روزي" عَينَيّ وهي تجيبني:

- مفيش بيننا أي مشاريع.

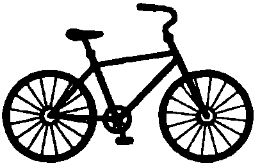

مكتبه ٢٩١

19

بذلت جهدي على مدار أسبوع حتى أعود إلى روتيني المعتاد، مستغلًا الوقت الذي توفَّر لي بفضل تنظيف "إيفا" وإلغاء مشروع البحث عن الأب في اللحاق بما فاتني من دروس الكارتيه والآيكيدو.

اقترب مني الـ"سنسي"، المدرِّب الذي لا يتحدث إلا قليلًا، وخاصة لأصحاب الحزام الأسود، ونحاني جانبًا، بينما كنت أتدرب على كيس اللكمات في مكان التدريب.

- فيك حاجة اتسببت في الغضب الظاهر دا كله.

لم يقل لي سوى هذه الجملة. وهو يعرفني بما يكفي لأن يدرك أنني لا أسمح لأي مشاعر بأن تسيطر وتتغلب عليَّ. ولكنه كان محقًا في حديثه إليَّ، كوني لم أدرك أنني كنت غاضبًا بالفعل.

غضبت من "روزي" لأنها رفضت شيئًا كنت أرغبه، ولم أكن أتوقع هذا. ثم شعرت بالغضب ثانيةً من نفسي بسبب افتقاري للكفاءة الاجتماعية، الأمر الذي أصاب "روزي" بالحرج.

حاولت الاتصال بـ"روزي" أكثر من مرة ولم أفلح. وفي النهاية تركت لها رسالة:

- افرضي إنه جالك لوكيميا ومعرفتيش تلاقي نخاع العظام اللي ميرفضوش جسمك؟ في الحالة دي هيكون والدك الحقيقي الشخص المطلوب، وكمان

مكتبة ٢٩١

هيبقى عنده الدافع إنه يساعدك. بمعنى لو مكملتيش المشروع هتموتي. ومبقاش فاضل غير حداشر مرشح بس.

ولكنها لم تتصل بي.

***

رحت إلى "كلاوديا" في ثالث لقاء لي معها خلال أربعة أسابيع.

- الأمور دي بتحصل. بتتعرف على واحدة، ومع الوقت العلاقة مـــ.

هكذا يرون الأمر إذن. أنا – وعلى طريقتي – على علاقة مع "روزي".

- طيب أعمل إيه؟

- المسألة مش سهلة، ولكن هتلاقي الكل بينصحك نفس النصيحة. ارجع لحياتك وانسى. وفي يوم من الأيام هتقابل نصيبك.

واضح أن منطق "كلاوديا"، المبني على أسس نظرية سليمة ومن واقع خبرتها المهنية الكبيرة، يفوق مشاعري غير العقلانية. ولكنني حينما فكرت في الموضوع، أدركت أن نصيحتها، ونصيحة علم النفس بأسره، تأتي تجسيدًا لنتائج أبحاث على أشخاص طبيعيين. وأنا أعرف أن لديَّ بعض الطباع والسمات غير الطبيعية. فهل يمكن أن تكون نصيحة "كلاوديا" غير مناسبة لي؟

هكذا قررت أن أتصرف. سوف أستكمل مشروع البحث عن الأب. إذا (إذا فقط) توفر لي الوقت، فسوف أشرع وحدي في إتمام مشروع البحث عن الأب. ولو أمكنني أن أقدم الحل لـ"روزي"، فلربما عدنا أصدقاء من جديد.

***

قمت بمراجعة نموذج الاستبيان بناءً على الموقف الكارثي الذي حدث مع "بيانكا"، وأضفتُ المزيد من المعايير الصارمة. حيث أدرجت أسئلة عن الرقص، وعن البريدج والرياضة، حتى استبعد المرشحات اللاتي سيطلبن مني امتلاك

مكتبة ٢٩١

كفاءة في أنشطة بلا قيمة، وزدت من صعوبة أسئلة الرياضيات والفيزياء والهندسة الوراثية. وسيكون الاختيار (ج) (باعتدال) الإجابة الوحيدة المقبولة عن سؤال المشروبات الكحولية. ورتبت أن تذهب الاستمارات إلى "جين" مباشرة، الذي من الواضح أنه منخرط في نشاط بحثي آخر يعتمد على استماراتي، وهو الاستفادة اللاحقة من البيانات وصاحباتها. وبالتالي يمكن من خلال نشاطه النسائي هذا أن ينصحني بشأن ما إذا كانت أي سيدة تستوفي معاييري أم لا. وبكل دقة.

وفي ظل عدم وجود مرشحات من مشروع الزوجة، فكرت كثيرًا في أفضل طريقة للحصول على عينات الـ"دي إن إيه" لمشروع الأب.

خطر لي الحل وأنا منشغل بتخلية طائر سمان من عظامه. فالمرشحون أطباء من المفترض أنهم يرحبون بالمشاركة في أي بحث في الجينات. وكل ما عليَّ هو العثور على عذر مقنع يتيح لي أن أطلب منهم تزويدي بعينة "دي إن إيه" منهم. وبفضل التحضير الذي قمت به وأنا أستعد لمحاضرة الـ"أسبرجر"، كان لديَّ ذلك العذر.

أخرجت قائمة الأحد عشر اسمًا. تأكدت من وفاة اثنين منهم، فتبقى تسعة أسماء، يعيش سبعة منهم خارج البلاد، وهو ما يفسِّر تغيبهم عن حفل لم الشمل. ولكن لديَّ رقمي تليفون منزليين؛ أحدهما رئيس معهد الأبحاث الطبية في جامعتي. قمت بالاتصال به أولًا. أتاني صوت سيدة:

- مكتب البروفيسور "ليفيبر".

- أنا البروفيسور "تيلمان" من قسم الجينات. وأحب أدعو البروفيسور "ليفيبر" للمشاركة في مشروع بحثي.

- البرفيسور "ليفيبر" في أجازة بحثية في أمريكا. هيرجع بعد أسبوعين.

مكتبة ٢٩١

- ممتاز. المشروع اسمه وجود المعلمات الجينية للتوحد في الأفراد أصحاب مستوى الإنجاز العادي. والمطلوب منه مشكورًا إنه يملا نموذج استبيان ويقدملنا عينة "دي إن إيه".

***

بعد يومين، كنت قد نجحت في تحديد مكان جميع المرشحين التسعة، وأرسلت إليهم نماذج الاستبيان بالبريد، والذي أعددته من أوراق بحثية عن الـ"أسبرجر"، وأرفقت به أداة أخذ عينة الـ"دي إن إيه". لم يكن للاستبيان أي أهمية، ولكنه ضروري حتى يبدو البحث متكاملًا. أوضحتُ في الخطاب المرفق به أنني أستاذ علم الجينات في جامعة مرموقة. أمّا في الوقت الحالي، فعلي أن أعثر على أقارب الطبيبين المتوفيين.

عثرتُ في الإنترنت على نعي الدكتور "جرهارد فون دين"، الذي توفي بعد نوبة قلبية. ورد في النعي اسم ابنته، وكانت آنذاك طالبة طب. وبالتالي عثرت بسهولة على الدكتورة "بريجيت فون دين"، وكانت سعيدة بالمشاركة في بحثي. هكذا تجري الأمور ببساطة.

أمّا "جيفري كيس" فكان تحديًا أصعب بكثير. فقد تُوفي بعد عام من تخرجه. وكنت أعرف بياناته الأساسية من الموقع الخاص بحفل لم الشمل. هو لم يتزوج، وليس له أطفال (معروفون).

في تلك الأثناء، وصلتني ردود. هناك طبيبان، وكلاهما في نيويورك، رفضا المشاركة. ما الذي يجعل طبيبًا يرفض المشاركة في دراسة مهمة كهذه؟ هل لديه سر يخفيه؟ مثل ابنة غير شرعية تعيش في المدينة نفسها التي أتاه منها طلب المشاركة؟ خطر لي أنهما لو كانا يتشككان في دوافعي، لأمكنهما ببساطة إرسال

مكتبة ٢٩١

عينة "دي إن إيه" لأشخاص غيرهم. هكذا أدركت أن الرفض أفضل من الغش بالنسبة لي.

وقام سبعة مرشحين، بمن فيهم الدكتورة "فون دين"، بإرسال عيناتهم إلي. ولكن لم يكن أحد منهم والد "روزي". وعاد البروفيسور "سايمون ليفيبر" من إجازته البحثية، وأبدى رغبة في لقائي شخصيًا.

قلت لموظفة الاستقبال في مستشفى المدينة، حيث يقع مكتبه:

- أنا هنا عشان أستلم طرد من البروفيسور "ليفيبر".

كنت أتمنى تجنب أي لقاء فعلي معه. لكنني لم أنجح. فقد ضغطت على زر، ونطقت باسمي، قبل أن يظهر البروفيسور "ليفيبر" أمامي. أعتقد أنه في عامه الرابع والخمسين. التقيت الكثير ممن هم في نفس العمر خلال الأسابيع الثلاثة عشر الماضية. يحمل مظروفًا كبيرًا، ربما يحتوي على الاستبيان، الذي سألقيه في سلة المهملات طبعًا، وعينة الـ"دي إن إيه"، وهي المهمة في الموضوع كله.

مددت يدي لتسلم المظروف بينما كان يقترب نحوي، ولكنه مد يده الأخرى وصافحني. تصرف غريب منه، ونتيجته النهائية أننا تصافحنا بينما بقي المظروف معه.

- "سايمون ليفيبر". أنت بتدور على إيه بالظبط؟

لم أتوقع هذا السؤال إطلاقًا. لماذا يسألني عن دوافعي؟

- عينة الـ"دي إن إيه". والاستبيان. لدراسة بحثية مهمة. مهمة جدًّا.

نبرة صوتي تفضحني بكل تأكيد وتعكس كل ما بداخلي من توتر. ولكنه ضحك:

- أنا متأكد من دا. ولكن عايز تفهمني إنك اخترت رئيس معهد بحوث بالصدفة؟

- إحنا بنختار أصحاب المنجزات.

- إيه اللي بيسعاله "تشارلي" المرة دي؟

مكتبة ٢٩١

- "تشارلي"؟

أنا لا أعرف أي شخص اسمه "تشارلي".

- طيب.. سؤال غبي كمان.. أنت عايز عينة قد إيه؟

- الكم مش مهم. ومفيش حد اسمه "تشارلي" في البحث دا. كل اللي أنا طالبه هو عينة "دي إن إيه".. والاستبيان.

ضحك "سايمون" من جديد:

- أنت أثرت فضولي. يا ريت تبلغ "تشارلي" بكدا. ابعتلي توصيف كامل للمشروع. وتصريح الموافقة. الورق كله.

- وبعدها هتسلم العينة؟ العدد الكبير من العينات مهم جدًا علشان التحليل الإحصائي.

- بس ابعتلي الورق الأول.

طلب "سايمون ليفيبر" منطقي تمامًا. وأنا آسف لأن تلك الأوراق ليست معي، وهذا بالطبع لأنه مشروع وهمي. وإعداد عرض مشروع رسمي مقنع يتطلب مئات الساعات من العمل.

لذلك حاولت أن أضع تقديرًا لاحتمال أن يكون "سايمون ليفيبر" والد "روزي". هناك الآن أربعة مرشحين لم يتم أخذ عيناتهم بعد: "ليفيبر"، "جيفري كيس" (الميت)، ودكتورا نيويورك؛ "إيزاك إيزلر" و"سولومون فرايبرج". ووفقًا لمعلومات "روزي"، يمتلك كل واحد منهم احتمالًا نسبته خمسة وعشرين في المئة أن يكون هو الأب. ولكن بما أنني وصلت إلى هذا الحد من دون أي نتائج إيجابية، فعليَّ أن أدرس احتمالات أخرى. هناك نتيجتان تعتمدان على أقارب وليس عينة مباشرة. فمن الممكن أن تكون واحدة من الفتاتين أو كليهما نتاج ممارسة جنس خارج نطاق الزواج الرسمي، مثل "روزي". وهو أمر أوضح

"جين" أنه شائع بدرجة أكبر مما هو متصور. وهناك احتمال أن يكون واحد أو أكثر من المشاركين في البحث الوهمي قد أرسل عينة مزيفة عن قصد.

كما فكرت في احتمال ألا تكون والدة "روزي" أخبرتها بالحقيقة. استغرقت وقتًا في التفكير في هذا الاحتمال، وخاصة أن افتراضي الأساسي هو أن البشر صادقون. ولكن ربما كانت والدتها ترغب من "روزي" أن تصدق أن والدها طبيب، كما كانت هي، وليس شخصًا من مستوى أقل. وفي المقابل، قدرت أن احتمال أن يكون "سايمون ليفيبر" هو والد "روزي" ستة عشر في المئة. ولو قمت بإعداد أوراق لمشروعي البحثي الوهمي فسوف أبذل جهدًا هائلًا في مقابل احتمال نجاح ضعيف.

ولكنني اخترت أن أستمر. ووجدت القرار منطقيًا نوعًا ما.

في خضم كل هذا العمل، تلقيت مكالمة من محامٍ يخبرني فيها أن "دافني" قد ماتت. ورغم حقيقة أنها كانت في حكم الميتة فعليًا منذ فترة، فإنني وجدت في نفسي شعورًا غير متوقع بالوحدة. كانت صداقتنا بسيطة. ولكن الأمر صار أكثر تعقيدًا الآن.

أما سبب اتصال المحامي بي فهو أن "دافني" تركت لي في وصيتها ما وصفه المحامي بالمبلغ الصغير. عشرة آلاف دولار. كما تركت لي رسالة، كتبتها قبل أن تنتقل للعيش في دار المسنين. كتبتها بخط يدها على ورقة مزخرفة.

مكتبة ٢٩١

عزيزي دون:

أشكرك لأنك بعثت الحياة في آخر سنوات حياتي. بعد أن أدخلوا "إدوارد" في دار المسنين، أيقنت أنه لم يعد هناك الكثير لي. أنا متأكدة من أنك تدرك كم علمتني، وكم كان الحوار معك شيقًا، ولكنك ربما لا تدرك أنك كنت رفيقًا رائعًا يساندني.

أخبرتك ذات يوم أنك ستكون زوجًا رائعًا، وأكرر هذا الآن في حال كنت نسيت. ولو بحثت أكثر فلسوف تعثر على من تناسبك. فلا تستسلم يا "دون".

أعرف أنك لا تحتاج إلى المال، وأن أولادي يحتاجون إليه، ولكنني تركت لك مبلغًا صغيرًا. وكم يسعدني أن تستخدمه في القيام بعمل مجنون.

أحبك كثيرًا،

صديقتك،

"دافني سبيلدويند".

استغرقت عشر ثوانٍ في التفكير في ذلك الشيء المجنون: الحقيقة أنني أتحت لنفسي هذا الوقت حتى أتأكد من أن قراري لم يتأثر بأي تفكير منطقي عاقل.

مشروع بحثي الوهمي مشوق، ولكنه يهدر الوقت إلى حد كبير. أعددت الورق المطلوب بشكل احترافي، جعلني أثق في أنه سيجتاز أي تدقيق في حال تم تقديمه لأي مؤسسة تمويلية. كنت أوحي من خلال الورق أن البحث يلقى دعمًا ماليًا، ولكنني منعت نفسي من تزوير خطاب اعتماد. اتصلت بالمساعدة الشخصية للبروفيسور وشرحت له أنني نسيت في المرة الفائتة أن أحضر له الأوراق، ولكنني سأقوم بإحضارها بنفسي. وجدتني أكتسب كفاءة أكبر في الخداع.

وصلت إلى مكتب الاستقبال، وتكررت عملية استدعاء "ليفيبر" بحذافيرها. ولكنه لم يكن يحمل مظروفًا هذه المرة. حاولت أن أعطيه الأوراق وحاول هو أن يصافحني، فتكرر الارتباك الذي حدث في المرة السابقة. ويبدو أن الموقف دفع

"ليفيبر" إلى الابتسام. أدركت أنني متوتر. فأنا أريد عينة الـ"دي إن إيه" بأي ثمن، بعد كل هذا المجهود.

- أهلًا.. الورق اللي طلبته مني. واستوفيت كل الطلبات. ودلوقتي عايز عينة الـ"دي إن إيه" والاستبيان.

ضحك "ليفيبر" مجددًا، وأخذ يتأملني. هل هناك شيء غريب في مظهري؟ كان التيشيرت الذي أرتديه هو نفسه الذي أرتديه كل يومين، مرسوم عليه الجدول الدوري، وكان هدية في عيد ميلادي في العام الذي أعقب تخرجي، والبنطلون من النوع العملي الذي يناسب المشي لمسافات طويلة، وكذلك إلقاء المحاضرات، ومهام الأبحاث. وأرتدي حذاءً رياضيًّا عالي الجودة. الخطأ الوحيد في جواربي، التي ممكن أن تكون ظاهرة من أسفل طرف البنطلون، فقد كانا من لونين مختلفين بعض الشيء، وهو خطأ شائع عند ارتداء الملابس في ضوء ضعيف. ولكن يبدو لي أن "سايمون ليفيبر" كان متعجبًا من كل شيء.

- جميل.

ثم كرر كلماتي بطريقة تُبيِّن أنه يقصد أن يقلدني، ثم عقب بصوته الطبيعي:

- قول لـ"تشارلي" إني بوعده إني أقرا طلبه.

"تشارلي" ثانيةً! هذا سخيف للغاية. وجدتني أقول له في غيظ:

- الـ"دي إن إيه".. عايز العينة.

ضحك "ليفيبر" كما لو أنني ألقيت للتو أشهر نكتة في التاريخ. ضحك حتى دمعت عيناه. دموع حقيقية.

- أنت مش ممكن..

سحب منديلًا من علبة فوق مكتب الاستقبال، ومسح وجهه، ثم نظف أنفه، وألقى به في سلة المهملات، قبل أن يتركني وينصرف ومعه العرض.

هكذا اتجهت نحو سلة المهملات.. وأخذت المنديل.

مكتبة ٢٩١

20

جلست أطالع جريدة في قاعة القراءة بنادي الجامعة لليوم الثالث على التوالي. فقد كنت أريد أن يبدو اللقاء وكأنه صدفة. ومن مكاني، بوسعي أن أراقب ذلك الطابور عند الكاونتر حيث تشتري "روزي" غداءها أحيانًا، على الرغم من أنه لا يحق لها أن تشتريه من هنا. وقد عرفت هذه المعلومة من "جين"، بعد إلحاح.

- "دون"، أنا شايف إن دا الوقت المناسب علشان تسيبها لحالها. أنت كدا بتضر نفسك.

لم أوافق على ما قاله. فأنا أجيد التعامل مع المشاعر. ومستعد لأي صد أو رفض من ناحيتها.

ظهرت "روزي" ووقفت في الصف. فنهضت ووقفت خلفها.

- "دون".. إيه الصدفة دي؟

- عندي جديد بخصوص المشروع.

- مفيش بيننا مشاريع. أنا آسفة بخصوص.. آخر مرة قابلتني فيها. "شِت". يعني أنت اللي أحرجتني وأنا اللي باعتذر؟!

- اعتذارك مقبول. ولكن لازم تسافري معايا نيويورك.

مكتبة ٢٩١

- نعم؟ طبعًا لأ، "دون". طبعًا لأ.

كنا قد وصلنا إلى الكاشير بعد أن نسينا أن نختار الطعام الذي نريده، وهكذا عدنا إلى آخر الطابور مرة أخرى. وعندما جلسنا أخيرًا، شرحت لها مشروع "أسبرجر":

- كان لازم أخترع مشروع بحثي كامل - كتبت ثلاثمائة وإحدى وسبعين صفحة

- علشان البروفيسور دا. لدرجة إني بقيت دلوقتي خبير في ظاهرة "سافانت".

كان من الصعب عليَّ أن أفسر رد فعل "روزي"، ولكن يبدو لي أنها كانت مشاعر اندهاش أكثر منها إعجابًا.

- خبير محدش طلب منه خبرته.. المهم، أفهم من كلامك إنه مش والدي.

- تمام.

كم كان ارتياحي حينما ظهرت نتيجة عينة "ليفيبر" سلبية، حتى بعد كل هذا الجهد الذي بذلته. فقد كنت وضعت خطتي، ولو كانت النتيجة ظهرت إيجابية لفسد كل شيء.

- مبقاش فاضل دلوقتي غير تلات احتمالات. اتنين في نيويورك، والاتنين رفضوا المشاركة في الدراسة. وبالتالي صنفتهم على إنهم مهمة صعبة، وعلشان كدا لازم تيجي معايا نيويورك.

- نيويورك! لا.. لأ لأ. لا أنت هتسافر نيويورك ولا أنا هسافر نيويورك.

كنت قد وضعت في حسباني أن ترفض "روزي". ولكن تجربتي مع "دافني" كانت تكفيني لكي أحجز التذكرتين مسبقًا.

- لو اضطريت أسافر لوحدي هسافر. بس أنا مش واثق من إني أقدر أتعامل مع الجوانب الاجتماعية للمهمة دي.

هزت "روزي" رأسها غير مصدقة:

- أنت أكيد مجنون.

- يعني أنتِ مش عايزة تعرفي هما مين؟ قدامنا اتنين من تلاتة فاضلين، وممكن واحد منهم يكون هو والدك؟

- كمل كلامك.

- "إيزاك إيزلر". طبيب نفساني.

خمنت أن "روزي" تقلب الآن في ذاكرتها.

- ممكن.. "إيزاك". أفتكر إني سمعت الاسم. يمكن يكون صديق لحد أعرفه. "شِت". لكن دا من زمن بعيد فات.. والتاني؟

- "سولومون فرايبرج". جرَّاح.

- هو قريب "ماكس فرايبرج"؟

- "ماكسويل" هو اسمه الوسطاني.

- "شِت". "ماكس فرايبرج". هو عايش في نيويورك دلوقتي؟ مش ممكن. وأنت بتقول إن احتمال يكون والدي واحد من تلاتة. وإن فيه احتمال اتنين من تلاتة إني أكون يهودية. .

- دا بفرض إن والدتك قالتلك الحقيقة.

- ماما مش ممكن تكدب.

- كان عندك كام سنة لما هي ماتت؟

- عشرة. وأنا عارفة دماغك راحت لفين. بس أنا متأكدة.

واضح إن مناقشة هذه المسألة بعقلانية أمر غير ممكن. لذلك انتقلت إلى موضوع آخر.

- أنتِ عندك مشكلة في إنك تطلعي يهودية؟

مكتبة ٢٩١

- مفيش مشكلة مع اليهودية. المشكلة مع عيلة "فرايبرج". ولكن إذا طلعت فعلًا من عيلة "فرايبرج" فدا هيفسر سر سكوت ماما. أنت مسمعتش عن العيلة دي قبل كدا؟

- مش قبل المشروع دا طبعًا.

- لو كنت بتشجع كورة كنت هتعرف أكيد.

- هو كان لعيب؟

- رئيس نادي. مشهور جدًا. مين بقى الشخص التالت؟

- "جيفري كيس".

وجدت وجهها يشحب:

- أوه يا خرابي. دا مات.

- صحيح.

- ماما كانت بتتكلم كتير عنه. وحصلت له حادثة. أو تقريبًا كان عيان - سرطان.. مش فاكرة. المهم إنها كانت حاجة وحشة. ولكن مخطرش في بالي إنه دفعتها.

خطر لي الآن أننا لم نكن دقيقين كما ينبغي في تعاملنا مع المشروع، ويرجع هذا أساسًا لحالات سوء الفهم التي أدت إلى التخلي عن المشروع أكثر من مرة، قبل أن نعاود البدء فيه من جديد. فلو كنا بحثنا في الأسماء منذ البداية، لما كان من الممكن أن نتجاهل ممكنات بديهية مثل هذه.

- تعرفي عنه حاجات تانية؟

- لأ. ماما كانت زعلانة جدًا عاللي حصل له. "شِت". بس دلوقتي حزنها دا بقى مفهوم، صح؟ ودا سبب إنها احتفظت بالموضوع في السر.

أما أنا فلم أكن أفهم شيئًا من كلامها.

- هو من نفس بلدي في الريف. أفتكر إنه اتولد هناك علشان والده كان شغال دكتور هناك في الفترة دي.

كنت قد عرفت من الموقع الإلكتروني أن "جيفري كيس" من بلدة "موري" في شمال "نيو ساوث ويلز"، ولكن هذا لا يفسر سبب عدم مصارحة أم "روزي" لها بهوية أبيها. أما الصفة المميزة الثانية له فهي أنه ميت، ولذلك أعتقد أن "روزي" كانت تلمح إلى هذه الحقيقة - أي إن أمها لم تكن ترغب في أن تخبرها أن الشخص الذي هو أبوها قد مات. ولكن المؤكد أن "فيل" كان سيعرف "روزي" بالحقيقة وقت أن كبرت بما يكفي لتستوعبها.

دخل "جين" المكان ونحن نتحدث. ومعه "بيانكا"! لوحا لنا بالتحية وهما يقصدان السلم إلى حيث قاعة الطعام الخاصة. شخص غير معقول. وعلقت "روزي":

- فظيع.

- هو بس بيبحث في مدى جاذبية النساء من الجنسيات المختلفة.

- أنت صح. أنا بس صعبانة عليًا مراته.

أخبرت "روزي" أن العلاقة بين "جين" و"كلاوديا" قائمة على درجة كبيرة من الحرية.

- من حسن حظها. وأنت بقى ناوي تعرض على زوجة المستقبل علاقة من نفس النوع دا؟

- طبعًا.

- طبعًا.

سارعت بالتعقيب حتى لا تسيء "روزي" فهم كلامي:

- في حالة إذا كانت دي رغبتها.

- تفتكر إن دا ممكن؟

مكتبة ٢٩١

- لو لقيت شريكة حياتي، وهو احتمال ضعيف لحد دلوقتي، ساعتها مش هتكون عندي رغبة في علاقة جنسية مع واحدة غيرها. لكن أنا معنديش القدرة على إني أفهم رغبات التانيين.

- أنت هتقول لي.

لم أفهم ردها في الحقيقة.

بحثت في عقلي سريعًا عن معلومة مثيرة:

- آه.. تعرفي إن خصية النحل العامل والعنكبوت الأصفر بتنفجر خلال ممارسة الجنس؟!

ضايقني أن يكون أول شيء يخطر ببالي معلومة جنسية. وبما أنها خريجة علم نفس، فربما توصلت "روزي" الآن إلى تأويل من تأويلات فرويد بخصوصي. ولكنها نظرت لي وهزت رأسها. ثم ضحكت:

- أنا مقدرش أسافر لنيويورك. وأنت مش هتبقى في أمان لوحدك.

***

وجدت رقم تليفون أمام اسم عائلة "كيس" في بلدة "موري". وأخبرتني السيدة التي أجابتني أن الدكتور "كيس"، الأب، وكان اسمه أيضًا "جيفري"، تُوفي منذ عدة أعوام، وأن أرملته "مارجريت" تُقيم في دار مسنين لإصابتها بالـ"زهايمر" منذ عامين. أنباء طيبة. فمن الأفضل أن تكون الأم على قيد الحياة، مقارنة ببقاء الأب حيًا - فنادرًا ما يكون هناك أي شك بخصوص الأم البيولوجية في مثل هذه الفحوصات.

كان من الممكن أن أطلب من "روزي" أن تأتي معي، ولكنها قد وافقت بصعوبة على السفر إلى نيويورك، وأنا لا أرغب في أن أتيح أي فرصة لخطأ اجتماعي قد يهدد الرحلة. وأعرف من خبرتي مع "دافني" أنه سيكون من

مكتبة ٢٩١

السهل أخذ عينة الـ"دي إن إيه" من شخص مصاب بالـ"زهايمر". وهكذا، استأجرت سيارة، وحضّرت حقيبة أخذ العينة. كما أخذت معي بطاقات تعريف خاصة بي تعود إلى الفترة التي كنت فيها أستاذًا مساعدًا: يحق للدكتور "دون تيلمان" تلقي خدمة فائقة في أي منشأة طبية.

تبعد بلدة "موري" مسافة ألف ومئتين وثلاثين كيلومترًا من "ملبورن". أخذت السيارة المستأجرة في الساعة 3:43 عصرًا، عقب محاضرتي الأخيرة يوم الجمعة. قدّر مخطط الرحلة عبر الإنترنت مدتها بأربع عشرة ساعة وأربع وثلاثين دقيقة ذهابًا وعودة.

عندما كنت طالبًا في الجامعة، كنت معتادًا على قيادة السيارة من وإلى منزل عائلتي في "شيبارتون"، واكتشفت أن الرحلات الطويلة لها تأثير مشابه لتاثير رحلتي اليومية إلى السوق. فقد أثبتت الأبحاث أن مستوى الإبداع يزداد عند أداء مهام ميكانيكية مباشرة مثل التريض والمشي والطهي وقيادة السيارة، حيث إن وقت التفكير غير المنقطع مفيد دومًا.

أخذت طريق "هيوم" الشمالي السريع، واستخدمت مؤشر السرعة الدقيق في الـ"جي بي إس" لضبط القائد الآلي عند حدود السرعة المسموحة، بدلًا من الاعتماد على رقم لوحة العداد الذي ربما لا يكون دقيقًا. وهو الأمر الذي سيوفّر لي بضع دقائق من دون المخاطرة بمخالفة القانون. شعرتُ وأنا وحدي في السيارة أن حياتي بأكملها صارت مغامرة، وذورة تلك المغامرة هي الرحلة إلى نيويورك.

قررت أن أشغل مقاطع "بودكاست" خلال الرحلة حتى أخفف من الحمل الإدراكي وأشجع عقلي الباطن على معالجة مدخلاته الحديثة. ولكن الملل أصابني بعد ثلاث ساعات. لم أعد منتبهًا لما يحيط بي خلاف القدر الذي يحميني من وقوع حادث، كما أن الطرق السريعة نادرًا ما يكون بها شيء يثير

مكتبة ٢٩١

الانتباه. والراديو سيشتت انتباهي مثل الـ"بودكاست"، لذلك قررت أن أشتري أول أسطوانة منذ تجربة "باخ". لم أجد في محطة البنزين الواقعة قبل حدود "نيو ساوث ويلز" سوى مجموعة محدودة، ولكنني تعرفت على بعض الألبومات من مجموعة أبي. اخترت ألبومًا لـ"جاكسون براون". ضبطته بحيث يعاود تشغيل نفسه كلما انتهت الأغاني، وهكذا صار بمثابة الموسيقى التصويرية لرحلتي وتأملاتي على مدار ثلاثة أيام. وعلى العكس من كثيرين، فأنا أرتاح جدًّا لأي تكرار. ومن حسن حظي أن ليس في السيارة أحد غيري.

عندما فشل وعيي الباطن في إمدادي بأي شيء، حاولت تنفيذ تحليل موضوعي لموقف مشروع البحث عن الأب.

ما الذي عرفته حتى الآن؟

قمت بفحص إحدى وأربعين عينة من مجموع أربع وأربعين عينة مطلوبة. (وكذلك مجموعة منها ذات مظهر عرقي ناقص). وجميعها سلبية. وهناك احتمال أن واحدًا من السبعة المشاركين في بحث "أسبرجر" الوهمي الذين أرسلوا عينات قد يكون أرسل عينة تخص غيره. وقد استبعدت هذا الاحتمال. فمن السهل عليه ألا يشارك وحسب، كما فعل كلًا من "إيزاك إيزلر" و"ماكس فرايبرج".

حددت "روزي" أربعة مرشحين كانت والدتها تعرفهم - "إيمون هيوز"، "بيتر إنتيكوت"، "آلان ماكفي"، وأخيرًا "جيفري كيس". واعتبرت أن الثلاثة الأوائل يمكن اعتبارهم احتمالية كبيرة، وهو الأمر الذي ينطبق أيضًا على "جيفري كيس". ومن الواضح أنه الآن المرشح الأوفر حظًا.

يعتمد المشروع بأكمله على شهادة والدة "روزي" بأنها قامت بنشاطها الجنسي ذاك ليلة حفل التخرج. ومن الممكن أن تكون كاذبة، ربما لأن الأب الحقيقي من مكانة أقل من مكانتها. وربما يفسِّر هذا عدم كشفها عن هويته.

مكتبة ٢٩١

لقد اختارت والدة "روزي" أن تعيش مع "فيل". كانت هذه فكرتي الجديدة الأولى. وهي تدعم فكرة أن الأب الحقيقي أقل جاذبية أو أنه لم يكن مُتاحًا للزواج. وسيكون من المثير أن نعرف ما إذا كان "إيزلر" أو "فرايبرج" متزوجين بالفعل أو أنهما كانا متزوجين في تلك الفترة أم لا.

وقعت وفاة "جيفري كيس" في غضون أشهر من مولد "روزي" ومن إدراك أن "فيل" ليس هو الأب. وربما استغرقت والدة "روزي" وقتًا قبل أن تُجري فحص "دي إن إيه"، وعندئذٍ كان "جيفري كيس" قد مات ولم يعد متاحًا كشريك بديل.

كان هذا تدريبًا مفيدًا. فقد صار موقف المشروع أوضح في ذهني، وأضفت بعض التصورات وتأكدت من أن رحلتي مهمة مع قوة احتمال أن يكون "جيفري كيس" هو والد "روزي".

قررت أن أقود حتى أشعر بالتعب - وهو قرار غير مدروس، وخاطئ، فقد كان من اللازم أن أحدد زمن القيادة وفق دراسات منشورة عن إرهاق الجسد البشري، وبالتالي كان من اللازم أن أحجز للمبيت في أي موتيل. ولكنني كنت منشغلًا لدرجة أنستني كل هذا. ولذلك كنت أتوقف لفترات استراحة قصيرة كل ساعتين وهكذا استطعت الحفاظ على تركيزي. وعند الساعة 11:43 ليلًا، شعرتُ بالتعب، ولكن بدلًا من أن أنام توقفتُ عند محطة خدمة، فتزودت بالوقود وطلبت أربعة أكواب إسبريسو دوبل. وفتحت فتحة السقف في السيارة وأعدت تشغيل الأسطوانة بصوت عالٍ حتى أواجه هذا الإرهاق، وعند الساعة 7:19 من صباح السبت، كنت ما أزال تحت تأثير الكافيين، و"جاكسون براون".. ووصلت إلى "موري".

مكتبة ٢٩١

21

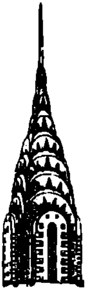

كنت قد أعددت الـ"جي بي إس" بحيث يقودني إلى دار المسنين، وهناك قدمتُ لهم نفسي باعتباري صديقًا للعائلة. فأجابتني الممرضة:

- أفتكر إنها مش هتتعرف عليك.

توقعت هذا الافتراض، وكنت جاهزًا بحكاية مقنعة. فقادتني الممرضة إلى غرفة منفردة لها حمامها الخاص. كانت السيدة "كيس" نائمة. سألتني الممرضة:

- أصحيهالك؟

- لأ. أنا هفضل جنبها.

- طيب هسيبك دلوقتي. كلمني لو احتجت أي حاجة.

مكتبة ٢٩١

رأيت أنني قد ألفت الأنظار لو غادرت سريعًا، لذلك جلست إلى جوار الفراش لبرهة من الوقت. خمَّنت أن "مارجريت كيس" في عقدها الثامن، العمر نفسه الذي وصلته "دافني" قبل أن تنتقل للعيش في دار المسنين. وبالنظر إلى القصة التي حكتها لي "روزي"، فمن الممكن أنني أجلس الآن مع جدتها.

بقت "مارجريت كيس" ساكنة وساكتة في فراشها، واستغرقت أنا في التفكير في مشروع البحث عن الأب. فهو مشروع صار ممكنًا بفضل التكنولوجيا. ولو كنا نعيش منذ بضع سنوات سابقة فحسب، لكان السر قد مات مع والدة "روزي".

أنا مؤمن بأن واجب العلوم، والبشرية، تحقيق أكبر قدر ممكن من المكتشفات. ولكني عالم مادي، ولست عالمًا نفسانيًّا.

هذه المرأة الراقدة أمامي ليست طبيبة عمرها أربعة وخمسون عامًا هربت من مسؤوليات الأمومة. إنها معدومة الحيلة. وسيكون من السهل عليَّ أن آخذ عينة من شعرها، أو أن أستبدل فرشاة أسنانها، ولكنني شعرت بتأنيب الضمير.

لتلك الأسباب، ولأسباب أخرى لم أفهمها في ذلك الوقت، قررت ألا آخذ العينة.

ثم استيقظت "مارجريت كيس". فتحت عينيها ونظرت إليَّ مباشرة. سألتني بصوت خافت ولكنه واضح:

- "جيفري"؟

أهي تطلب رؤية زوجها، أم ابنها المتوفى؟ كدت أرد عليها من دون تفكير "الاتنين ماتوا"، ليس عن مكر مني، ولكنني اعتدت أن أرد على الحقائق بأسرع من تجاوبي مع مشاعر الآخرين. لكن شيئًا ما تغير فيّ، وهكذا نجحت في أن أمنع نفسي من الرد.

مكتبة ٢٩١

لا بد أنها أدركت أنني لست الشخص الذي كانت تتمنى رؤيته، فقد بكت. لم تكن تبكي بصوت، ولكني لمحت الدموع على خديها. بادرت تلقائيًا، لأنني صادفت هذا الموقف من قبل مع "دافني"، بإخراج منديل ومسحت دموعها. أغلقت عينيها مجددًا. ولكن القدر منحني العينة.

***

بلغ مني الإنهاك مبلغه، وبحلول وقت خروجي من دار المسنين كانت الدموع في عينيَّ من أثر السهر. كنا في أوائل الخريف، والجو حار بالفعل في هذه المنطقة الشمالية. هكذا جلست تحت شجرة واستسلمت للنوم.

استيقظتُ لأجد طبيبًا في معطفه الأبيض يقف عند رأسي، وللحظة مخيفة عادت بي الذاكرة إلى فترة عصيبة مرت عليَّ منذ عشرين عامًا. ولكنها لحظة ومرت؛ فسرعان ما تذكرت أين أنا وأدركت أنه كان يتأكد من أنني لستُ مريضًا أو ميتًا فحسب. فأنا لم أخالف أي قانون. وجدتُ أن أربع ساعات وثماني دقائق قد مرت منذ أن فارقت غرفة "مارجريت كيس".

ما جرى لي نبهني إلى مخاطر الإرهاق، وهكذا خططت رحلة العودة بحرص أكبر. حددت خمس دقائق راحة كل ساعة، وعند الساعة 7:06 مساءً توقفت عند موتيل، وتناولت قطعة ستيك مطهية جيدًا ونمت. أتاح لي هذا النوم المبكر العودة إلى الطريق في الساعة الخامسة من فجر الأحد.

يمر الطريق السريع على "شيبارتون"، ولكنني انعطفت ودخلت إلى وسط المدينة. قررت ألا أزور والديّ. فالستة عشر كيلومترات الإضافية من وإلى منزلهما قبل العودة إلى الطريق السريعة سيضيف أعباءً جديدة لم أخطط لها خلال هذه الرحلة العاجلة أصلًا، ولكنني كنت أرغب في جولة سريعة داخل البلدة.

مكتبة ٢٩١

مررت على متجر "تيلمان". كان مغلقًا يوم الأحد، وأعتقد أن والدي وأخي في المنزل مع أمي. ربما والدي مشغول الآن في هوايته مع الصور، وأمي تطلب من أخي أن يرفع مشروعه الهندسي من فوق الترابيزة حتى تتمكن من تجهيزها لعشاء الأحد. آخر مرة زرتهم كانت يوم جنازة أختي.

وجدت محطة البنزين مفتوحة، فتزودت بالوقود. يجلس إلى الكاونتر رجل في الخامسة والأربعين، مؤشر كتلة الجسد نحو ثلاثين. عندما اقتربت منه، تعرفت عليه، وصححت عمره: تسعة وثلاثين. فقد شعره، ونمت لحيته وأهمل وزنه. ولكنه "جاري باركينسون" بالتأكيد، زميلي في الثانوية. كان يرغب في الالتحاق بالجيش والسفر. وواضح أنه لم يحقق طموحه. لذلك شكرت حسن حظي الذي أتاح لي أن أرحل عن البلدة وأعيد تشكيل حياتي. واضح أنه تعرف عليَّ بدوره:

- هاي.. "دون".

- أهلًا.. "جي بي".

ضحك من اختصار الاسم:

- أنت زي ما أنت.

وصلت إلى "ملبورن" مساء الأحد، وأعدت السيارة المستأجرة. وتركت فيها أسطوانة "جاكسون براون".

ألفان وأربعمائة واثنان وسبعون كيلومترًا، حسب الـ"جي بي إس". كان المنديل في مكانه داخل حقيبة العينة، ولكن وجوده لم يغير من قراري بعدم فحص عينة السيدة "مارجريت كيس".

هكذا ما يزال علينا أن نسافر إلى نيويورك.

مكتبة ٢٩١

***

التقيت "روزي" عند المطار. لم تكن راضية عن فكرة شرائي تذكرتها من مالي، لذلك أخبرتها أنها يمكن أن تدفع ثمنها عن طريق قيامها باختيار فتاة مناسبة لي من بين المتقدمات لمشروع البحث عن زوجة. ولما أتاني الرد الذي توقعته منها (لا يصح أن أذكره لك هنا)، أيقنت أننا عدنا أصدقاء من جديد.

لم أصدق حجم الأمتعة الذي أحضرته "روزي" معها. كنت أخبرتها ألا تحضر إلا ما هو ضروري، ولكنها أحضرت وزنًا من الأمتعة تجاوز الحد المسموح به بسبعة كيلو. ومن حسن الحظ أنني تمكنت من نقل بعض أشيائها إلى حقيبتي. أحضرت معي لابتوب خفيف للغاية، وفرشاة أسنان، وماكينة حلاقة، وقميصًا احتياطيًّا، وشورت، وملابس داخلية، ولكن الذي ضايقني هي الهدايا التي أرسلها معي "جين" و"كلاوديا". لم يسمحوا لي إلا بأسبوع إجازة، وحتى هذا الأسبوع نلته بصعوبة من العميدة. صار أوضح لي أنها تتحجج حتى تتخلص مني.

لم يسبق لـ"روزي" أن سافرت إلى الولايات المتحدة، ولكنها تعرف الإجراءات في المطارات الدولية. وأُعجِبَتْ جدًّا بالمعاملة الخاصة التي تلقيتها. فقد أنهينا الإجراءات عند مكتب الخدمة، ولم يكن هناك طابور، ورافقنا الأمن حتى صالة رجال الأعمال، رغم أننا مسافران على الدرجة السياحية.

وبينما كنا نتناول الشامبانيا في الاستراحة، شرحت لها أنني أنال معاملة متميزة لكوني أراعي دائمًا القواعد والإجراءات بكل احترام خلال سفرياتي، ومن خلال تقديمي الكثير من المقترحات المفيدة بخصوص إجراءات إنهاء السفر ومواعيد الرحلات وتدريب الطيارين والأنظمة الأمنية. وليس متوقعًا مني أن أتقدم بنصائح أخرى، بعد أن عرفوا أنني قدمت كمًا "يكفينا إلى الأبد".

- بصحة التميز.. إيه بقى خطتك؟

من الواضح أن التنظيم أمر جوهري عند السفر، ولذلك أعددت خطة ساعة بعد ساعة (مع إمكانية تقسيم الساعة عند الضرورة) لتحل محل جدولي الأسبوعي المعتاد. أدرجت المواعيد التي حددتها "روزي" للالتقاء بالمرشحين - "إيزلر" الطبيب النفساني و"فرايبرج" جراح التجميل. أدهشني أن وجدت أنها ليست لديها أي خطط بعد خطوة الوصول إلى المطار والالتقاء بي. ولكن على الأقل لن يكون هناك جدول أعمال آخر ليتعارض مع جدولي.

فتحت ملف الجدول في اللابتوب، وبدأت أشرحه لـ"روزي". وحتى قبل أن أكمل قائمة الخطوات الخاصة بالرحلة نفسها كانت تقاطعني.

- سيبك من الجزء دا يا "دون". هنعمل إيه في نيويورك؟ في الفترة بين العشا يوم السبت مع "إيزلر" ويوم الأربعاء مع "فرايبرج" - ودا هيبقى بالليل، صح؟ قصدي إن قدامنا أربعة أيام كاملة في مدينة نيويورك بين المعادين.

- السبت.. بعد العشا.. نتمشى لمحطة مترو "مارسي أفنيو" وناخد قَطْر "جي" أو "إم" أو "زي" لحد محطة "ديلانسي ستريت"، وهناك نغير ونركب قَطْر "إف"..

- عايزة المختصر.. المختصر. جملة واحدة لكل يوم من الأربعة. بعيد عن الأكل والنوم والمواصلات.

- الأحد.. متحف التاريخ الطبيعي.. الإثنين.. متحف التاريخ الطبيعي... الثلاثاء.. متحف التاريخ الطبيعي... الأربعاء...

- لا لا.. هو إيه دا! أقولك بلاش تعرفني هنعمل إيه يوم الأربعاء.. خليها مفاجأة.

- ممكن تخمني لو حبيتي.

- دا لو حبيت.. أنت سافرت نيويورك كام مرة؟

مكتبة ٢٩١؟

- دي تالت مرة.

- وأفتكر إن دي مش هتكون أول مرة هتزور فيها المتحف.

- لأ.

- وتفتكر أنا هعمل إيه في الفترة اللي أنت هتكون فيها في المتحف؟

- مفكرتش في النقطة دي. كنت فاكر إن عندك خطط تخصك بالنسبة لوقتك في نيويورك.

- معنديش. إحنا هنتفسح في نيويورك. الأحد والإثنين هكون أنا المسؤولة عن تحديد هنروح فين. وهتكون أنت المسؤول عن الثلاثاء والأربعاء. ولو كنت عايزنا نقضي اليومين في المتحف هنقضيهم في المتحف. مع بعض. لكن الأحد والإثنين أنا اللي أحددهم.

- لكن أنتِ متعرفيش حاجة في نيويورك.

- ولا أنت.

ذهبت "روزي" بالكأسين الفارغتين إلى البار لتملأهما شامبانيا مرة أخرى. كانت الساعة 9:42 صباحًا في مطار "ملبورن"، ولكنني ضبطت كل شيء بالفعل على توقيت نيويورك. استغللت فرصة ذهابها إلى البار، وفتحت موقع متحف التاريخ الطبيعي. سيكون عليَّ إعادة التخطيط لزيارته.

عادت "روزي" ولم تنتظر لحظة لمعاودة اقتحام خصوصيتي. أغلقت شاشة اللابتوب! مدهش. لو قمت بهذه الفعلة مع جهاز طالب عندي منشغل بلعبة "أنجري بيردز"، لاستدعتني العميدة إلى مكتبها في الصباح التالي مباشرة. حسب الهرم الوظيفي الجامعي، فأنا أستاذ مساعد، و"روزي" طالبة دكتوراة. ويحق لي أن تعاملني بشيء من الاحترام.

مكتبة ٢٩١

- اتكلم معايا. مكنش عندنا وقت نتكلم عن أي حاجة إلا عينات الـ"دي إن إيه". ودلوقتي قدامنا أسبوع سوا، وأنا عايزة أعرفك. وطالما إنك الشخص اللي هيعرفني مين هو بابا الحقيقي فمن المنطقي إني أعرف أنت تكون مين.

هكذا، وفي أقل من ربع ساعة، تم تدمير مخططي للرحلة بالكامل تمامًا. وأصبحت السيطرة لـ"روزي".

اصطحبنا مرافقًا من الاستراحة حتى الطائرة تمهيدًا لرحلة مدتها أربع عشرة ساعة ونصف ساعة إلى "لوس أنجلوس". ونتيجة لمكانتي المتميزة، حصلت أنا و"روزي" على كرسيين في صف به ثلاثة كراسي. فأنا لا أجلس مع بقية الركاب إلا حينما تكون الرحلة ممتلئة بالركاب.

- ابتدي حكايتك من أول الطفولة.

لم يكن ينقصنا إلا أن تنير المصباح الصغير فوقنا، وعندئذٍ يكتمل مشهد استجواب بوليسي. أنا الآن مثل السجين، لذلك عليَّ أن أتفاوض وأن أبحث عن خطة للهرب.

- لازم ننام شوية. الوقت بليل دلوقتي في نيويورك.

- الساعة هناك سبعة بليل. فيه حد بينام الساعة سبعة؟ وعلى كل حال، أنا مش هعرف أنام.

- علشان كدا جبت معايا منوم.

اندهشت "روزي" من حقيقة أنني أستعين بأقراص منومة. ظننت أنني أعترض على هذه المؤثرات الكيماوية. فهي على حق في أنها لا تعرف عني الكثير. واتفقنا على أن أحكي لها ملخص طفولتي وتجاربها، وهي معلومات مهمة للغاية، بالنظر إلى خلفيتها في علم النفس، وبعدها نتناول العشاء، ونأخذ الأقراص المنومة، وننام.

وتعللت بالذهاب إلى الحمام.. حتى أذهب لمديرة الضيافة وأطلب منها أن تقدم وجبة العشاء في أسرع وقت ممكن.

مكتبة ٢٩١

22

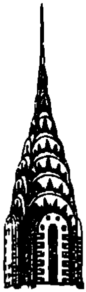

لم أجد صعوبة في أن أحكي قصة حياتي لـ"روزي". فكل عالم نفسي أو طبيب نفساني شاهدته يطلب دائمًا ملخص القصة، وهكذا أعددت الحقائق الضرورية بشكل واضح في ذهني.

والدي صاحب متجر قطع غيار وأجهزة في بلدتي التي وُلدت فيها. ويعيش مع والدتي وأخي الصغير، الذي من المحتمل أن يتولى إدارة المتجر عندما يتقاعد والدي أو يموت. أختي الكبيرة ماتت في عمر الأربعين نتيجة لقصور في الخدمة الطبية. وعندما حدث ذلك، بقت والدتي طريحة الفراش أسبوعين، فيما عدا اليوم الذي حضرت فيه الجنازة. حزنتُ جدًا لوفاة أختي. كنت غاضبًا جدًا كذلك.

العلاقة بيني وبين والدي عملية وليست عاطفية. وهو أمر يرضي كلينا. أمي حنونة جدًا، ولكنها تخنقني. أخي ليس مثلي. وأعتقد ذلك لأنه اعتبرني تهديدًا لحلمه في أن يرث المتجر، وعندما راح ذلك التهديد، اكتشفتُ أنَّه لا يحترم

مكتبة ٢٩١

اختياراتي. ربما كان المتجر رمزًا لحنان الأب. ولو كان كذلك، فبالتالي يكون أخي هو من فاز به، ولكنني لستُ حزينًا لهذه الخسارة. لا أزور عائلتي كثيرًا. وتتصل بي والدتي كل يوم أحد.

مرت سنوات المدرسة من دون أحداث لافتة. وكنت أحب دروس العلوم. لم يكن لي أصدقاء كثر، وكنت أحيانًا ضحية بلطجة بعض الطلبة. كنت الأول على المدرسة في كل المواد ما عدا اللغة الإنجليزية؛ فهي المادة التي كنت فيها الأول على الطلبة الأولاد فقط. ومع نهاية الدراسة الثانوية غادرت المنزل إلى الجامعة. في البداية اخترت تخصص علوم الكمبيوتر، ولكنني قررت في عيد ميلادي الحادي والعشرين أن أغيِّر التخصص إلى الهندسة الوراثية والجينات. ربما كان ذلك نتيجة رغبة في عقلي الباطن أن أبقى طالبًا، ولكنه اختيار منطقي. كان علم الجينات واعدًا. كما أن تاريخ عائلتي يخلو من إصابة أحد منهم بمرض عقلي.

التفتُ إلى "روزي" وابتسمت. كنت قد حكيت لها للتو حكاية أختي وحكاية بلطجة التلاميذ، ومعلومة المرض العقلي صحيحة، إلا إذا اعتبرت لنفسي وجودًا في تعريفي لكلمة عائلة. ستجد هناك في الأرشيف الطبي ملفًا باسمي وأنا في عامي الحادي والعشرين مع توصيف طبي؛ اكتئاب، اضطراب وجداني ثنائي القطب؟ وسواس قهري؟ شيزوفرينيا؟ علامات الاستفهام مهمة هنا - فبخلاف الملاحظة الظاهرة التي تدل على إصابتي بالاكتئاب - فإنهم لم يتوصلوا إلى تشخيص أكيد، رغم محاولاتهم عبر العديد من الخبراء النفسانيين لكي ينجحوا في تصنيفي في فئة بعينها. وأنا الآن أعتقد أن كافة مشكلاتي تعود إلى اختلاف الطريقة التي تمت بها برمجة عقلي مقارنة ببقية البشر. وجميع الأعراض النفسية هي نتيجة ذلك، وليست نتاج أي مرض خفي. وبالطبع كنت مكتئبًا؛ ليس لديَّ أصدقاء، ولا أمارس الجنس، ولا أندمج في الحياة الاجتماعية، بسبب

مكتبة ٢٩١

عدم توافقي مع من هم حولي. وأساؤوا تفسير شدة تركيزي واعتبروه نوعًا من الهوس المرضي، ووصفوا اهتمامي بدقة التنظيم بأنه اضطراب الوسواس القهري. وربما يواجه أطفال "جوليا" المصابون بالـ"أسبرجر" مشكلات مماثلة في حياتهم. الفارق أنهم وُضعوا في فئة واضحة واحدة، وربما تكون مهنة الطب النفساني ذكية بما يكفي لتبين أن المشكلات التي يتعاملون معها تعود إلى حد كبير إلى أن عقول جميع هؤلاء الأطفال تعرضت لبرمجة "أسبرجر". سألتني "روزي":

- إيه اللي حصل في عيد ميلادك الواحد والعشرين؟

هل قرأت "روزي" أفكاري؟ ما حدث في عيد ميلادي الحادي والعشرين هو أنني قررت أنني بحاجة إلى تغيير مسار حياتي، لأن أي تغيير سيكون أفضل من الاستسلام لحالة الاكتئاب. وأنا أفضِّل أن أعتبرها حالة مؤقتة ومرت.

أخبرت "روزي" بجزء من الحقيقة. فأنا لا أحتفل في المعتاد بعيد ميلادي، ولكن عائلتي أصرت في ذلك العام وقامت بدعوة عدد كبير من الأصدقاء والأقارب تعويضًا لي على قلة أصدقائي.

ألقى خالي كلمة. فهمت أن التقاليد قد جرت على أن يقوم الحضور بممازحة صاحب الحفل والسخرية منه، ولكن خالي "زودها حبتين" خصوصًا لما وجد استحسانًا ممن حوله، وأخذ يحكي عني حكاية تلو الأخرى. صدمت عندما اكتشفت أنه يعرف عني معلومات شديدة الخصوصية، وأيقنت أن أمي هي من حكت له كل شيء. وجدتها تشده من ذراعه لتنبهه، وتحاول إسكاته، ولكنه تجاهلها، ولم يتوقف إلا حينما انتبه إلى أنها تبكي، ولكنه كان في تلك اللحظة قد انتهى من وصف تفصيلي للأخطاء التي وقعت فيها طوال حياتي وما سببته من

مكتبة ٢٩١

إحراج وألم لمن هم حولي. يبدو أن لب المشكلة هو أنني كنت في ذلك الوقت نموذجًا للشاب الساذج المهووس بالكمبيوتر طوال الوقت. لذلك قررت تغيير حياتي.

- وبقيت مهووس بالجينات.

- أنا مقصدش كدا بالتحديد.

لكن هذه هي النتيجة الظاهرة. وتحررت من اكتئابي لأعمل بجد في تخصصي الجديد. لماذا لم يُحضروا العشاء حتى الآن؟

- احكيلي أكتر عن والدك.

- اشمعنى؟

في الحقيقة لم أكن مهتمًا بمعرفة السبب. بل كنت أحاول تطبيق العادة الاجتماعية التي تهدف إلى تحويل مسار الكلام إلى الطرف الآخر وحسب. وهي حيلة اقترحتها "كلاوديا" حتى أتعامل مع الأسئلة الشخصية الصعبة. وأتذكر أنها نصحتني ألا أفرط في استخدامها. ولكنني أستخدمها الآن لأول مرة.

- يمكن علشان أعرف إذا كان أبوك هو السبب في تخريب حياتك بالشكل دا.

- حياتي مش خربانة.

- أوكيه.. مش خربانة. آسفة، مكنش قصدي. بس إنت إنسان مش طبيعي بالمعنى الدقيق للكلمة.

"روزي".. طالبة الدكتوراه في علم النفس.

- متفق معاكي. بس هل وصفك لحياتي بأنها خربانة يتفق مع وصفي بإني مش طبيعي؟

- اعتبره سوء تعبير مش أكتر. طيب انسى الجزئية دي. يمكن أنا بسأل لأن والدي هو السبب في تخريب حياتي.

مكتبة ٢٩١

تعبير هائل. فيما عدا إهمالها لصحتها، لم أجد في "روزي" أي علامة على اضطراب عقلي.

- طيب وهي إيه أعراض الحياة الخربانة؟

- صادفت في حياتي صعوبات ومشاكل مكنتش أتمنى إني أصادفها. وأنا بكون عاجزة قدام المشاكل. فاهمني؟

- طبعًا. بتحصلك حوادث مش عايزاها وأنتِ ماعندكيش المهارات اللي ممكن تساعدك على تقليل تأثيرها على حياتك الشخصية. أنا خمنت إن عندك مشاكل في شخصيتك وبتتمني تتجاوزيها.

- لأ. أنا متصالحة جدًّا مع نفسي وشخصيتي.

- طيب إيه هي طبيعة الضرر اللي اتسبب فيه "فيل"؟

لم يكن لدى "روزي" رد فوري على سؤالي المهم. ربما هذا عرض من أعراض الحياة "الخربانة". ولكنها أجابتني في النهاية:

- يا ربي.. هو إيه اللي أخرهم عن العشا لحد دلوقتي؟

***

ذهبت "روزي" إلى الحمَّام، وانتهزتُ الفرصة لأفتح الهدايا التي أعطاها لي "جين" و"كلاوديا". كانا قد أوصلاني إلى المطار، وبالتالي كان من المستحيل أن أرفض لهما طلبًا. ومن حسن حظي أن "روزي" لم تكن موجودة وأنا أفتحها. كانت هدية "جين" عبارة عن كتاب جديد عن الأوضاع الجنسية، وكتب بداخله إهداءً لي: "مجموعة من الأفكار الجديدة اللي هتساعدك". رسم الرمز الجيني الذي اعتاد أن يستخدمه توقيعًا له. أمَّا هدية "كلاوديا" فلم تكن محرجة، ولكنني لم أجد علاقة بينها وبين الرحلة؛ بنطلون جينز وقميص. الملابس مفيدة

مكتبة ٢٩١

دائمًا، ولكنني حملت معي فعلًا قميصًا إضافيًّا، ولم أجد حاجة إلى بنطلون آخر في رحلة مدتها ثمانية أيام فحسب.

أساء "جين" مجددًا فهم طبيعة علاقتي مع "روزي"، ولكنني أتفهم هذا. فأنا لم أتمكن من شرح الغرض الحقيقي من اصطحاب "روزي" إلى نيويورك، وبالتالي افترض "جين" افتراضًا يتفق مع وجهة نظره للعالم. وفي طريقنا إلى المطار، طلبت من "كلاوديا" نصيحة حول التعامل مع كل هذه الساعات التي سأقضيها بصحبة شخص آخر.

- خليك حريص إنك تسمعها. لو سألتك سؤال غريب، اسألها عن سبب السؤال. يعني رجع الكلام ليها هي. وطالما إنها بتدرس علم نفس، فأكيد هتحب تتكلم عن نفسها. وخلي بالك من مشاعرك ومن منطق كلامك. وللمشاعر منطقها الخاص. وحاول تسيب نفسك للموج.

الحقيقة أن "روزي" قضت أغلب ساعات الرحلة إلى "لوس أنجلوس" إما نائمة أو تشاهد الأفلام، ولكنها أكدت لي مرتين أنني لم أضايقها وأنها فقط تريد فقط أن تقضي بعض الوقت مع نفسها.

فلم أتضايق.

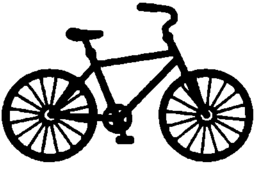

23

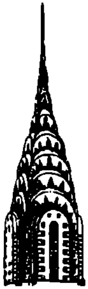

نجونا من إدارة الهجرة الأمريكية. فقد علّمتني التجارب السابقة ألا أتطوع بتزويدهم بأي ملاحظات أو مقترحات، كما أنني لم أجد حاجة إلى استخدام خطاب التوصية من "ديفيد برواينشتاين" في جامعة "كولومبيا"، والذي يؤكد فيه على أنني شخص عاقل وكفء. بدت "روزي" متوترة للغاية، حتى بالنسبة لشخص ضعيف في الحكم على الحالات العاطفية مثلي، وأصابني القلق من أن تؤدي حالتها إلى إثارة الشكوك حولنا، فيرفضوا دخولنا البلاد لأي سبب غير مبرر، كما حدث معي في الزيارة السابقة.

سألني الموظف:

- بتشتغل إيه؟

- باحث في الجينات.

مكتبة ٢٩١

- أفضل وظيفة في العالم؟

- طبعًا.

هكذا مررنا. سارعت "روزي" الخطى نحو الجمارك، ومن بعدها بوابة الخروج. كنت خلفها بعدة أمتار، أحمل الحقيبتين. واضح أن هناك شيئًا ما خطأ.

لحقت بها خارج البوابات، وكانت تدس يدها في حقيبتها. أخرجت علبة سجائر، وأشعلت سيجارة.

- سيجارة.. مش عايزة أي تعليق منك، أوكيه؟ لو كان عندي سبب واحد يخليني أرجعلها، فدلوقتي عندي ألف سبب. 18 ساعة ونص؟؟!!

من حسن حظي أنها طلبت مني عدم التعليق. فقد بقيت أتأملها صامتًا وأنا مندهش من تأثير الإدمان على حياتها.

أنهت سيجارتها، واتجهنا نحو البار. كانت الساعة 7:48 صباحًا في "لوس أنجلوس"، ولكن لا مانع من الالتزام بتوقيت "ملبورن" حتى نصل إلى نيويورك.

- ثم إيه حكاية أفضل عالم جينات في العالم دي؟

شرحتُ لها أن معي تأشيرة خاصة يتم إصدارها "للأشخاص غريبي الأطوار ذوي القدرات غير العادية". احتجت إلى تأشيرة دخول بعد المرة التي رفضوا فيها دخولي ووجدت أن تأشيرة بهذه النوعية هي الخيار الأفضل. تأشيرة من هذا النوع نادرة للغاية، والإجابة (نعم) هي الإجابة الصحيحة على أي سؤال حول غرابة وعدم طبيعية قدراتي. ولكن "روزي" ضحكت كثيرًا على اسم التأشيرة.

بما أننا لم نحمل الكثير من الحقائب، وأن إجراءات إدارة الهجرة مرت بسلام، فقد تمكنت من تنفيذ الخطة البديلة ولحقنا برحلة مبكرة إلى نيويورك. وكانت لديَّ خطة أيضًا لاستغلال الوقت الذي وفرناه.

مكتبة ٢٩١

عندما وصلنا مطار "جي إف كيه"، أرشدت "روزي" إلى القطار الهوائي "أير تراين".

- هنا فيه نوعين من المترو.

- أعتقد إنك حفظت الجدول اللي اتفقنا عليه.

- المسألة مش مستاهلة. أنا حفظت بس الخطوط والمحطات اللي محتاجينها في مشاويرنا.

أنا أحب نيويورك. وتخطيط المدينة منطقي للغاية، وخصوصًا من بداية شارع 14.

عندما اتصلت "روزي" بزوجة "إيزاك إيزلر" كانت حريصة على أن تخبرها أننا من أستراليا، وأن موضوع الزيارة له علاقة بحفلة لم الشمل. ونصحتني "روزي" ونحن في المترو:

- استخدم اسم غير اسمك الحقيقي. ممكن "إيزلر" ياخد باله من اسمك اللي كان موجود في ورق بحث الـ"أسبرجر".

سبقتها في التفكير في هذه الجزئية.

- "أوستن". من "أوستن باورز". عارفاه؟

رأت "روزي" في الاسم اختيارًا كوميديًا. وهكذا أضحكتها متعمدًا هذه المرة، وفي الوقت نفسه نجحت في ألا يكون ذلك سببًا في السخرية مني. لا بد من تسجيل هذه اللحظة النادرة.

- المهنة؟

- أنا صاحب محل قطع غيار.

هذا الاختيار كان وليد اللحظة لعلمك.

- أوكاااي. مظبوط.

مكتبه ٢٩١

أخذنا القطار E إلى محطة "لكسنجتون أفينيو" وشارع 53، وهناك اتجهنا إلى "الأب تاون". سألتني "روزي":

- الفندق فين؟

- في شارع "لوار إيست سايد". بس هنشتري شوية حاجات الأول.

- إزاي يعني. الساعة دلوقتي خمسة ونص، ومعادنا مع "إيزلر" الساعة سبعة ونص. مفيش وقت نشتري حاجة. لازم أستريح شوية وأغيَّر كمان.

نظرت إلى "روزي". كانت ترتدي قميصًا وبنطلون جينز، ملابس تقليدية معقولة. ولم أكن أجد أي مشكلة، ولكن ما يزال الوقت في صالحنا.

- مكنش في الخطة إننا نروح الفندق قبل العشا، ولكن طالما إننا وصلـ...

- "دون".. أنا بقالي يوم كامل متشعلقة في الجو. وأنا مش هنفذ أي حاجة في الجدول بتاعك إلا لما أتأكد من إن اللي كتبه واحد عاقل.

- أنا خصصت أربع دقايق للشوبينج.

كنا بالفعل واقفين خارج "هيرميس ستور"، الذي عرفت بعد البحث أنه أفضل محل في العالم لبيع الأوشحة النسائية. وهكذا دخلت وتبعتني "روزي".

كان المتجر خاويًا إلا منا نحن الاثنين. ممتاز.

- "دون"، أنت مش لابس حاجة مناسبة للمكان دا.

ملابس مناسبة للتسوق! أنا أرتدي ملابس مناسبة للسفر والأكل ومقابلة الناس وزيارة المتاحف، وكذلك التسوق: حذاء رياضي، بنطلون باجي، وتيشيرت، وبلوفر تريكو خفيف من صنع والدتي. كما أننا لسنا في "لو جافروش" مثلًا. فمن المستبعد جدًّا أن يرفضوا التعامل التجاري معنا بسبب ملابسي. وكنت على حق.

مكتبة ٢٩١

تقف سيدتان وراء الكاونتر، واحدة (عمرها خمسة وخمسون، مؤشر كتلة الجسد تسعة عشر تقريبًا) ترتدي خواتم في ثمانٍ من أصابعها، والأخرى (عمرها عشرون تقريبًا، مؤشر كتلة الجسد اثنان وعشرون) ترتدي نظارة بنفسجية ضخمة، فجعلتني أتخيلها نملة بشرية. ترتديان بدلة رسمية. بدأت أنا في خطوات التعامل التجاري.

- عايز شال متوسط الجودة.

ابتسمت لي ذات الخواتم:

- يسعدني أساعدك في الاختيار. بتشتريه للآنسة؟

- لأ. لـ"كلاوديا".

أدركت أن ردي غير مفهوم، ولكنني لم أعرف كيف أوضح لها أكثر.

- و"كلاوديا" هي.. عندها كام سنة؟

كانت تصنع دوائر في الهواء بيدها.

- 41 سنة و356 يوم.

- آه.. يبقى فيه حفلة عيد ميلاد قريب.

- هو عيد ميلاد "كلاوديا" بس.

عيد ميلادي ما يزال بعد اثنين وثلاثين يومًا، وبالتالي فلا يمكن أن أقول عليه "قريب".

- "كلاوديا" بتحب تلبس الشال، حتى في الصيف، علشان تغطي تجاعيد في رقبتها بتعتبرها وحشة. علشان كدا الغرض منه مش عملي.. مجرد ديكور.

عرضت عليَّ ذات الخواتم وشاحًا.

- إيه رأيك في دا؟

مكتبة ٢٩١

كان خفيفًا للغاية، ولن يكفل أي حماية لها من الهواء والبرد. ولكنه بالفعل جميل المنظر كما طلبت. كما أن الوقت المخصص بدأ ينفد.

- ممتاز.. بكام؟

- سعره 1200 دولار.

فتحت محفظتي وأخرجت بطاقة الائتمان. ولكن "روزي" صاحت:

- إيه.. إيه.. استنى. ياريت لو نشوف أنواع تانية عندك الأول.

- بس الأربع دقايق خلصوا.

وضعت ذات الخواتم ثلاثة أنواع أخرى من الأوشحة فوق الكاونتر. تفحصت "روزي" أحدها. فقلدتها، وتظاهرت بتفحص وشاحًا آخر. بدا لي لطيفًا. كما أنني لست مبرمجًا على تفضيل شيء على آخر من النوع نفسه.

وهكذا استمر الحال. ذات الخواتم تضع الأوشحة فوق الكاونتر و"روزي" وأنا نتفحصها. اقتربت النملة البشرية لكي تساعد بدورها. وفي النهاية اخترت وشاحًا بوسعي أن أعلق عليه بطريقة مفهومة:

- الشال دا فيه عيب! السيمترية بتاعته مش مظبوطة. والسيمترية أساس الجمال البشري.

بادرتني "روزي" برد لماح:

- يمكن السيمترية اللي مش في الشال دا تكون مناسبة للسيمترية اللي بتتمتع بيها "كلاوديا".

مكتبة ۲۹۱

عرضت علينا النخلة وشاحًا ورديًا فيه أزهار صغيرة. حتى أنا متأكد من أن "كلاوديا" لن تعجب به، فقمت بوضعه على الفور فوق الكومة التي لم تعجبنا. فسألتني "روزي":

- عيبه إيه دا؟

- مش عارف. بس هو مش مناسب.

- إيه رأيك تتخيل واحدة ممكن تكون بتلبسه؟

تطوعت ذات الخواتم بالرد:

- "باربارا كارتلاند".

لم أكن أعرف امرأة بهذا الاسم، ولكنني توصلت إلى شخصية أعرفها:

- عميدة الكلية! كانت لابسة سكارف زيه في الحفلة.

ضحكت "روزي" بشدة.

- مظـــ. بوط.

سحبت وشاحًا آخر من الكومة.

- إيه رأيك في دا؟

كان شفافًا. أجبت تلقائيًا:

- "جولي".

ثم شرحت لـ"روزي" والسيدتين أنني أقصد أخصائية الـ"أسبرجر" وما ترتديه من ملابس شبه عارية. وربما لا تحتاج وشاحًا حتى تقلل من ذلك التأثير العاري.

- ودا؟

كان وشاحًا أعجبني جدًّا بسبب ألوانه الفاتحة، ولكن "روزي" رفضته:

- ألوانه فاقعة جدًّا.

مكتبة ٢٩١

- "بيانكا".

يبدو أن "روزي" لن تتوقف من الضحك على تعليقاتي:

- تمام. أنت تعرف في اللبس أكتر بكتير من اللي أنت فاكره.

عرضت علينا النملة البشرية وشاحًا عليه صور لطيور. اخترته، الصور دقيقة للغاية. جميل جدًا. علقت النملة:

- طيور العالم.

ولكن "روزي" تدخلت:

- "أوه ماي جود". دا مينفعش "كلاوديا".

- وليه لأ؟ دا جميل جدًّا.

- طيور العالم! فكّر كويس.. "جين".

هكذا استمر الحال. توضع أمامنا أوشحة من جميع الأقسام، وتراكمت في أكوام أمامنا، وتفحصناها، ووضعناها جانبًا. كان كل شيء يتم بسرعة كبيرة، حتى أنني تذكرت ليلة الكوكتيل الكبيرة، ولكننا هنا زبائن. وتساءلت عمَّا إذا كانت البائعتان مستمتعتين بهذا الوقت مثلنا.

في النهاية تركت الاختيار لـ"روزي". وعندئذٍ، اختارت أول وشاح قدمته لي ذات الخواتم في البداية.

وبينما كنا في طريقنا للخارج، قالت لي "روزي":

- أنا حاسة إني ضيعت ساعة من حياتنا.

- لأ. أبدًا. النتيجة مش مهمة. المهم إننا اتبسطنا.

- طيِّب. في كل مرة عايز تتبسط فيها، قولي وإحنا نروح "مانولو بلانوكس" المرة الجاية.

لا أعرف من هو "مانولو"، ولكن واضح أنه متجر للأحذية. في الغالب.

مكتبة ٢٩١

- عندنا وقت؟

كنا قد استنفدنا بالفعل الوقت الذي كانت تنوي "روزي" استغلاله في الفندق. ولكن "روزي" أكملت تنبهني:

- أنا بهزر. بهزر.

هذا من حسن حظي، فهو يعني أن علينا أن نتحرك بسرعة لنلحق موعدنا مع "إيزلر". ولكن "روزي" تحتاج إلى تغيير ملابسها. كان هناك حمامًا في محطة "يونيون سكوير". فدخلته "روزي" مسرعة، قبل أن تخرج وقد تغيرت تمامًا. للأفضل.

- مش معقول.. بسرعة كدا.

بينما نظرت هي إليَّ وقالت لي في عدم رضا:

- وأنت هتروح كدا؟

- دي هدومي. وعندي قميص احتياطي.

- وريني.

فتحت الحقيبة، وأخرجت القميص البديل، وأنا أشك في أنه سيعجب "روزي"، خاصة بعد موضوع هدية "كلاوديا". عرضت عليها القميص.

- دا كان هدية من "كلاوديا". ومعايا بنطلون جينز كمان.

- يا سلام على ذوق "كلاوديا". تستاهل الشال فعلًا.

- بس هنتأخر.

- مش مشكلة لو اتأخرنا شوية.

يمتلك "إيزاك" و"جودي" شقة في "ويليامسبرج". عمل خط تليفوني الأمريكي بكفاءة، فتمكنا من العثور على العنوان بدقة من خلال الـ"جي بي

مكتبة ٢٩١

إس". وتمنيت أن يكون تأخير ستة وأربعين دقيقة يستوفي تعريف "روزي".. شيء من التأخير. قالت لي وهي ترن الجرس:

- متنساش.. "أوستن".

فتحت "جودي" الباب لنا. عمرها خمسون ومؤشر كتلة الجسد ستة وعشرون. تتحدث بلكنة أهل نيويورك، فظننت أننا في العنوان الخطأ. وجدت زوجها "إيزاك" نموذجًا كاريكاتيريًّا للطبيب النفساني.. في منتصف الخمسين، قصير، شعره منحسر للوراء، وله ذقن دوجلاس، ومؤشر كتلة الجسد تسعة عشر. ولكنه ليس ودودًا مثل زوجته.

قدما لنا كأسي مارتيني. فتذكرت تأثير الشراب عليَّ خلال التحضير لحفل الكوكتيل، وقررت ألا أتناول إلا ثلاثة كؤوس. صنعت لنا "جودي" قطع "كانابي" صغيرة بالسمك، وسألتنا عن رحلتنا إلى أمريكا. كانت تريد أن تعرف عمًّا إذا كانت هذه هي زيارتنا الأولى لنيويورك، وعن الفصل الذي تعيشه أستراليا حاليًا (وهو سؤال ساذج فعلًا)، وعما إذا كنا نخطط للقيام بالتسوق وزيارة المتاحف. تولت "روزي" الإجابة على جميع الأسئلة. وجهت "جودي" الكلام إلى زوجها:

- "إيزاك" مسافر شيكاغو الصبح. قولهم هتعمل إيه هناك.

- مؤتمرِ عادي.

أنا وهو لا نحتاج للتحدث كثيرًا ضمانًا لاستمرار الحوار. السيدتان يقمن بالمهمة على نحو فعال.

ولكنه سألني ونحن في طريقنا إلى مائدة العشاء:

- بتشتغل إيه، يا "أوستن"؟

مكتبة ٢٩١

فتدخلت "روزي":

- "أوستن" صاحب محل قطع غيار. ناجح جدًّا.

قدمت لنا "جودي" وجبة لذيذة للغاية، الطبق الرئيسي فيها هو سمك السلمون، وأكدت لـ"روزي" أنه خالٍ من أي مواد صناعية لم أكن قد أكلت كثيرًا من طعام الطائرة السيئ، ولذلك استمتعت كثيرًا بطعام "جودي". فتح "إيزاك" زجاجة "بينوه جريه" من ولاية "أوريجون"، وتطوع بملء كؤوسنا أكثر من مرة. تحدثنا عن نيويورك وعن الفوارق بين السياسة الأمريكية والأسترالية. وقالت "جودي":

- أنا مبسوطة قوي بزيارتكم. عوضتنا شوية عن إننا محضرناش حفلة لم الشمل. "إيزاك" زعل جدًّا لأنه مقدرش يحضرها.

- مزعلتش قوي. ساعات بيبقى صعب على الواحد يفتكر الماضي.

تناول آخر قطعة من السمك في طبقه، قبل أن يقول لروزي:

- أنتِ شبه والدتك جدًّا. كانت أصغر شوية منك في آخر مرة شفتها فيها.

قالت "جودي" مبتسمة:

- إحنا اتجوزنا تاني يوم التخرج، وسافرنا على هنا. يومها كان "إيزاك" عنده صداع شديد من كتر ما شرب في الحفلة. كان شاب طايش وقتها.

- أفتكر إن كفاية لحد كدا كلام في الماضي، يا "جودي". سنين طويلة مرت عليه.

كان يحدق في "روزي". و"روزي" تحدق فيه.

حملت "جودي" طبق "روزي" وطبقي. هذه هي اللحظة المناسبة لأتحرك فيها، في ظل عدم انتباه الجميع. فوقفت وحملت طبق "إيزاك" وطبق

مكتبة ٢٩١

"جودي". كان "إيزاك" منشغلًا بالتحديق في "روزي". وهكذا ذهبت إلى المطبخ، وأخذت شوكة الطعام التي كان يأكل بها "إيزاك".

قالت "جودي" ونحن نعود إلى المائدة:

- أعتقد إن "أوستن" و"روزي" تعبانين بعد اليوم الطويل دا.

بينما نهض "إيزاك" وهو يسألني:

- أنت صاحب محل قطع غيار، مش كدا؟ ممكن لو سمحت تيجي بس خمس دقايق تشوف المحبس؟ هي شغلانة سبَّاك أنا عارف، ولكن ممكن يكون الموضوع بسيط.

هكذا، ذهبت مع "إيزاك" إلى القبو في الأسفل. كنت واثقًا من قدرتي على إصلاح المحبس. فقد كنت أقضي عطلات المدرسة في أمور كهذه. ولكننا عندما وصلنا إلى الأسفل، انطفأت الأنوار. لم أعرف ما حدث، هل انقطعت الكهرباء؟

سألني "إيزاك" في قلق:

- أنت بخير، يا "دون"؟

- بخير. إيه اللي حصل؟

- اللي حصل هو إنك رديت عليَّ وأنا بناديك بـ"دون".. يا "أوستن".

وقفنا في الظلام. أخذت أفكر في المعايير المتعارف عليها اجتماعيًّا للتعامل مع استجواب طبيب نفساني داخل قبو مظلم.

- وعرفت اسمي الحقيقي منين؟

- لما توصلك رسالتين من نفس الجامعة في نفس الشهر. ومع شوية بحث بسيط على النت. يبقى الموضوع سهل.. بالمناسبة إنتم الاتنين بتعرفوا ترقصوا كويس قوي مع بعض.

مزيد من الصمت.. مزيد من الظلام.

مكتبه ٢٩١

- أنا عارف الإجابة عن سؤالك، بس أنا وعدت إن الموضوع يكون سر طول حياتي. أما لو كانت مسألة حياة أو موت، أو مسألة صحية خطيرة، فممكن ساعتها أفكر. لكن دلوقتي مفيش سبب يخليني أكشف السر، وأكسر بالوعد اللي قطعته على نفسي. أصحاب السر شايفين إنه الأحسن إنه يبقى سر. وأنت سافرت لحد هنا علشان تاخد عينة الـ"دي إن إيه" بتاعتي، وأعتقد إنك خدتها فعلًا لما خدت طبقي للمطبخ. بس أنصحك إنك تفكر لأبعد من رغبات صاحبتك.. قبل ما تفحص العينة.

بعدها، أضاء النور.

كنت منشغلًا بالتفكير ونحن نصعد السلم لأعلى. ولما وصلنا إلى فوق، توقفت بغتة:

- طالما إنك عارف غرضنا.. إيه اللي خلاك توافق على زيارتنا ليك؟

- سؤال وجيه. وطالما إنك أنت اللي سألته، فأكيد عارف الإجابة.. كنت عاوز أشوف "روزي".

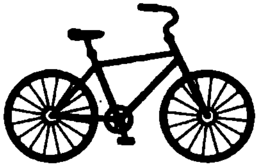

مكتبة ٢٩١

24

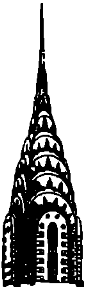

بفضل الاستخدام المحسوب للأقراص المنومة، فقد استيقظت من دون أي شعور باضطراب الساعة البيولوجية، وذلك في الساعة 7:06 صباحًا.

كانت "روزي" قد نامت لبعض الوقت ونحن في المترو عائدين إلى الفندق. ورأيت ألا أبادر بتعريفها بما جرى في القبو، وألا أذكر لها ما لمحته معلقًا على حائط الصالة في ذلك المنزل. كانت صورة كبيرة من حفل زفاف "جودي" و"إيزاك". فهناك إلى جوار "إيزاك"، مرتديًا ملابس وصيف العريس، كان "جيفري كيس" واقفًا، ولم يكن يعرف في تلك اللحظة أنه لم يبقَ أمامه في هذه الحياة سوى ثلاثمائة وسبعين يومًا. كان مبتسمًا.

ما زلت أدرس تبعات ذلك اللقاء، وربما يفسد رد فعل "روزي" الوجداني تجربة نيويورك بأكملها. أُعجبت هي بالطريقة التي أخذت بها عينة "دي إن إيه"، وأُعجبت أكثر بالطريقة العفوية التي تظاهرت بها وأنا أحمل الطبق إلى المطبخ.

مكتبة ٢٩١

- بدأت تتعلم مهارات اجتماعية خطيرة.

وجدنا الفندق مريحًا إلى حد كبير. وبعد الانتهاء من تأكيد الحجز، قالت لي "روزي" إنها كانت تخشى من أن أطلب منها أن تشاركني الغرفة نفسها في مقابل سدادي لثمن تذكرتها إلى نيويورك. شعرتُ بإهانة كبيرة. هل تعتقد أنني أظنها عاهرة؟! ويبدو أن رد فعلي أسعدها.

حظيت بحصة تدريبية ممتازة في جيم الفندق، وعدت لأرى وميض مصباح الرسائل في تليفون الغرفة. إنها "روزي". اتصلت بها:

- كنت فين؟

- في الجيم. الرياضة مهمة للحد من تأثير الاختلال في الساعة البيولوجية. وبرضه أشعة الشمس. علشان كدا أنا ناوي أمشي بطول تسع وعشرين عمارة تحت أشعة الشمس.

- أنت مش ناسي حاجة؟ اليوم يومي. وبكرة كمان. أنت ملكي لحد نص الليل بتاع الإتنين. ودلوقتي انزل اللوبي. أنا مستنياك علشان نفطر.

- بلبس الجيم؟

- لأ، يا "دون"، مش بلبس الجيم. خد شاور، والبس. قدامك عشر دقايق.

- لكن أنا دايمًا بفطر قبل ما أخد الشاور.

- ليه.. أنت عندك كام سنة؟

كان سؤالها قاسيًا ساخرًا، ولم تنتظر إجابتي عنه:

- بتتصرف زي العجوز. "أنا دايمًا بفطر قبل ما أخد الشاور"، "متقعدش على الكرسي بتاعي".. أنا مش هسمح بحركاتك دي، يا "دون تيلمان".

مكتبة ٢٩١

نطقت الجملة الأخيرة ببطء شديد. لذلك رأيت أن من الأفضل ألا أنفذ معها أي "حركات". وما هي أصلًا تلك الحركات؟ سينتهي كل شيء في منتصف ليل الغد، وحتى ذلك الحين سأتبنى عقلية طبيب الأسنان.

تقمصت دوره وهو يستعد لحشو أحد الضروس. ووصلت إلى اللوبي، لأجد استقبالًا عاصفًا من "روزي".

- بقالك كام يوم لابس القميص دا؟

- أربعتاشر سنة. بينشف بسرعة، ومش محتاج مكوة. وممتاز للسفر.

الحقيقة أنا اشتريته وقتها لأنهم أخبروني أنه قميص يناسب المشي لمسافات طويلة، رغم أن تكنولوجيا الأنسجة تقدمت كثيرًا منذ أن صنعوا هذا القميص.

- طيب. الموضوع مش هيكلفك حاجة. اطلع فوق. البس القميص التاني.

- بس دا مبلول.

- قصدي القميص اللي جابتهولك "كلاوديا". والبس الجينز بالمرة. أنا مش هتفسح في نيويورك مع واحد ضايع.

لما نزلت في المرة الثانية، ابتسمت لي "روزي":

- أنت عارف، فيك وسامة مش بطالة.

سكتت، ونظرت لي، قبل أن تقول:

- "دون"، أنت مش عاجبك ومش مقتنع، صح؟ وأنت دلوقتي بتتمنى لو كنت لوحدك في المتحف، مش كدا؟

حدسها قوي بالفعل.

- أنا فاهماك. بس أنت بتعمل كل اللي بتعمله دا علشاني، وأنت اللي خلتني أسافر نيويورك، وكمان لسة ليك عندي فلوس. علشان كدا أنا عايزاك تبقى مبسوط.

مكتبة ٢٩١

كان ممكنًا أن أقول لها إن رغبتها في أن تفعل لي أي شيء، تعني أنها تتصرف في النهاية لمصلحتها الخاصة، ولكنني لم أرغب في تحفيز سلوكها الساخط الآن.

- أنت في مكان مختلف، وفي لبس مختلف. أنت عارف إن الحجاج في العصور الوسطى كانوا لما بيوصلوا "سانتياجو" بعد رحلة مشي طولها مئات الكيلومترات كانوا بيحرقوا هدومهم عشان يوروا الناس إنهم اتغيروا؟ أنا مش بطلب منك تحرق هدومك.. على الأقل دلوقتي. ممكن تلبسهم تاني يوم الثلاثاء. بس عايزاك تبقى متقبل للتغيير. خليني أفرجك على الدنيا على طريقتي في اليومين دول. وهنبدأ بالفطار. إحنا في المدينة اللي بتقدم أحسن فطار في الدنيا.

لا بد أنها لاحظت مقاومتي.

- طيب. بلاش تضييع وقت أكتر من كدا، صح؟

- صح.

- أنت التزمت إنك تقضي اليومين معايا على طريقتي. ولو فضلت على الحال دا، فأنت بتضيع يومين من حياتك في الوقت اللي شخص تاني بيحاول يخليهم يومين مفيدين كلهم مرح وانطلاق. أنا هـ... أنا سبت الدليل السياحي في أوضتي. هطلع أجيبه، ولما أرجع هنفطر.

تركتني واتجهت إلى الأسانسير.

أصابني منطق "روزي" بالاضطراب. فأنا دومًا أبرر جدولي الزمني على أساس كفاءة استغلال الوقت. ولكن، هل ألتزم به بزعم الكفاءة أم أن الموضوع هو الجدول نفسه؟ هل أنا بالفعل مثل أبي، الذي يصر على أن يجلس في الكرسي نفسه كل ليلة؟ أنا لم أذكر هذه الحقيقة لـ"روزي" من قبل. أن لديَّ بالفعل كرسي أفضل الجلوس عليه دائمًا.

مكتبة ٢٩١

كما أن هناك حجة أخرى لم تطرحها، لأنها لم تكن لتعلمها. فأنا عايشت خلال الثمانية أسابيع الأخيرة فترتين من أفضل ثلاث فترات مرت بي في حياتي، هذا بافتراض أن كل زياراتي إلى متحف التاريخ الطبيعي تمثّل فترة من تلك الفترات. وكلتا الفترتين كانتا مع "روزي". فهل هناك ارتباط؟ من المهم أن أكتشف هذا.

مع عودة "روزي"، كنت قد أجريت إعادة تهيئة لمخي، وهو تدريب يتطلب جهدًا وإرادة كبيرين. ولكنني صرت مهيئًا الآن للتكيف معها.

- ودلوقتي؟

- دلوقتي، إزاي نلاقي أحسن فطار في الدنيا؟

لم يكن أفضل إفطار في العالم بعيدًا عنا. ولكنني وجدته أكثر إفطارًا غير صحي تناولته في حياتي، ولكنني لن أكتسب وزنًا كبيرًا أو أفقد لياقتي البدنية، أو اتقاد ذهني، أو مهارات الفنون القتالية، لو أنني أهملت كل ذلك ليومين فحسب. هذا هو النظام الذي ضبطت عليه عقلي الآن.

- أنا مش مصدقة إنك كلت كل دا.

- طعمه كان جميل.

- خلاص مفيش غدا، والعشا متأخر.

- لأ. هناكل في أي وقت نحبه.

اقتربت منا الفتاة التي تقوم على خدمتنا. فأشارت "روزي" إلى قدحي القهوة الفارغين.

- القهوة كانت ممتازة. أنا عاوزة واحدة كمان.

حدقت فيها الفتاة باستغراب. واضح أنها لم تفهم كلام "روزي". وواضح أيضًا أن ذوق "روزي" في القهوة سيئ للغاية، أو أنها فعلت كما فعلت أنا؛

مكتبة ٢٩١

تجاهلت أن هذا المشروب الذي أمامها قهوة واستمتعت به كأنه اختراع جديد تمامًا. هذا أسلوب رائع. فقلت بدوري:

- قهوة سادة مع كريمة وقهوة سادة من غير كريمة.. من فضلك.

- حاضر.

نحن في بلد يتحدث الناس فيها بصورة مباشرة. وهذا ما أفضله. وأنا مستمتع بتجربة اللهجة الأمريكية؛ كريمة بدلًا من حليب، و"إيليفيتور" بدلًا من "ليفت"، و"تشيك" وليس "بيل". كنت قد حفظت قائمة الفوارق اللغوية بين الإنجليزية الأمريكية والأسترالية قبل رحلتي الأولى إلى الولايات المتحدة، وفوجئت بقدرة مخي على التغيير السريع والتنقل ما بين اللهجتين.

مشينا عبر "الأب تاون". تنظر "روزي" في الدليل، والذي كان عنوانه "ليس للسائحين"، ويبدو أنه اختيار سيئ منها.

- إحنا رايحين فين؟

- مش رايحين في أي حتة. إحنا وصلنا فعلًا.

كنا خارج متجر ملابس. وسألتني "روزي" عما إذا كان لديَّ اعتراض على دخوله.

- مش لازم تسأليني. اليوم يومك.

- في دي لازم أسأل، لأن المحلات والشوبنج هواية نسائية. أنا كنت هسألك إذا كنت زرت "فيفث أفينيو" قبل كدا، بس أنا خلاص حفظتك.

هناك انسيابية الآن بيننا. وأنا بدوري اعتدت ألا أتفاجأ بأي تصرف من "روزي"، وإلا لكنت اندهشت من استخدامها كلمة "نسائية"، وأنا أعرف أن "الفيمنست" لا يقبلون باستخدامه.

كانت "روزي" متكيفة معي بشكل ملحوظ. أنا لم أزر أي مكان من قبل خلاف مراكز المؤتمرات والمتحف، ولكن بعد التهيئة الجديدة لعقلي، بدأت انبهر

مكتبة ٢٩١

بكل شيء. هذا متجر كامل للسيجار فقط. وهذه أسعار رهيبة للمجوهرات. ومبنى "الفلاتيرون". ومتحف للجنس. وقفت "روزي" أمامه لحظات قبل أن تقرر ألا ندخله. ربما كان هذا قرارًا صائبًا، ربما كان مبهرًا، ولكن ضرره أكبر من نفعه.

- مش عايز تشتري حاجة؟

- لأ.

بعد بضع دقائق، خطر لي خاطر:

- فيه محل قريب للقمصان الرجالي؟

ضحكت "روزي" ساخرة:

- في "فيفث أفينيو"، نيويورك. وممكن يكون حظنا كويس ونلاقي.

لاحظت النبرة الساخرة، ولكنها ودودة.. نوعًا ما. وجدنا قميصًا جديدًا من النوع نفسه الذي اشترته "كلاوديا" في متجر هائل الحجم اسمه "بلومنجديلز"، ولكنه في الحقيقة لم يكن في "فيفث أفينو". ولا يمكننا أن نختار من بين قميصين فنختار شراء الاثنين. خزانة ملابسي لا تسمح بذلك.

وصلنا إلى حديقة "سنترال بارك". فقالت "روزي":

- إحنا مش هنتغدى، لكن ممكن ناخد آيس كريم.

هناك بائع في المتنزه، ولديه النوعان: آيس كريم مع مخروط البسكويت، وعلب الآيس كريم الجاهزة.

راودني إحساس غير مريح. وأدركت سببه على الفور. ولكن كان عليَّ أن أتأكد.

- نكهة الآيس كريم ليها أهمية بالنسبالك؟

- أفضّل أي حاجة بالفول السوداني. إحنا في أمريكا.

- بس كل الآيس كريم طعمه واحد.

- كلام فارغ.

مكتبة ٢٩١

شرحت لها موضوع مسام التذوق في اللسان.

- طيب تراهن؟ لو قلتلك الفرق بين الفول السوداني والفانيليا، يبقى عليك تذكرتين لفيلم "سبايدرمان" في "برودواي" الليلة.

- بس قوام الآيس كريم هيكون مختلف. علشان الفول السوداني.

- اختار أنت أي نوعين.

هكذا اخترت نكهتا المشمش والمانجو.

- غمضي عينيكي.

لم يكن هذا ضروريًا: فاللونان تقريبًا واحد، ولكنني لم أكن أريدها أن تراني وأنا ألقي بالعملة أختار النوع الذي سأجعلها تتذوقه أولًا. قلقت من أن تستغل مهاراتها السيكولوجية في تخمين الترتيب الذي سأتبعه.

هكذا أجريت ملك وكتابة، قبل أن أناولها الآيس كريم.

- مانجا.

صواب. ملك وكتابة، ثم ناولتها.

- مانجا .

اختارت المانجو بشكل صحيح ثلاث مرات، ثم المشمش، ثم المشمش. كانت احتمالات أن تحقق النتيجة بشكل عشوائي هي واحد إلى اثنين وثلاثين. وكنت واثقًا بنسبة سبعة وتسعين في المئة أنها قادرة على التمييز بينهما. وهي نسبة لا تُصدق.

- كدا هنتفرج على "سبايدرمان" الليلة دي؟

- لأ. تخمينك غلط.

نظرت إليَّ "روزي"، بإمعان، قبل أن تضحك بقوة:

- أنت بتضحك عليا، مش كدا؟ أنا مش مصدقة إنك بقيت قادر تهزر.

مكتبة ٢٩١

ناولتني الآيس كريم:

- طالما مش فارقة معاك، يبقى تاخد أنت المشمش.

نظرت إليها. وماذا أقول؟ وهي تلعق الآيس كريم الذي اختارته لي. ولكنها قرأت أفكاري مجددًا:

- إزاي أي حد هيقدر يبوس اللي بيحبها طالما مش هياكل معاها من نفس الآيس كريم؟

غمرني إحساس ممتع وغير منطقي لبضع دقائق، ما بين سعادتي لنجاحي في المزاح، والتفكير في كلامها عن القبلة. قبّل فتاة، شارِكها نفس الآيس كريم، ورغم أن كلامها لم يكن مُوجهًا لي، ولكن لا علاقة له بالتأكيد بالفتاة التي تشارك الآيس كريم الآن مع "دون تيلمان" في قميصه الجديد والجينز، والذي يتمشى معها بين الأشجار في "سنترال بارك"، نيويورك، في ظهيرة أحد مشمس.

تمنيت عندما عدتُ إلى غرفتي لو استرجعت المائة وأربع عشرة دقيقة التي أمضيناها في الخارج، رغم أنني استمتعت باليوم جدًا. أخذتُ حمامًا، وتصفحت رسائلي الإلكترونية، ومارست عدة تمارين استرخاء وإطالات. أرسلت رسالة إلى "جين" و"كلاوديا"، أوجز فيها كل ما جرى.

***

تأخرت "روزي" ثلاث دقائق عن موعدنا الساعة 7 مساءً. كنت أهم بالاتصال بها عندما حضرت ترتدي الملابس التي اشترتها اليوم؛ جينز أبيض وتيشيرت أزرق، مع السترة التي كانت ترتديها في الليلة السابقة. تذكرت عبارة اعتاد "جين" أن يقولها لـ"كلاوديا".

- أنتِ متألقة جدًا.

وجدتها عبارة فيها خطورة، ولكن رد فعلها كان إيجابيًا. رغم أنني في الحقيقة لم أكن أراها متألقة جدًا.

تناولنا كوكتيل في البار الذي يقدِّم أطول قائمة مشروبات كوكتيل في العالم، ومنها العديد من المشروبات التي لا أعرفها. وشاهدنا "سبايدرمان". بعده، قالت لي "روزي" أن القصة متوقعة، ولكنني كنت منبهرًا بكل شيء. كنت متجاهلًا للقصة، مركزًا على ميكانيكية طيران البطل. كانت رائعة.

أخذنا المترو عائدين إلى "لوار إيست سايد". كنت جائعًا، ولكنني لم أرغب في مخالفة القواعد باقتراح ما سوف نتناوله. ولكن "روزي" خططت لذلك أيضًا. في الساعة 10 مساءً، حجزت في مطعم اسمه "مومو فوكو كو". اختيارات "روزي" من جديد.

- هديتي ليك علشان جبتني معاك هنا.

جلسنا إلى الكاونتر حتى نراقب الطاهي خلال عمله. هناك بعض الرسميات العجيبة التي تجعلني أتوتر وأنا في المطاعم. سألنا الطاهي:

- حاجة معينة بتحبوها؟ عندكم حساسية أو فيه حاجة مش بتحبوها؟

فقالت له "روزي":

- أنا نباتية، بس ممكن آكل سي فود فريش. أما هو فبياكل كل حاجة.. وأقصد كل حاجة.

عجزت عن إحصاء عدد الأطباق. تناولت خبز حلو و"فواجرا" (لأول مرة!) وبطارخ قنفذ البحر. وشربنا زجاجة شامبانيا وردية. تحدثت مع الطهاة وعرَّفوني بما يقومون به. تناولت أفضل طعام في حياتي. ولم أكن محتاجًا لارتداء سترة حتى آكل في المطعم. والحقيقة أن الرجل الذي كان يجلس جواري كان يرتدي زيًا كان سيجعل الجميع يظنونه شاذًا حتى في "الماركيز أوف

مكتبة ٢٩١

كوينسبري" نفسه، بما في ذلك العديد من الأقراط التي علقها في وجهه. سمعني وأنا أتحدث مع الطاهي، فسألني عن بلدي. فأخبرته.

- إيه رأيك في نيويورك؟

أخبرته أنني أراها مثيرة للغاية، وحكيت له الكيفية التي أمضينا بها يومنا. ولكنني انتبهت، في ظل توتري أثناء التحدث مع غريب، إلى أن أسلوبي قد تغير - أو بالأصح انتكس - وعدت إلى طريقتي المعتادة. كنت خلال اليوم مع "روزي" أشعر بارتياح، وتكلمت وتصرفت بطريقة مختلفة، واستمر هذا في حديثي مع الطاهي، وكان في جوهره تبادل معلومات ليس إلا. ولكن التواصل الاجتماعي غير الرسمي مع شخص آخر هو الذي حفَّز طريقتي المعتادة. وأنا أعرف أن الآخرين يتعجبون ويستغربون طريقتي وسلوكي. ولا بد أن الرجل ذا الأقراط لاحظ ذلك.

- أنت عارف أنا بحب إيه في نيويورك؟ إن فيها ناس كتير غريبة محدش بياخد باله منها. المدينة هنا بتستوعب كل أصناف البشر.

قالت لي "روزي" واحنا بنتمشى عائدين للفندق:

- إيه رأيك؟

- أحسن يوم في حياتي من يوم ما كبرت.

بدت "روزي" سعيدة بردي جدًا، لدرجة أنني قررت ألا أكمل الجملة قائلًا.. "ما عدا زيارة متحف التاريخ الطبيعي".

- نام كويس. نتقابل الساعة 9:30 الصبح هنا. على الفطار.. أوكيه؟

لم يكن من المنطقي أبدًا أن أجادلها في هذه اللحظة.

مكتبة ٢٩١

25

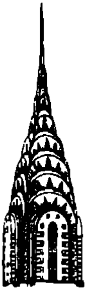

- أنا اتسببتلك في أي إحراج؟

كانت "روزي" تخشى من أن أتفوه بتعليقات غير ملائمة خلال جولتنا في موقع مركز التجارة العالمي. كان دليلنا، وهو إطفائي سابق اسمه "فرانك" فقد العديد من زملائه في هجمات سبتمبر، مسلي للغاية وسألته عدة أسئلة فنية أجاب عنها بذكاء وحماس، كما بدا لي.

- كان ممكن تغير نبرتك شوية. أنت بكلامك حولت الاهتمام بعيد عن الأثر العاطفي.

معنى ذلك أنني خففت من قدر الحزن، وهذا جيد.

يوم الإثنين مخصص لزيارة المعالم السياحية الشهيرة. وتناولنا الإفطار في "كاتز ديلاي"، حيث تم تصوير مشهد من فيلم اسمه "عندما قابل هاري سالي". صعدنا إلى أعلى مبنى "إمباير ستيت"، والذي اشتُهِر بأنه كان أيضًا مكان تصوير فيلم "علاقة لا تُنسى". وزرنا "موما وميت"، وكانت زيارة ممتازة.

مكتبة ٢٩١

عدنا إلى الفندق مبكرًا عند الساعة 4:32 عصرًا. قالت لي "روزي":

- نتقابل هنا الساعة 6:30.

- هناكل إيه على العشا؟

- هوت دوج. وهنحضر ماتش بيسبول.

أنا لا أشاهد المباريات الرياضية. والأسباب واضحة، أو هي كذلك بالنسبة لأي شخص يعرف قيمة الوقت. ولكن عقلي في حالته الجديدة، المشبع بجرعات عالية من التعزيز الإيجابي، قبل العرض. أمضيت المئة وثماني عشرة دقيقة التالية في شبكة الإنترنت، أتعرَّف على قواعد اللعبة وأشهر لاعبيها.

أخبرتني "روزي" بأمر جديد ونحن في المترو. فهي قبل أن تغادر "ملبورن" أرسلت رسالة إلكترونية إلى "ماري كينيلي"، وهي باحثة في نفس مجالها بجامعة "كولومبيا". وتلقت للتو ردًا من "ماري" تخبرها فيه أنها يمكن أن تلتقيها في الغد. وبالتالي لن تتمكن من الذهاب معي إلى متحف التاريخ الطبيعي. ستذهب معي يوم الأربعاء، ولكن هل هناك مشكلة لو ذهبت وحدي في الغد؟ بالطبع لا.

في إستاد "اليانكي"، اشترينا بيرة وهوت دوج. جلس إلى جواري رجل يرتدي قبعة، عمره خمسة وثلاثون عامًا تقريبًا، ومؤشر كتلة الجسد أربعون تقريبًا (أي أنه بدين إلى حد خطير). تناول ثلاثة هوت دوج! سبب بدانته واضح للغاية.

بدأت المباراة، وتطوعت بأن أشرح لـ"روزي" مجرياتها. أبهرني أن أشاهد القواعد وهي تطبق في مباراة حقيقية. وفي كل مرة يحدث فيها جديد في الملعب،

أجد مشجع البيسبول البدين يدون ملاحظة في دفتر. كانت المباراة تجري ساخنة و"كورتيز جراندرسون" متألق، عندما تحدث إليَّ المشجع البدين:

- لو نجح في إنه يصد كور اللاعبين الاتنين دول هيتصدر الدوري. أنت توقعاتك إيه؟

لم أكن أعرف ما هي التوقعات. وكل ما أمكنني أن أخبره به أنها ما بين 9.9 و27.2 في المئة على أساس متوسط التصديات والنسبة المئوية لتسجيل النقاط والمذكورة في صفحته على الإنترنت. لم يكن لديَّ وقت لحفظ إحصائيات الثنائيات والثلاثيات. ورغم ذلك بدا أن المشجع البدين كان مندهشًا مني، ودار بيننا حوار شيق. علمني كيف أميز برنامج المباريات برموز تمثل مختلف الأحداث، وآلية عمل الإحصائيات المتطورة. لم أكن أعرف أن الرياضة محفِّزة للتفكير إلى هذا الحد.

أحضرت "روزي" المزيد من البيرة والهوت دوج، وحكى لي البدين عمَّا حققه "جو ديماجيو" في عام 1941 والذي قال عنه إنه إنجاز أقرب إلى المستحيل. أبديت تشككي، وكانت المناقشة تزداد متعة عندما انتهت المباراة، فاقترح علينا أن نذهب سويًّا عبر المترو إلى بار في "ميدتاون". وبما أن "روزي" هي المسؤولة، فقد سألتها عن رأيها، ووافقت.

كان البار صاخبًا وهناك مباراة بيسبول جارية على شاشة تلفزيونية كبيرة. انضم إلينا بعض الرجال الآخرين، الذين فيما يبدو لم يلتقوا البدين من قبل. تناولنا الكثير من البيرة، وتناقشنا في إحصائيات البيسبول. جلست "روزي" على مقربة تتابعنا. كان الوقت قد تأخر عندما أعلن البدين، واسمه الحقيقي

مكتبة ٢٩١

"ديف"، أنه مضطر للذهاب. تبادلنا عناوين البريد الإلكتروني، ووجدت أنني كسبت صديقًا جديدًا.

أدركت ونحن نتمشى عائدين إلى الفندق أنني تصرفت بطريقة ذكورية نمطية للغاية، فشربت البيرة في بار، وشاهدت التلفزيون وتحدثت عن المباريات. ومعروف أن مشاعر النساء سلبية تجاه ذلك السلوك. فسألت "روزي" عمَّا إذا كنت قد ضايقتها.

- أبدًا.. بالعكس، كنت مستمتعة وأنا بتفرج عليك وأنت بتتحول لشخص طبيعي.

قلت لها أن هذا رد غير عادي من "فيمنست"، ولكن هذا يعني أنها رفيقة جذابة للغاية في أي صحبة رجالية تقليدية.

- دا لو كنت مهتمة بالرجالة التقليديين.

وجدتها فرصة جيدة لأسأل "روزي" عن حياتها الشخصية.

- أنتِ عندك صاحب؟

تمنيت أن أكون استخدمت الكلمات المناسبة.

- أكيد.. أنا بس لسة مطلعتوش من شنطة السفر.

واضح أنها تمزح. لذلك ضحكت، ثم لمحت لها أنها لم ترد على سؤالي.

- "دون".. تفتكر إن لو عندي صاحب كنت هتفضل مش عارفه لحد دلوقتي؟

لكنني وجدت إمكانية كبيرة في ألا أعرف عنه أي شيء. لقد سألت "روزي" أسئلة شخصية للغاية خارج نطاق مشروع البحث عن الأب. ولا أعرف أي من أصدقائها فيما عدا "ستيفان"، والذي استنتجت أنه ليس رفيقها. طبيعي أنه سيكون تقليديًا جدًّا أن تحضر أي شريك إلى حفل أعضاء هيئة التدريس، وألا يطلب مني ممارسة الجنس بعد ذلك، ولكن ليس الكل مقيد بتلك القناعات.

مكتبة ٢٩١

و"جين" مثال ظاهر. ويبدو لي ممكنًا جدًّا أن لـ"روزي" رفيق لا يحب الرقص أو التفاعل اجتماعيًّا مع الأكاديميين، وأن يكون خارج المدينة في ذلك الوقت، أو هو في علاقة مفتوحة معها. ليس لديها سبب لتخبرني. في حياتي الخاصة، نادرًا ما ذكرت "دافني" أو أختي لـ"جين" و"كلاوديا" أو العكس. إنهما يتنتميان إلى أجزاء مختلفة من حياتي. وقد شرحت ذلك لـ"روزي".

- الإجابة باختصار.. لأ.

مشينا لبعض الوقت، قبل أن تعقب قائلة:

- الإجابة الطويلة؛ سألتني عن قصدي لما قلت إن والدي بوظ حياتي. مبادئ علم النفس بتقول إن أول ذكر في حياتنا بيكون الأب. وطبيعة العلاقة دي بتأثر على علاقتنا بكل الرجالة للأبد. علشان كدا، ولحسن حظي، عندي اختيار بين اتنين. "فيل"، بعقليته التعبانة، أو والدي الحقيقي اللي سابني أنا ووالدني. كنت قدام الاختيار دا وأنا عندي اتناشر سنة لما قعد معايا "فيل" واتكلم معايا بصراحة. نفس الكلام المتوقع يقوله أب لابنه أو بنته في سن اتناشر سنة؛ أنا مش والدك، وماما اللي ماتت وأنتِ لسه صغيرة مش هي الشخص المثالي اللي أنتِ متخيلاه، وأنتِ هنا بس لأن مامتك كانت سهلة، وأنا أتمنى لو إنك مش معايا دلوقتي علشان أقدر أعيش حياتي بحرية.

- قالك كل دا؟

- مش بنفس الكلمات، لكن دا مضمون كلامه.

قلت لنفسي إن من المستبعد جدًّا أن تتمكن فتاة صغيرة - حتى ولو كانت ستصبح بعد ذلك طالبة علم نفس - من الاستدلال على أفكار ذكر بالغ خاصة

مكتبة ٢٩١

وأنه لم يصرح بها. وأحيانًا يكون من الأفضل أن ننتبه إلى انعدام كفاءة المرء في هذه المسائل، مثلي أنا، بدلًا من امتلاك إحساس خبرة زائف.

- علشان كدا معنديش ثقة في الرجّالة. عمري ما صدقت وصف أي راجل لنفسه. وأنا خايفة إنك تخيب ظني. دا ملخص سبع سنين من دراسة السيكولوجي.

يبدو لي أن هذه نتيجة سيئة للغاية لسبع سنين من الجهد، ولكنني افترضت أنها تجاهلت بقية المعارف التي اكتسبتها في هذا العلم.

- تحب نتقابل بكرة بليل؟ ممكن نعمل كل اللي أنت تحب تعمله.

كنت أفكر في خططي لليوم التالي.

- أعرف واحد في "كولومبيا". ممكن نبقى نروح نزوره سوا.

- والمتحف؟

- أنا سبق واختصرت أربع زيارات في زيارتين. ومفيش مانع اختصر اتنين في زيارة واحدة.

لم يكن في كلامي أي منطق، ولكنني شربت الكثير من البيرة، وأشعر برغبة في الذهاب إلى "كولومبيا". أن أترك نفسي للتيار.

- نتقابل على الساعة تمانية. ومتتأخرش.

عندئذٍ قبلتني. لم تكن قبلة عاطفية؛ بل قبلة على خدي. ولكنني اضطربت. لم أعرف إن كان إيجابيًا أو سلبيًا، ولكنه اضطراب.

أرسلت رسالة إلكترونية إلى "ديفيد بورينشتاين" في "كولومبيا"، ثم تحدثت عبر سكايب مع "كلاوديا" وحكيت لها مجريات اليوم، ولم أخبرها بالقبلة. قالت لي:

- الظاهر إنها عملت معاك مجهود كبير.

مكتبة ٢٩١

واضح أن هذا صحيح. نجحت "روزي" في اختيار أنشطة كنت سأتجنبها لو أنني بمفردي، ولكنني استمتعت بها جدًّا.

- وهتزور معاها كل أقسام متحف التاريخ الطبيعي يوم الأربعاء؟

- لأ. أنا هركز في الزيارة على نماذج الحياة النباتية والحيوانية في القطبين ونماذج القشريات.

- طيب فكر في الموضوع دا مرة تانية.

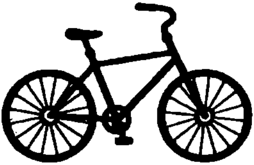

مكتبة ٢٩١

26

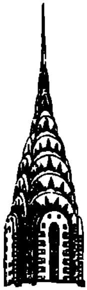

أخذنا المترو إلى "كولومبيا". لم يرد "ديفيد بورينشتاين" على رسالتي. ولم أذكر هذا لـ"روزي" التي دعتني إلى اجتماعها، ما لم يتعارض مع موعد اجتماعي. قالت لي:

– هعرفك على إنك باحث زميل. أنا عايزاك تشوفني وأنا في مجال دراستي بعيد عن شغلي في البار.

"ماري كينيلي" أستاذة مساعدة في قسم الطب النفساني بكلية الطب. لم يسبق لي أن سألت "روزي" عن موضوع رسالة الدكتوراه. ولكنني عرفت أنه عن المخاطر البيئية التي تؤثر على المرحلة المبكرة من الاضطراب ثنائي القطب، وهو موضوع علمي جاد. عندما طالعت خطتها البحثية، وجدت أن مقاربة "روزي" معتبرة وسليمة. تحدثت هي و"ماري" لمدة ثلاث وخمسين دقيقة، بعدها ذهبنا لتناول القهوة. قالت "ماري" لـ"روزي":

مكتبه ٢٩١

- أنا شايفة إنك طبيبة نفسية أفضل منك متخصصة في علم النفس. مفكرتيش تحولي وتدرسي الطب؟

- أنا أصلًا خريجة طب. تقدري تقولي إني تمردت عليه.

- طيب. إحنا بنقدم برنامج دراسي متميز هنا.. دا لو حبيتي ترجعي لعقلك.

- مش متخيلة نفسي أعيش وأدرس في "كولومبيا".

- وليه لأ؟ وطالما أنتِ جيتي بنفسك المسافة دي كلها.. عندي فكرة.

أجرت اتصالًا تليفونيًا سريعًا، بعدها ابتسمت وهي تقول لها:

- تعالي معايا.. هنقابل العميد.

عدنا إلى حيث مبنى كلية الطب، وقالت لي "روزي":

- أتمنى إنك تكون مبسوط.

وصلنا إلى مكتب العميد، الذي خرج عند الباب لاستقبالنا.

- "دون".. أنا لسه واصلني الميل بتاعك. مكنش عندي فرصة أبعت الرد.

ثم التفت إلى "روزي":

- أنا "ديفيد بروينشتاين". أنتِ جاية مع "دون"؟

***

تناولنا الغداء في نادي أعضاء هيئة التدريس. أخبر "ديفيد" "روزي" أنه هو من أوصى بتأشيرة الدخول المميزة الخاصة بي.

- مكدبتش عليهم. "دون" مرحب بيه في أي وقت يكون زميل لينا هنا لو فكر ينضملنا.

رغم أنهم يقولون أن البيتزا المخبوزة في فرن يعمل بالفحم غير صديقة للبيئة، فإنني دائمًا ما أتعامل مع مثل هذه المقولات بكل شك. فهي في المعتاد مبنية على عواطف وليس على العلم، كما أنها تتجاهل الدورة الكاملة للحياة.

الكهرباء جيدة والفحم سيئ. ولكن من أين تأتي الكهرباء؟ هكذا وجدت بيتزا "آرتورو" ممتازة. أفضل بيتزا في العالم.

كنت مهتمًا بجملة قالتها "روزي" ونحن في "كولومبيا".

- أنا أعرف إنك كنتِ معجبة بوالدتك؟ ليه محبتيش تكوني دكتورة؟

- الموضوع ملوش علاقة بوالدتي. وبعدين بابا برضه كان دكتور، نسيت؟

صبت ما تبقى من نبيذ أحمر في كأسها.

- أنا عديت امتحان GAMSAT، زي ما قلت لـ"بيتر إينتيكوت". جبت أربعة وسبعين درجة. بس في داهية.

ورغم كلماتها الفجة، وجدت تعبيرات وجهها ودية.

- قلت لنفسي إن دراسة الطب هتكون نوع من أنواع الهوس بفكرة والدي الحقيقي. وكأني بامشي ورا خطواته بدل خطوات "فيل". وكنت عارفة إني لو دخلت الطب هفشل.

يقول لي "جين" دائمًا إن علماء النفس فاشلون في فهم أنفسهم. ويبدو لي أن "روزي" نموذج جيد على رأيه. لماذا تتجنب شيئًا يمكنها أن تجد فيه المتعة والنجاح؟ والمؤكد هو أن ثلاثة أعوام من دراسة علم النفس ثم بضع سنوات في الدراسات العليا كافية لكي تحكم هي بنفسها على سلوكها وشخصيتها وتحدد مشكلاتها الوجدانية بدلًا من أن تصنفها في العموم بكونها "خربانة". وطبيعي ألا أبوح لها بأفكاري هذه.

***

كنا في أول طابور زوار المتحف عندما فتح أبوابه في العاشرة والنصف. خططت للزيارة على أساس التركيز على تاريخ الكون، والكوكب، والحياة. ثلاثة

مكتبة ٢٩١

عشر مليار سنة من التاريخ في ست ساعات. وعند الظهر، اقترحت "روزي" أن نلغي الغداء من الجدول لنخصص وقتًا أطول للمتحف. بعد ذلك توقفت عند نموذج لآثار الأقدام الشهيرة التي في "لايتولي" والتي هي لبشر منذ قرابة 3.6 مليون عام.

- قريت عنها مقال. دي لأم وابنها، ماسكين إيد بعض، صح؟

تفسير رومانسي، ولكنه غير مستحيل.

- مفكرتش يكون عندك أولاد، يا "دون"؟

قلت لها وقد نسيت أن أرفض الرد على هذا السؤال الشخصي:

- طبعًا. بس الموضوع مستبعد وكمان منصحش بيه.

- ليه؟

- مستبعد لأني فقدت الثقة في مشروع البحث عن الزوجة. ومنصحش بيه نفسي لأني منفعش أكون أب.

- ليه؟

- لأني هكون مصدر إحراج لأولادي.

ضحكت "روزي". رأيت هذا رد فعل عديم الإحساس منها، ولكنها بادرت بالشرح:

- كل الأبهات مصدر إحراج لأولادهم.

- بما فيهم "فيل"؟

ضحكت مجددًا:

- خصوصًا "فيل".

انتهينا من جناح الرئيسيات في 4:28 عصرًا. سألتني "روزي":

- أوه، هو كدا خلصنا؟ مفيش حاجة تاني نشوفها؟

- لسه في حاجتين هنشوفهم. بس خايف تلاقيهم مملين شوية.

مكتبة ٢٩١

أخذتها إلى قاعة الكرات. تصوَّر الكون بمختلف الأحجام. لم يكن العرض دراماتيكي، ولكن المعلومات مثيرة. معلومات عامة غير متخصصة ولكنها جذابة. كم نحن صغار مقارنة بحجم الكون، وكم نحن كبار مقارنة بحجم نوترون. بذلت جهدي لكي أجعلها تهتم بالعرض.

ثم توجهنا إلى المصعد، حيث صعدنا إلى ممر "هيلبروم" الكوني، عبارة عن مسار حلزوني طوله مائة وعشرة أمتار يجسد مسارًا زمنيًّا للكون منذ الانفجار الكبير وحتى وقتنا الحاضر. صور ولوحات، وصخور وأحفوريات على الحائط، ولم أكن بحاجة للنظر لها، فأنا أعرف الحكاية، التي حكيتها لها بكل ما أمكنني من دقة وبشكل درامي، وأنا أضع كل ما شاهدناه خلال اليوم في السياق، ونحن نهبط في المسار الحلزوني حتى نصل إلى الطابق الأرضي والمسار الرفيع الضيق الذي يمثل كامل تاريخ البشرية فوق ظهر الكوكب. كان المتحف يوشك على إغلاق أبوابه، وكنا الوحيدين في المكان. في زيارات سابقة، استمعت إلى ردود أفعال الزوار عندما يصلون إلى نهاية هذا المسار. أوصاف من قبيل: "يخليك تحس إنك ولا حاجة، مش كدا؟". أما أنا فأعتقد أن هذه نظرة من بين نظرات أخرى، كيف أن عمر الكون يطغى على حياتنا أو الأحداث التاريخية أو حتى إنجاز "جو ديماجيو".

ولكنني وجدت وصف "روزي" نسخة لفظية من رأيي. مجرد "واو" عالية انفعالية، قالتها سريعًا، وهي تنظر وراء ظهرها إلى كامل الرحلة. وعندئذٍ، في ظل هذه اللحظة المتواضعة في تاريخ الكون، أمسكت يدي، ولم تتركها.. حتى وصلنا المترو.

مكتبة ٢٩١

27

أمامنا مهمة مصيرية لا بد لنا من إتمامها قبل مغادرة نيويورك في الصباح التالي. فقد وافق "ماكس فرايبرج"، جراح التجميل والأب المحتمل لـ"روزي"، وصاحب الجدول اليومي المزدحم دومًا، على أن يلتقينا لمدة ربع ساعة عند الساعة 6:45 مساءً. أخبرت "روزي" سكرتيرته أنها تكتب سلسلة مقالات في إحدى المجلات موضوعها نماذج ناجحة من خريجي الجامعة. كنت أحمل كاميرا "روزي" وأقوم بدور المصور.

كان الحصول على موعد صعب للغاية، ولكن اتضح أن الحصول على عينة "دي إن إيه" سيكون أكثر صعوبة بكثير، خاصة في مكتبه، مقارنة بأي مكان عام. كنت قد هيأت عقلي لمهمة حل مثل هذه المشكلة قبل أن نغادر إلى نيويورك، وتوقعت منه أن يتوصل إلى حل من خلال معالجة ما تراكم لديَّ من خبرات، ولكن من الواضح أنه كان منشغلًا بأمور أخرى. وأفضل ما أمكنه التوصل إليه

مكتبه ٢٩١

هو الخاتم ذو السن الحاد الذي يمكنه أن يسحب الدم من يده عندما أصافحه، ولكن "روزي" عرفتني أن هذا الحل غير مجدي من الناحية الاجتماعية.

اقترحت عليَّ فكرة قص خصلة من شعره، إما خلسة أو ونحن نعدل من تصفيفة شعره بحجة الصور. فمن المؤكد أن جراح التجميل سيكون مهتمًا بمظهره. ولكن من سوء الحظ أننا وجدنا أن هذه الفكرة لن تأتينا بالعينة المطلوبة - حيث يلزم أن يكون الشعر مأخوذًا بجذوره حتى نحصل على الخلايا المسامية اللازمة. ولكن "روزي" وضعت في حقيبتها ملقاطين. وللحظة تمنيت لو أنه كان من المدخنين. عقب السيجارة كاف لحل مشاكلنا. ولكن علينا أن نكون متيقظين لاستغلال أي فرصة.

***

عيادة الدكتور "فرايبرج" في بناية من طراز عتيق في حي "أبر ويست سايد". رنت "روزي" الجرس، فظهر فرد أمن واصطحبنا حتى منطقة انتظار جدرانها مغطاة ببراويز الشهادات وخطابات تقدير من مرضاه.

قادتنا سكرتيرة الدكتور، وهي سيدة نحيفة للغاية (مؤشر كتلة الجسد ستة عشر) عمرها نحو خمسة وخمسين عامًا، وشفتاها منتفختان بصورة مبالغ فيها، إلى حيث مكتبه. وجدنا المزيد من الشهادات! أما "فرايبرج" نفسه فكان فيه عيب خطير، إنه أصلع تمامًا. وهكذا كانت فكرة الشعر مستحيلة تمامًا. كما أنه لا شيء يدل على أنه من المدخنين.

أدارت "روزي" الحوار المصطنع بصورة تستحق التقدير. استفاض "فرايبرج" في وصف بعض الخطوات التي بدت لي من دون أي مبرر غير منطقية، وتحدث عن أهميتها لثقة الإنسان بذاته. ومن حسن حظي أن دوري

مكتبة ٢٩١

يلزمه الصمت، وإلا لكنت تدخلت في الحوار على الفور. كما أنني وجدت صعوبة في التركيز. فما زال عقلي يعالج فكرة أخذ عينة دم من يده. قالت "روزي":

- أنا آسفة.. لكن ممكن تطلبلنا حاجة نشربها؟

بالطبع! حل فنجان القهوة.

- بالتأكيد.. شاي.. قهوة؟

- قهوة كويس قوي.. بلاك. هتشرب معايا؟

ضغط زر الإنتركم، وهو يجيبها:

- لأ أنا مش هقدر. خلينا نكمل الحوار.. "راشيل".. فنجان قهوة سادة من فضلك.

هنا تدخلت:

- لازم تشرب قهوة معاها.

- لكن أنا مبشربش قهوة.

- مفيش أضرار مثبتة للقهوة، إلا إذا كانت جيناتك متتحملش الكافيين من الأساس. بل على العكس فـ...

- أنتِ قلتيلي أنتم من مجلة إيه بالظبط؟

كان السؤال مباشرًا ومتوقعًا تمامًا. كنا قد اتفقنا على اسم المجلة الوهمية مسبقًا، واستخدمته "روزي" بالفعل عند التعريف له بنفسها.

لكن عقلي اضطرب. وتحدثت أنا و"روزي" في الثانية نفسها. هي قالت: "وجوه التغيير".. أنا قلت: "أيادي التغيير".

اختلاف بسيط يمكن لأي شخص عاقل أن يفسره بكونه مجرد خطأ بريء عفوي، وهو في الحقيقة كذلك. ولكن تعبيرات وجه "فرايبرج" عكست عدم تصديقه لما يجري، وبادر على الفور بكتابة شيء على ورقة صغيرة. وعندما

أحضرت "راشيل" القهوة، ناولها الورقة. شخصت حالته بأنها بارانويا، وهكذا شرعت في وضع خطة الهروب. قلت:

- أنا محتاج أروح الحمام.

خططت للاتصال بـ"فرايبرج" من الحمام، حتى يتسنى لـ"روزي" الهرب وهو منشغل بالمكالمة.

نهضت واتجهت نحو الباب، ولكن "فرايبرج" سد عليَّ الطريق.

- أرجوك.. استخدم حمامي الخاص.

قادني عبر الجزء الخلفي من مكتبه، مارًا بـ"راشيل" إلى باب عليه لافتة "خاص"، وتركني هناك. ولا سبيل للخروج من دون الرجوع من نفس الطريق. أخرجت موبايلي وضغطت رقم الدليل، وهكذا أوصلني إلى رقم تليفون المكتب، حيث تجلس "راشيل". أسمع صوت جرس التليفون، و"راشيل" تبادر بالرد. خفضت صوتي للغاية.

- لو سمحتِ أكلم دكتور "فرايبرج". الحالة عاجلة.

شرحت لها أن زوجتي مريضة لدى الدكتور، وأن شفتيها انفجرتا. أغلقت الخط، وأرسلت رسالة نصية إلى "روزي".. اخرجي حالًا..

وجدت الحمام بحاجة إلى عناية ونظافة على مستوى "إيفا". ونجحت في فتح نافذته، وكان من الواضح أنها لم تفتح منذ زمن. كنا على ارتفاع أربعة طوابق، ولكنني وجدت الكثير من الأشياء التي يمكنني التشبث بها على الجدار. خرجت بحذر من النافذة، وبدأت في النزول ببطء، وكل تركيز، وأنا أتمنى أن تكون "روزي" قد هربت بنجاح. مر وقت طويل على آخر مرة تدربت فيها على تسلق الصخور، ووجدت النزول ليس على تلك البساطة التي تخيلتها في البداية. كان الحائط زلقًا بسبب المطر الذي هطل في وقت سابق من اليوم، وحذائي لم

مكتبة ٢٩١

يكن مناسبًا لهذه المهمة. حتى إنني انزلقت وكدت أقع لولا أنني نجحت في التشبث بحجر بارز. كنت أسمع صيحات وصراخ يأتيني من أسفل.

عندما وصلت الأرض أخيرًا، وجدتني وسط حشد صغير من البشر. وبينهم "روزي"، التي اندفعت نحوي واحتضنتني:

- "أوه ماي جود"، يا "دون"، كنت هتموت نفسك. المسألة مكنتش تستاهل دا كله.

- درجة المخاطرة كانت بسيطة، المهم بس إني كنت أنسى مسألة الارتفاع.

اتجهنا إلى المترو. كانت "روزي" مغتاظة جدًّا. ظن "فرايبرج" أنها محققة خاصة، تعمل بتكليف من مريضة لم يعجبها عمله. وكان يحاول طلب الأمن لها. كنا سنضع أنفسنا في مأزق كبير جدًّا، بغض النظر عما إذا كان موقفه صحيحًا من الناحية القانونية أم لا.

- أنا هطلع أغيَّر. دي آخر ليلة لينا في نيويورك. بتفكر نقضيها إزاي؟

كان جدولي الأصلي يحدد أن أقضيه في مطعم أتناول فيه الستيك الأمريكي الشهير، ولكن طالما أننا سنكون معًا، فعلي الآن أن أبحث عن مطعم لا يقدم اللحوم. طرحت عليها خيارات.

- طيب هيبقى نختار سوا.. الاختيارات كتير عمومًا.

لم آخذ سوى ثلاث دقائق لتغيير قميصي. وهكذا انتظرت في لوبي الفندق لست دقائق أخرى. ولكنني لم أصبر أكثر من ذلك، وصعدت إلى غرفتها وطرقت الباب. لم يأتني رد. ثم بعد برهة سمعت صوتها يأتيني مندهشًا.

- تفتكر الواحد ممكن ياخد دش في قد إيه؟

- تلات دقايق وعشرين ثانية، إلا إذا كنت هغسل شعري، وفي الحالة دي يبقى فيه دقيقة واتناشر ثانية زيادة.

مكتبة ٢٩١

هذا الوقت الإضافي بسبب حقيقة أن بلسم الشعر يجب أن يبقى على الشعر لمدة ستين ثانية.

- طيب.. اصبر.

فتحت "روزي" الباب، وهي تلف الفوطة على جسدها. شعرها مبتل، وتبدو جذابة للغاية. نسيت أن أبقي عينيَّ على عينيها. ولكنها سرعان ما نبهتني:

- هاي.. أنت..

معها حق. ولكنها لم تعنفني ولم تلقِ عليَّ محاضرة عن السلوك غير الملائم في مثل هذه المواقف. بل ابتسمت، وتقدمت خطوة نحوي. لم أكن متأكدًا من كونها ستخطو خطوة أخرى، أو ما إذا كان عليَّ أنا أن أفعل ذلك. وهكذا، بقينا واقفين في مكاننا. كانت لحظة محرجة، ولكنني أعتقد أن كلينا تسبب فيها.

- كان لازم تجيب معاك الخاتم.

فسَّر عقلي في البداية كلمة "خاتم" على أنها "خاتم الزواج"، وبدأ في صياغة سيناريو كامل، ولكنه خاطئ. فقد أدركت أنها تقصد ذلك الخاتم ذا الدبوس الذي اقترحته كوسيلة لأخذ عينة دم من "فرايبرج".

- يعني نيجي لحد هنا وفي الأخر منقدرش ناخد العينة.

- من حسن حظنا.. إنها معانا دلوقتي.

- خدت عينة؟ إزاي؟

- الحمام. الراجل دا لازم يعمل فحص بروستاتا عاجل. الأرضية كانت مليـــ..

- أرجوك.. بلاش معلومات مالهاش لازمة.. بس مجهود ممتاز أكيد.

- مستوى النضافة سيء جدًّا بالنسبة لواحد جراح تجميل زيه. دا لو فعلًا الشغلانة دي تستاهل وصف جراحة. دا تضييع لمواهب جراحية في عمل تافه.. إزاي يعتبروا حقن مواد صناعية في البشرة بغرض تغيير مظهر إنسان مسألة تجميلية.

مكتبة ٢٩١

- طيب استنى لما يبقى عندك خمسة وخمسين سنة واللي معاك عندها خمسين سنة وشوف هتقول نفس الكلام دا ولا رأيك هيتغير.

- مش أنتِ بتعتبري نفسك "فيمنست"؟!

مع أنني بدأت أشك في هذا الموضوع.

- دا مش معناه إني أكون مش جذابة أو جميلة.

- المفروض مظهرك ميكنش له أهمية في تقييم الجنس الآخر ليكي.. مش كدا؟

- الحياة مليانة مفروضات. أنت نفسك عالم جينات. يعني الكل بياخد باله من مظهر غيره. حتى أنت.

- صح. بس أنا مسمحش للمظهر إنه يأثر على تقييمي ليهم.

كنت فوق أرض خطرة. سبق وأن وضعتني مسألة جمال "روزي" في مأزق في ليلة حفل هيئة التدريس. وكلامي متسق مع معتقداتي حول الحكم على الآخر وحول الطريقة التي أرغب في أن يحكم عليَّ الآخر من خلالها. ولم يسبق لي أن اضطررت إلى تطبيق معتقداتي هذه على امرأة تقف أمامي داخل غرفة نوم في فندق وهي لا تضع على جسدها سوى فوطة استحمام. تبين لي أنني لم أخبرها الحقيقة بالكامل.

- دا مع تجاهل عامل "التستوستيرون".

- كلامك دا فيه نوع من التلميح؟

يزداد الحوار تعقيدًا. وحاولت توضيح موقفي:

- مش من المنطقي إني أنسبلك الفضل في جمالك الرائع دا.

ما قمت به في اللحظة التالية كان ومن دون شك نتيجة لتضارب أفكاري واختلاطها بسلسلة من الأحداث غير العادية التي مرت علينا في الساعات القليلة

مكتبة ٢٩١

الماضية؛ إمساكها بيدي، الهروب من عيادة التجميل، والتأثير الفظيع لوقوف أجمل امرأة في العالم شبه عارية أمامي.

كما أنني ألوم "جين" أيضًا، فهو الذي اقترح أن لحجم حلمة الأذن دور في الانجذاب الجنسي بين طرفين. وبما أنني لم يسبق وأن انجذبت جنسيًا إلى امرأة من قبل، فقد وجدتني أتفحص أذنيها. هي لحظة، عندما أتذكرها الآن، أجدها مشابهة لتلك التي قرأتها في رواية "الغريب" لـ"ألبير كامو"؛ ومددت يدي ومررت بأصابعي على جانب شعرها. ولكن رد فعلها، ولدهشتي، كان مختلفًا عن ذلك الذي ورد في الرواية التي درسناها في المرحلة الثانوية. فقد طوقت "روزي" عنقي بذراعيها، وقبلتني.

أعتقد أن عقلي مبرمج بطريقة غير عادية، ولكن أسلافي ما كانوا ليتكاثروا من دون فهمهم وتجاوبهم مع الإشارات الجنسية الأساسية. إنها غريزة متأصلة فينا. لذلك قبَّلتُ "روزي" بدوري. وقبلتني هي ثانيةً.

ابتعد جسدانا للحظات. واضح أن موعد العشاء سيتأخر. كانت "روزي" تتأملني:

- أنت عارف.. لو قلعت النضارة وغيرت تسريحة شعرك هتكون شبه "جريجوري بك".. ممثل السينما القديم.

- ودي حاجة كويسة؟

افترضت هذا، بالنظر إلى الموقف والظروف، ولكنني كنت أريد أن أتأكد.

- دا كان أجمل راجل في التاريخ.

نظرنا إلى بعضنا للحظات أخرى، حتى اقتربتُ منها وقبلتها ثانيةً. ولكنها أوقفتني.

- "دون".. إحنا في نيويورك.. في شبه إجازة. عايزاك تفكر في أي حاجة بتحصل في الحدود دي.

- اللي بيحصل في نيويورك.. بيفضل في نيويورك، مش كدا؟

مكتبة ٢٩١

كانت جملة علمني إياها "جين" لأستخدمها في إحدى المحاضرات. ولم يسبق لي أن استخدمتها من قبل. شعرت أنها غريبة بعض الشيء، ولكنها مناسبة. واضح أن من المهم أن يفهم كلانا أنه ليس لهذا الموقف أي تبعات عاطفية من أي نوع. ورغم أنني ليس لي زوجة تنتظرني في أرض الوطن مثل "جين"، فإن فكرتي عن الزوجة تختلف تمامًا عن تعاملي مع "روزي"، التي لن تتردد لحظة في الخروج إلى البلكونة لتدخين سيجارة بعد أن تمارس الجنس. وغريب أن هذا التفكير لم يجعلني أتردد في الانسحاب المؤقت.

- لازم أروح أجيب حاجة من أوضتي.

- تفكير معقول. متتأخرش.

غرفتي على بعد أحد عشر طابقًا فقط من غرفة "روزي"، وهكذا صعدت السلم بدلًا من الأسانسير. وعندما وصلت الغرفة، أخذت حمامًا، ثم تصفحت الكتاب الذي أهداني "جين" إياه. كان على حق في النهاية.

هبطت السلم قاصدًا غرفة "روزي". مرت ثلاث وأربعون دقيقة منذ أن تركتها. طرقت الباب، وفتحت "روزي"، وهي ترتدي بيجامة وجدتها في الحقيقة كاشفة لجسدها أكثر من الفوطة. كانت تحمل الشامبانيا.

- آسف.. خدت وقت شوية.

نظرت إلى الغرفة. كان غطاء السرير على الأرض، والستائر مغلقة، ومصباح السرير وحده المضاء. ناولتها كتاب "جين".

- بما إنها أول مرة - ويمكن آخر مرة - وبما إنك عندك خبرة أكتر مني أكيد، فأنا شايف إنك تختاري الوضع بنفسك.

تصفحت "روزي" الكتاب، ثم تصفحته مرة أخرى. وتوقفت عند الصفحة الأولى التي دوَّن عليها "جين" رمزه.

مكتبة ٢٩١

- "جين" هو اللي إداك الكتاب دا؟

- هدية علشان الرحلة.

حاولت أن أفهم تعبيرات وجه "روزي"، وخمنت أنها غاضبة، ولكن ذلك الغضب سرعان ما تبدد، وقالت لي بنبرة محايدة:

- "دون".. أنا آسفة.. مقدرش أعمل كدا. آسفة جدًا.

- هو أنا قلت حاجة غلط؟

- لأ. دي حاجة تخصني أنا. أنا آسفة.

- غيرتي رأيك وأنا مش هنا؟

- أيوة.. هو دا اللي حصل. آسفة.

- متأكدة إني معملتش حاجة غلط؟

"روزي" صديقتي وعقلي الآن منشغل بالخطر المحدق بهذه الصداقة. أما مسألة الجنس فتبخرت من ثنايا عقلي.

- لا.. لا.. أنا السبب. أنت كنت متجاوب معايا تمامًا.

وجدته مديحًا لم أعتد عليه من قبل. ولكنه أرضاني للغاية. لم تكن الليلة فاشلة تمامًا كما ظننت.

لم أستطع النوم. فأنا لم آكل، والساعة لا تزال 8:55 مساءً. "جين" و"كلاوديا" في العمل الآن، هناك في "ملبورن"، ولا أجد لديَّ رغبة في التحدث إليهما. كما وجدت أنه من غير اللائق أن أتصل بـ"روزي" مجددًا، وهكذا اتصلت بصديقي الوحيد المتبقي. عرفت من "ديف" أنه تناول طعامه بالفعل، ولكنه تمشى معي حتى مطعم بيتزا وهناك أكلنا سويًا. ثم ذهبنا إلى بار وشاهدنا مباراة بيسبول، وتحدثنا عن النساء. لا أتذكر الكثير مما قلناه، ولكنني لا أعتقد أن القليل الذي أتذكره سيكون مجديًا في أي خطط للمستقبل.

مكتبة ٢٩١

28

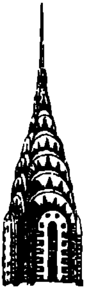

صار عقلي خاويًا. وهذه عبارة مألوفة، وفيها مبالغة للموقف. فخلايا عقلي ما تزال نشطة، وقلبي ما يزال ينبض. كما أنني لم أنسَ أن أتنفس. تمكنت من إعداد حقيبتي، وتناولت الإفطار في غرفتي، وانتقلت إلى مطار "جي إف كيه"، ثم أنهيت إجراءات الدخول والصعود إلى الطائرة المغادرة إلى "لوس أنجلوس". ونجحت في التواصل مع "روزي" إلى الحد الضروري لتنفيذ تلك الأنشطة.

ولكن التفكير التأملي نفسه توقف. والسبب واضح - الحمل العاطفي الزائد! فأنا من سمح لعواطفه التي كان يتحكم فيها بصورة جيدة بأن تخرج في نيويورك - بنصيحة من "كلاوديا"، الطبيبة النفسانية الأخصائية المؤهلة، وبأن يُساء استغلالها إلى حد خطير. والآن ها هي تعصف بعقلي، لتعيق قدرته على التفكير. واحتجت إلى كامل قدرتي الفكرية حتى أحل المشكلة.

مكتبة ۲۹۱

جلست "روزي" في كرسي بجوار الشباك، بينما جلست أنا في مقعد الممر. اتبعت إجراءات السلامة لما قبل الإقلاع، ولأول مرة لم أفكر في فرضيات لا مبرر لها لتلك الإجراءات وكذلك في أولوياتها غير المنطقية. ففي حالة الكارثة المحققة، سينشغل كل منا بشيء ما يفعله. أما أنا فكنت على النقيض، عاجزًا تمامًا.

وضعت "روزي" يدها على ذراعي:

- "دون".. حاسس بإيه؟

حاولت التركيز على تحليل أحد جوانب التجربة التي مررتُ بها وما صاحبها من تجاوب عاطفي. أعرف من أين أبدأ. ومنطقيًّا، لم أكن بحاجة للعودة إلى غرفتي لإحضار كتاب "جين". فلم يكن عرض الكتاب على "روزي" جزءًا من السيناريو الأصلي الذي وضعته وأنا في "ملبورن"، وأنا أتجهز لاحتمال هذا اللقاء الجنسي. ربما أكون ضعيفًا اجتماعيًّا، ولكن مع تأثير تلك القبلة، وارتداء "روزي" لتلك الفوطة، لم يكن الباقي بالأمر الصعب. ومعرفتي بالأوضاع الجنسية كانت ميزة إضافية، ولكنها غير ذات أهمية في اللقاء الأول.

فلماذا إذن تقودني غرائزي لسلسلة من الأفعال التي أدت في النهاية إلى إفساد الفرصة؟ الإجابة من المستوى الأول واضحة. فغرائزي كانت تطلب مني ألا أستمر. ولكن لماذا؟ حددت ثلاثة احتمالات:

1- كنت خائفًا من أن أفشل في الأداء الجنسي.

لم يستغرق الأمر مني طويلًا لاستبعاد هذا الاحتمال. فقد أكون أقل كفاءة من شخص خبير في هذا الموضوع، وربما تسبب خوفي في منعي من الأداء، رغم أنني أرى هذا الاحتمال بعيدًا. ولكنني صرت معتادًا على أن أكون سببًا في

الحرج، حتى أمام "روزي". لقد كان المحرك الجنسي أقوى بكثير من أي ضرورة تستدعي الحفاظ على صورتي.

2- عدم وجود واقٍ ذكري.

أدركت وأنا أتذكر الأحداث أن "روزي" ربما تصورت أنني غادرتها لأجل إحضار أو شراء واقٍ ذكري. واضح أنه كان عليَّ أن أحصل عليه، عملًا بجميع توصيات الجنس الآمن، وربما وجدت لدى الاستقبال في الفندق بعضًا منه يقدمه للضيوف عند الطوارئ، مثله مثل فرشة الأسنان وأمواس الحلاقة. وحقيقة أنني لم أفعل ذلك تعتبر دليلًا آخر على أنني في عقلي الباطن لم أكن أتوقع الاستمرار في ذلك اللقاء الجنسي. وسبق أن حكى لي "جين" قصة جولته داخل سيارة تاكسي في جميع أنحاء "القاهرة" بحثًا عن مكان يبيع الواقي الذكري. واضح أن الحافز لديَّ لم يكن قويًا.

3- لا يمكنني التعامل مع التبعات العاطفية.

فكرت في الاحتمال الثالث فقط بعد استبعادي الأول والثاني. وعرفت ذلك على الفور، بالغريزة! عرفت أنه الاحتمال الصحيح. فعقلي كان يعاني من حمل عاطفي زائد بالفعل. ولم يكن السبب هو ذلك الهروب من نافذة عيادة الجراح في الطابق الرابع أو ذكرى استجواب طبيب نفساني ملتحٍ لي ونحن في القبو المظلم خاصة وأنه لم يكن ليتورع عن فعل أي شيء لكي يحمي سره. ولم تكن حتى لحظة أن أمسكت بيد "روزي" في طريقنا من المتحف وحتى المترو، رغم أن لهذه الأخيرة دورًا مساعدًا. بل كانت كامل الرحلة مع "روزي" في نيويورك.

كانت غرائزي تخبرني أنني لو أضفت المزيد إلى هذه الخبرة - لو أضفت تجربة ممارسة الجنس معها، وهي تطير العقل حرفيًّا - فعندئذٍ ستهيمن عواطفي على عقلي. وسوف تقودني إلى علاقة مع "روزي". وهذه كارثة لسببين. السبب الأول هو أنها غير مناسبة تمامًا على المدى الطويل. أما السبب الثاني فهو أنها أوضحت لي أن مثل هذه العلاقة لن تتجاوز حدود رحلتنا إلى نيويورك. وهذان السببان متناقضان تمامًا، وهما حصريان ومبنيان بالكامل على مقدمات منطقية مختلفة. ولا فكرة لديَّ عن أيهما هو الصحيح.

***

كنا في المراحل الأخيرة لهبوطنا إلى مطار "لوس أنجلوس". التفتُّ إلى "روزي". كانت بضع ساعات قد مرت منذ أن سألتني ذلك السؤال، وأنا الآن فكرت فيه بالقدر الكافي.

- مرتبك.

توقعت أن تكون قد نسيت السؤال، ولكن يبدو أن لإجابتي معنى في كل الأحوال.

- أهلًا بيك في العالم الحقيقي.

نجحت في البقاء متيقظًا طوال الست ساعات الأولى من الرحلة التي تستغرق خمس عشرة ساعة من "لوس أنجلوس"، وذلك لأجل أن أعيد ضبط ساعتي البيولوجية، ولكنها كانت مهمة صعبة.

أمَّا "روزي"، فنامت لبضع ساعات ثم شاهدت فيلمًا. نظرت إليها، فوجدتها تبكي. رفعت السماعات ومسحت عينيها.

- بتعيطي. فيه مشكلة؟

- القصة حزينة جدًّا. فيلم "جسور ماديسون كاونتي". أفتكر إنك مبتعيطش وأنت بتتفرج على الأفلام.

مكتبة ٢٩١

- مظبوط.

أدركت أنها ربما تفسر ذلك على أنه عيب وليس ميزة، فعقبت مدافعًا:

- أنا بشوف إنه سلوك أنثوي في المقام الأول.

- طيب.. متشكرة على التوضيح.

سكتت "روزي" بعد تعليقي، ولكن يبدو أنها تعافت من حزنها الذي حفزه ذلك الفيلم. وسرعان ما سألتني:

- قولي.. مفيش أي أحاسيس بتحس بيها وأنت بتتفرج على الأفلام؟ شفت فيلم "كازابلانكا"؟

كنت معتادًا على هذا السؤال. فقد سألني إياه "جين" و"كلاوديا" بعد أن شاهدنا فيلمًا معًا. وهكذا أجبتها:

- اتفرجت على أفلام رومانسية. وإجابتي هي لأ. وعلى العكس من "جين" و"كلاوديا"، وواضح إنه على العكس من الغالبية العظمى من البشر، فأنا مبتأثرش عاطفيًا بقصص الحب. والظاهر إن عقلي مش متبرمج على تجاوب من النوع دا.

***

زرت "كلاوديا" و"جين" على العشاء ليلة الأحد. كنت أشعر بتأثير سلبي لرحلة الطيران، وهذا غير معتاد، ونتيجة لذلك صادفت صعوبة في أن أحكي لهم كل شيء حدث خلال الرحلة. حاولت التحدث عن لقائي مع "ديفيد بروينشتاين" في جامعة "كولومبيا"، وما شاهدته في المتاحف وعن تلك الوجبة في مطعم "مومو فوكو كو"، ولكنهما كانا مهتمين بالتعرف على كل ما جرى بيني وبين "روزي". ولم يكن من المنطقي أن أتذكر كل تفصيلة من تلك

مكتبة ٢٩١

التفاصيل. وبالطبع لم أتمكن من التحدث عن كل ما جرى بخصوص مشروع البحث عن الأب.

فرحت "كلاوديا" كثيرًا بالهدية، ولكنه أتاح لها فرصة أخرى لاستجوابي:

- "روزي" ساعدتك وأنت بتختاره؟

"روزي".. "روزي".. "روزي"..

- مسؤولة المبيعات هي اللي اقترحته عليا. وبشكل مباشرة جدًّا.

قالت لي "كلاوديا" وأنا في طريقي إلى خارج المنزل:

- "دون".. بتخطط تقابل "روزي" تاني؟

- السبت الجاي.

كنت صادقًا، ولم أجد مانعًا من أن أخبرها أنني لن ألتقيها خلال مناسبة اجتماعية، فأنا سألتقيها لأجل تحليل عينة "دي إن إيه".

وجدتها راضية عني.

***

كنت أتناول الغداء وحدي في نادي الجامعة، وأنا أستعرض ملف مشروع البحث عن الأب، عندما وصل "جين" ومعه وجبته وكأس نبيذ، وجلس قبالتي. حاولت أن أنحي الملف جانبًا، ولكنني نجحت فقط في أن أعطيه الانطباع الصحيح أنني أحاول أن أخفي عنه شيئًا. ولكن "جين" نظر بغتة ناحية كاونتر الطلبات، خلفي.

- يا إلهي!

التفت لأنظر، فسارع "جين" بخطف الملف من يدي، وهو يضحك.

- دا شيء خاص.

ولكن "جين" تجاهلني وفتحه. أول ما رآه كانت صورة دفعة التخرج.

مكتبة ٢٩١

تفاجأ "جين" بالفعل، وقال وهو يتفحص الصورة:

- إيه دا. أنت جبت الصورة دي منين؟ أكيد عمرها أكتر من تلاتين سنة. وإيه كل الشخبطة دي؟

- أنا مشرف على تنظيم حفل لم شمل.. مساعدة لصديق.. من أسابيع.

كانت إجابة جيدة، بالنظر إلى الفترة القصيرة المتاحة لتأليف هذه الكذبة، ولكنَّ فيها عيبًا خطيرًا. أن "جين" وجد فيها فرصة.

- صديق؟ صحيح. صديق من ضمن أصدقائك اللي ملهمش عدد. كان لازم تعزمني يا راجل.

- ليه؟

- تفتكر مين اللي خد الصورة دي يعني؟

طبعًا. كيف لم أفكر في هذا من قبل. لا بد من وجود شخص يكون هو الذي التقط هذه الصورة. انعقد لساني.

- كنت أنا الوحيد اللي مش من الدفعة. كنت أستاذ علم الجينات. كانت ليلة فعلًا. حصل فيها كل حاجة.

أشار "جين" إلى وجه في الصورة. كنت أركز دائمًا على الذكور، ولم أفكر أبدًا في النظر في وجه والدة "روزي". ولكنني عرفتها الآن بعد أن وجدت "جين" يشير إليها. الشبه واضح، بما في ذلك الشعر الأحمر، رغم أن اللون أقل قوة من لون شعر "روزي". كانت تقف بين "إيزاك إيزلر" و"جيفري كيس". وتمامًا كما في صورة زفاف "إيزاك إيزلر"، كانت الابتسامة عريضة على وجه "كيس". شرب "جين" رشفة من كأسه، قبل أن يقول بنبرة حنين:

- "برناديت أوكونور".. آيرلندية.

كنت معتادًا على تلك النبرة منه. هناك سبب يدفعه إلى تذكر هذه المرأة على وجه التحديد، وهذا السبب لا علاقة له بكونها والدة "روزي". الحقيقة أنه لا يعرف أنها أمها، وقررت ألا أعرفه ذلك.

تحرك إصبعه خانة واحدة إلى اليسار.

- "جيفري كيس". مكنش طالب متفوق بالشكل اللي هو يعني.

- متوفى هو، مش كدا؟

- انتحر.

معلومة جديدة.

- متأكد؟

- طبعًا متأكد. بس قولي.. إيه الحكاية؟

تجاهلت سؤاله:

- وليه انتحر؟

- يمكن نسي ياخد جرعة "الليثيوم". كان عنده اضطراب وسواس مزدوج القطب. رغم إنه كان بيُعتبر روح الدفعة.

تطلع إلي. خُيِّل إليَّ أنه سوف يبدأ في استجوابي حول سبب اهتمامي بـ"جيفري كيس" وبهذه الدفعة، وكنت أفكر بسرعة كبيرة للغاية في أي رد مقنع ومنطقي. ولكن الملاَّحة الفارغة فوق المائدة أنقذتني. فقد حاول "جين" معها أكثر من مرة، ثم قرر أن ينهض ليستبدلها. ولكنني بادرت قبل أن يعود.. فأخذت منديلًا ومسحت به حافة كأس النبيذ، ثم وضعته في جيبي.

29

قدت دراجتي إلى الجامعة صباح السبت بمشاعر مضطربة مشوشة. كانت مجريات حياتي تعود إلى إطارها الطبيعي. وسيكون الفحص الذي سأجريه اليوم إيذانًا بانتهاء مشروع البحث عن الأب. وفي أسوأ الأحوال، قد تعثر "روزي" على شخص لم ننتبه إليه إطلاقًا - أستاذ أو مدرس آخر أو ربما هو شخص غادر الحفل مبكرًا - ولكن أي فحص إضافي لن يستغرق طويلًا. ولن يكون لديَّ أي سبب أتحجج به لرؤية "روزي" مجددًا.

تقابلنا في المختبر. هناك ثلاث عينات علينا فحصها؛ عينة من شوكة "إيزاك إيزلر"، وعينة من بول مسحته بمنديل من على أرضية حمام "فرايبرج"، ومنديل "جين". لم أكن قد أخبرت "روزي" عن قصة أخذي عينة من منديل "مارجريت كيس"، ولكنني متلهف لأعرف نتيجة عينة "جين". فهناك احتمال قوي أن يكون "جين" هو والد "روزي". حاولت ألا أفكر في ذلك، ولكنه احتمال يتسق مع رد فعل "جين" عندما شاهد الصورة، وتعرفه على والدة "روزي"، وكذلك مع تاريخ مغامراته الجنسية. سألتني "روزي":

- منديل مين دا؟

كنت أتوقع السؤال.

مكتبة ٢٩١

- دي إعادة فحص. عينة من العينات القديمة اتلوثت.

لم تكن مهارتي في الكذب التي تتحسن يومًا بعد يوم كافية للاحتيال على "روزي".

- مش مصدقاك. بتاعة مين؟ دي عينة "كيس"، مش كدا؟ أنت خدت عينة من "جيفري كيس".

كان من السهل أن أقول لها نعم، ولكن ربط العينة بـ"كيس" سيؤدي إلى خلط كبير في حال كانت العينة إيجابية. أنا واقع في شبكة من الأكاذيب.

- هقولك كل حاجة لو طلعت إيجابية.

- لأ. قولي دلوقتي. دي اللي هتكون إيجابية.

- ؟؟؟؟

- إحساسي بيقول كدا.

- مفيش عندك أي دليل. وقصة "إيزاك إيزلر" تخليه المرشح رقم واحد. فهو كان مصر على إنه يتجوز من واحدة تانية بعد الحفلة علطول. وكمان اعترف إنه كان سكران. وكمان طريقته معانا على العشا. علاوة على إنه كان واقف جنب والدتك في الصورة.

لم نكن قد تناقشنا في كل ذلك من قبل. وواضح أنه كان من الأفضل لو تناولنا هذه النقطة من قبل. ذات مرة أعطاني "جين" تدريبًا لأقوم به خلال المؤتمرات. قال لي: "لو عايز تعرف إذا كان فيه اتنين على علاقة مع بعض، كل ما عليك هو إنك تاخد بالك مين قاعد مع مين على الفطار". وبالتالي، من نام ليلتها مع والدة "روزي" هو في الغالب الشخص الذي كان يقف إلى جوارها في الصورة. إلا في حال كان هو بالطبع الشخص الذي التقط الصورة نفسها.

- طيب.. إحساسي قصاد منطقك. تحب نتراهن؟

مكتبة ٢٩١

سيكون من غير العدل أن أدخل هذا الرهان. فأنا لديَّ ميزة وهي ما عرفته من معلومات ليلة كنت في القبو مع ذلك الرجل. والحقيقة أنني أعتبر أن فرص كل من "إيزاك إيزلر" و"جيفري كيس" و"جين" متساوية. وكنت فكرت في إشارة "إيزلر" إلى "الأشخاص المتورطين"، وخلصت إلى أنها إشارة غامضة. ربما كان يحمي صديقهن وربما كان هو نفسه يحتمي به. ولكن، إذا لم يكن "إيزلر" هو الأب، لكان قد طلب مني ببساطة أن أفحص عينته. وربما كانت خطته هي إرباكي، وفي هذه الحالة يكون قد نجح، ولكن بشكل مؤقت فحسب. تسبب سلوك "إيزلر" الخداع في أن أراجع قرار سبق لي أن اتخذته. فلو أننا وصلنا إلى نقطة نكون قد استبعدنا فيها كل المرشحين المحتملين، بمن فيهم "إيزلر"، فعندئذٍ سوف أقوم بفحص العينة التي أخذتها من "مارجريت كيس". قالت "روزي"، فقطعت حبل أفكاري:

- الأكيد إنه مش "فرايبرج".

- وليه لأ؟

احتمال "فرايبرج" هو الأقل، ولكنه ليس مستحيلًا بالتأكيد.

- عينيه خضرا. كان لازم أخد بالي وقتها.

أجل. فسرت تعبيرات وجهي على نحو صحيح. فأنا غير مصدق لما أسمعه منها.

- أنت عالم جينات. وهو عينيه خضرا. بالتالي مينفعش يكون والدي. أنا اتأكدت بنفسي من النت.

مدهش. إنها تخرج مع أستاذ في علم الجينات، وتعتبره شخصًا ذا قدرات فوق العادية، ويساعدها في التعرف على والدها الحقيقي، وتسافر معه لمدة أسبوع لا تفارقه خلاله لحظة، ومع هذا، وعندما أرادت أن تتأكد من معلومة تتعلق بالجينات راحت تبحث عنها في الإنترنت.

مكتبة ٢٩١

- دا تبسيط علمي مبالغ فيه.

- "دون".. لون عينين والدتي أزرق. وأنا عينيًا بني. فلازم والدي الحقيقي تكون عينيه بني، صح؟

- غلط. احتمال كبير، ولكن مش مؤكد. موضوع الجينات المسؤولة عن لون العينين موضوع كبير ومعقد. اللون الأخضر ممكن. وبرضه الأزرق.

- أي طالبة طب أو دكتورة سهل تعرف كدا، صح؟

واضح أن "روزي" تقصد والدتها. وقلت لنفسي إن الوقت غير مناسب لكي أشرح لـ"روزي" أوجه القصور في التعليم الطبي في بلادنا. قلت لها فحسب:

- مستبعد لحد كبير. "جين" كان بيدرس جينات لطلبة الطب. والنوع دا من التبسيط للمعلومة نموذج لطريقة شرح "جين".

- فلقتني بـ"جين" بتاعك دا. ممكن تفحص المنديل وخلاص. أنا حاسة إنه هو.

صوتها هذه المرة أقل تيقنًا.

- هتعملي إيه لما تعرفي؟

كان لا بد أن أسألها هذا السؤال منذ فترة طويلة. وعدم طرحي له كان نتيجة أخرى من نتائج سوء التخطيط، ولكنني الآن وأنا أتخيل أن "جين" هو الأب أجد أن خطوات "روزي" المستقبلية ستكون ذات علاقة بي بشكل أو بآخر.

- كويس إنك أخيرًا سألت. أنا قلتلك قبل كدا إن المسألة هي إني عايزة أقفل صفحة في حياتي. بس أفتكر إن في عقلي الباطن صورة خيالية.. فيها والدي الحقيقي بيظهر و.. بيتعامل مع "فيل" بالطريقة اللي نفسي أواجهه بيها.

- كل دا علشان خلف وعده معاكي تروحي "ديزني لاند"؟ اللي أنا متأكد منه إنك هتلاقي صعوبة كبيرة في تحديد العقاب المناسب له بعد كل المدة دي.

- قلتلك إنه خيال. أنا بحب أتخيله بطل. لكن أنا دلوقتي عارفة إنه واحد من بين تلات أشخاص، وأنا قابلت اتنين منهم. "إيزاك إيزلر" اللي مش عايز يفتح صفحة الماضي من تاني. و"ماكس فرايبرج" اللي بيعتبر نفسه حامي حمى النفس البشرية. تافهين.. الاتنين تافهين. ضعفاء ومش رجالة وقت الجد.

انعدام منطق بشكل غير معقول. فعلى الأقل، شخص واحد فقط منهما هو الذي تركها وهرب بالفعل.

- "جيفري كيس"..

بدأت كلامي، وأنا أعتقد أن توصيف "روزي" لن ينطبق عليه، ولكن لو أن "روزي" عرفت الطريقة التي مات بها فلربما فسرتها بأنها وسيلة لجأ إليها للتهرب من مسؤولياته.

- عارفة هتقول إيه.. بس لو طلع من العينات إن والدي شخص تاني غير دول، شخص متصابي ومدعي، يبقى هو اللي جنى على نفسه.

- تقصدي إنك هتفضحيه قدام الناس؟

سألتها في خوف. خطر لي بغتة أنني قد أتورط في التسبب في ألم كبير لإنسان آخر، ومحتمل جدًّا يكون هذا الشخص صديق لي. وكذلك لعائلته! لم تكن والدة "روزي" تريد لها أن تعرف من هو أبوها. أعتقد أن هذا هو السبب الذي دفعها إلى ذلك. أي أن والدة "روزي" تعرف عن طبيعة السلوك البشري أكثر مما أعرف أنا.

- طبعًا.

- بس أنتِ كدا هتتسببي في ألم لناس كتير، ومن غير ما تكسبي حاجة تعوضك عن اللي فات.

- كفاية إن نفسيتي ترتاح.

- مش صح. الأبحاث بتأكد إن الانتقام بيزود من معاناة الضحية و...

مكتبة ٢٩١

- دا اختياري أنا.

هناك احتمال أن يكون "جيفري كيس" هو والد "روزي"، وفي هذه الحالة ستكون نتيجة العينات الثلاث سلبية، وسيكون الأوان قد فات على الانتقام الذي تنتويه "روزي". ولكنني لا أريد أن أعول على هذا الاحتمال.

لذلك، أغلقت الآلة.

- استنى.. أنا من حقي أعرف.

- لأ. طالما إن النتيجة هي معاناة ووجع.

- طيب وأنا؟ هو أنت ماتهمكش مصلحتي؟

ها هي تصير عاطفية. أما أنا، فشعرت بهدوء شديد. العقل عاد ليحكمني من جديد. وأفكاري سليمة ومباشرة.

- طبعًا تهمني مصلحتك. وعلشان كدا مش ممكن أساهم في حاجة ممكن تورطك في حاجات مش أخلاقية.

- "دون".. لو أنت معملتش الفحص يبقى أنت كدا مش عايزني أكلمك تاني.. وللأبد.

هذه معلومة من المؤلم لعقلي أن يعالجها، ولكنها متوقعة تمامًا من الناحية المنطقية.

- كنت متوقع إن دا هيحصل في يوم من الأيام. طالما إن المشروع دا هينتهي، وطالما إنك أكدتيلي إنك مش مهتمة بيا من الناحية الجنسية.

- يعني دي غلطتي أنا؟ طبعًا غلطتي أنا. طالما إني بدخن، وماعرفش أي حاجة في المطبخ، ومش معايا الدكتوراه، ومش منظمة، و..

- على فكرة أنا حذفت شرط عدم شرب الكحوليات.

مكتبة ٢٩١

قلت لها هذا بعد أن تنبهت إلى أنها تلمح إلى مشروع البحث عن الزوجة. ولكن، ما هذا الذي تقوله؟ إنها تقيِّم نفسها على أساس معاييري لنفس المشروع؟ وهو ما يعني أنها..

- هو أنتِ كنتِ بتفكري فيَّا كشريك مناسب لحياتك؟

- أكيد. فيما عدا إنك معندكش أي فكرة عن السلوك الاجتماعي، وحياتك محكومة بسبورة وقلم وجدول يومي متحدد عليها، وإنك عاجز عن الإحساس بالحب.. غير كدا أنا شايفة إنك الشخص المثالي.

خرجت من المكان بخطوات مسرعة، وأغلقت الباب وراءها بكل عنف.

عندئذٍ، أعدت تشغيل الآلة. ففي ظل عدم وجود "روزي" في الغرفة، يكون بوسعي تنفيذ فحص العينات بأمان، وبعد ذلك أقرر ما أفعله بالنتيجة. ولكن في تلك اللحظة سمعت صوت الباب ينفتح من جديد. التفت، وأنا أتوقع أن أرى "روزي". ولكنها كانت العميدة.

- بتشتغل على مشروعك السري، يا بروفيسور "تيلمان"؟

كنت في مشكلة عويصة. ففي كل مواجهاتي السابقة مع العميدة، كنت غير مخالف لأي نظام أو قانون، أو كان خطئي أقل جدًّا من أن يستحق أي عقاب. أما استخدام آلة فحص عينات "دي إن إيه" لأغراض خاصة فهو انتهاك خطير لتنظيمات قسم الوراثة. فإلى أي مدى تعرف؟ كما أنها لا تعمل عادة في أيام الإجازات. لا بد أن وجودها هنا ليس من باب الصدفة.

- موضوع مثير للاهتمام، على حد وصف "سايمون ليفيبر". حضر لمكتبي وسألني عن مشروع بيتنفذ في كليتي. مشروع بيتطلب إن احنا ناخد منه عينة "دي إن إيه". زي ما أنت عملت بالفعل. أنا افتكرت إن الموضوع مش أكتر من خدعة أو نكتة. واعذرني لو كنت من النوع اللي مش بيحب يهزر، ولكن المشكلة

مكتبة ٢٩١

هي.. إني ما اعرفش أصلًا إن فيه مشروع من النوعية دي في كليتي. وطبعًا تعرف إن مقترح المشروع دا كان لازم يعدي عليًّا وقت عرضه على لجنة الأخلاقيات العلمية.

أجد العميدة، حتى هذه اللحظة، هادئة وعقلانية. ولكن نبرة صوتها بدأت ترتفع الآن:

- أنا بقالي سنتين في محاولات علشان أقنع كلية الطب تموِّل مشروع بحثي مشترك، وأنت قررت مش بس تتصرف بطريقة منعدمة الأخلاق العلمية ولكن كمان إنك تنفذ مشروع بطريقة متعملهاش حتى جهة مانحة أو ممولة. أنا عايزة منك تقرير مكتوب. ولو مكنش مرفق معاه خطاب موافقة لجنة الأخلاقيات العلمية، اللي هو وبطريقة ما تخطاني من الأساس، فوقتها هتعرف لوحدك إنك مفصول من منصبك.

وقفت العميدة عند الباب. وأردفت:

- لسه شكوى "كيفين يو" موجودة على مكتبي. وأنصحك تفكر كويس في كلامي. ومفتاح المختبر دا هيفضل معايا من اللحظة دي. شكرًا.

هكذا كانت هذه الكلمات بمثابة إعلان رسمي عن إغلاق ملف مشروع البحث عن الأب.

***

حضر "جين" إلى مكتبي في اليوم التالي، بينما كنت أضع اللمسات الأخيرة على نموذج استبيان علمي. وسألني سؤال في وقته:

- أنت كويس؟

- أشك في كدا. بس هعرَّفك خلال خمستاشر ثانية تقريبًا.

أتممت الاستبيان، وحسبت النتيجة، قبل أن أناوله لـ"جين"، وأنا أقول له:

مكتبة ٢٩١

- ستاشر. تاني أعلى درجة.

ألقى "جين" نظرة على الورقة، ثم قال لي:

- مقياس "إدنبره" لاكتئاب ما بعد الأبوة.. هو أنت أساسًا عندك أطفال؟ هو أنت أساسًا متجوز؟

- أنا اتجاهلت الأسئلة اللي متعلقة بالبيبي. دا كان النموذج الوحيد لقياس الاكتئاب اللي لقته "كلاوديا" عندها في البيت وقت ما أختي اتوفت. واتعودت أستعين به ما بين فترة والتانية عشان أطمن على صحتي النفسية.

- دا اللي بنسميه التواصل مع مشاعرنا.. مش كدا؟

أحسست أن سؤاله لا ينتظر إجابة، فالتزمت الصمت.

- اسمع.. أنا أقدر أطلعك من المشكلة اللي اتورطت فيها.

- عندك أخبار من "روزي"؟

- علشان خاطر ربنا تركز يا "دون" الأخبار اللي عندي من العميدة. أنا معنديش خلفية عن اللي بتعمله، بس إنك تعمل فحوصات "دي إن إيه" من غير موافقة اللجنة الأخلاقية معناه إنك بتقفل ملفك الوظيفي بنفسك وبكل غباء.

***

كنت أعرف ذلك. ولهذا قررت أن أتصل بـ"أمجد"، مدير نادي الجولف، لأطلب منه معاودة التفكير في عرضه أن أكون شريكًا له في بار الكوكتيل. بدا لي أنه الوقت المناسب لتغيير مساري المهني. لقد مررت بأغرب إجازة أسبوعية على الإطلاق. عدت إلى منزلي بعد مواجهتي مع العميدة فوجدت "إيفا"، عاملة النظافة، ووجدت أنها ملأت استمارة استبيان خاصة بمشروع البحث عن الزوجة. كتبت في الصفحة الأمامية: "دون، لا يوجد إنسان كامل.. إيفا". وقد تأثرت بعبارتها هذه بشدة، خصوصًا في ظل حالتي النفسية الضعيفة. "إيفا"

إنسانة طيبة، وربما كان غرضها من ارتداء تلك الجيب القصيرة جدًا أن تلفت انتباه رجل ربما يكون محرجًا من تدني مستواها الاقتصادي الاجتماعي، بينما وجدتها قد أجابت عن الأسئلة الخاصة بالمؤهلات الدراسية العليا وكذلك قدرتها على تذوق الطعام غالي الثمن. استغرقت في التفكير في كل السيدات اللاتي ملأن استمارات الاستبيان، وتمنيت لو أنهن نجحن في العثور على الشريك المناسب. وتمنيت لو كان هذا الشريك هو أنا، حتى ولو لم يكن يعرفن الكثير عني، وحتى لو خاب أملهن لو عرفوا عني ذلك الكثير.

صببت لنفسي كأس "بينو نوا"، وخرجت إلى البلكونة. ذكرتني أضواء المدينة بليلة عشاء الإستاكوزا مع "روزي" والتي كانت، على النقيض من توقعات الاستبيان، واحدة من أمتع الوجبات التي تناولتها في حياتي. قالت لي "كلاوديا" من قبل إنني متزمت للغاية، ولكن "روزي" أظهرت لي في نيويورك أن تقديري لأسباب سعادتي كان غير سليم على الإطلاق. أخذت رشفة من النبيذ ببطء، وأنا أراقب تغيُّر المناظر أمامي. ها هي نافذة تظلم، وإشارة مرور تنتقل من الأحمر إلى الأخضر، وأضواء سيارة الإسعاف الوامضة تنعكس على جدران المباني. وفي تلك اللحظة، أدركت أنني لم أصمم الاستبيان بغرض العثور على سيدة أقبل بها، ولكن بغرض أن أجد سيدة تقبل بي، كما أنا.

وبغض النظر عن أي قرار أتخذه نتيجة علاقتي وتجاربي مع "روزي"، فقد قررت ألا أستخدم ذلك الاستبيان مجددًا. وهكذا انتهى مشروع البحث عن الزوجة.

***

قال لي "جِين":

– مفيش شغل.. يعني مفيش نظام.. مفيش جدول يومي. يعني إنك هتنهار.

ألقى نظرة أخرى على استبيان الاكتئاب، ثم أردف:

مكتبه ٢٩١

- لكن أنت منهار بالفعل. اسمع. أنا هقوللها إن المشروع يخص قسم علم النفس. وهنعمل طلب للجنة الأخلاقية، وأنت بس قولها إنك كنت فاكر إن المشروع خد الموافقة فعلًا.

واضح أن "جين" يبذل ما في وسعه حتى يساعدني. وجدتني أبتسم له. بينما سألني وهو يلوح بورقة الاستبيان:

- مش كدا المفروض ننقص شوية درجات من المجموع النهائي؟

- أعتقد لأ.

خيَّم الصمت علينا. يبدو أن كلانا لم يجد ما يقوله للآخر. وتوقعت أن يتركني "جين" وينصرف. ولكنه حاول معي مرة أخرى.

- لازم تساعدني، يا "دون". المشروع دا له علاقة بـ"روزي"، صح؟

- مش هتفرق.

- طيب خليني أوصف الموقف ببساطة.. أنت مش سعيد، لدرجة إنك أهملت شغلك وحياتك المهنية، وسمعتك العلمية، وحتى لجدولك اليومي المقدس.

هذا صحيح.

- "دون"، أنت خالفت النظام. من إمتى وأنت بتخالف النظام؟

سؤال وجيه. أنا أحترم النظام. ولكنني خلال الأيام التسعة والتسعين الأخيرة انتهكت الكثير من القواعد والنظم القانونية والأخلاقية والشخصية. وأعرف على وجه التحديد متى بدأ ذلك. منذ اليوم الذي خطت فيه "روزي" إلى داخل مكتبي، فاضطررت إلى اختراق نظام الحجز الإلكتروني في مطعم "لا جافروش" حتى أكون على موعدي معها.

- كل دا علشانها؟

- واضح. مع إنه مش منطقي أبدًا.

شعرت بالحرج. هناك فرق بين اقتراف خطأ اجتماعي وبين الاعتراف بأنني فقدت عقلي ومنطقي.

- هو مش منطقي بس طالما كنت بتبص لكل حاجة من منظور استمارة الاستبيان اللي أنت صممتها.

- لكن استمارة استبيان الاكتئاب دي..

- أنا قصدي استبيانك أنت.. أسئلتك اللي من نوع (هل تأكلين القوانص أم لا؟). أنا شايف إنك عبقري في الجينات، وخايب في الاستبيانات.

- أنت شايف إن موضوع "روزي" هو نتيجة توافق جيني؟

- أنا مش عارف أنت بتفهم كلامي إزاي. ولكن باختصار... وبالطريقة الرومانسية.. لازم أقولك إنك بتحبها فعلًا.

هذا وصف غير عادي. ولكنه منطقي تمامًا. كنت أعتقد دائمًا أن الحب الرومانسي بعيد جدًّا عن نطاق خبراتي. ولكنه التفسير المثالي لحالتي الراهنة. ولكني كنت أريد المزيد من التأكيد.

- دا رأيك المهني؟ بصفتك خبير في الجاذبية بين الجنسين؟

أوما "جين" برأسه من دون تعليق.

- ممتاز.

هكذا أثر رأي "جين" إيجابًا في حالتي العقلية.

- لكن أنا معرفش دا ممكن يساعدك إزاي.

- "روزي" حطت إيدها على تلات عيوب. العيب رقم واحد هو عدم قدرتي على الإحساس بالحب. وكدا فاضل عيبين لازم أتخلص منهم.

- اللي هما؟

- البروتوكول الاجتماعي والالتزام الشديد بجداول يومية دقيقة.. مسألة بسيطة.

مكتبة ٢٩١

30

حجزت موعدًا للقاء "كلاوديا" في المقهى المعتاد لمناقشة السلوك الاجتماعي. أدركت أن تحسين قدراتي فيما يتعلق بالتفاعل مع البشر أمر يستلزم مجهودًا وأنني مهما حاولت وحدي فلن أتمكن من إقناع "روزي". ولكنها مهارات مهمة في حد ذاتها.

كنت اعتدت، إلى حد ما، كوني غريبًا من ناحية التواصل الاجتماعي. فكنت في المدرسة، وعن غير قصد مني، أضحوكة فصلي، إلى أن تحولت إلى أضحوكة بقصد مني في نهاية المطاف. والآن حان وقت النضوج.

اقترب الجرسون من الترابيزة. فقالت لي "كلاوديا":

- اطلب أنت.

- تحبي تشربي إيه؟

- لاتيه خفيف من غير كافيين.

نوع سخيف من القهوة، ولكنني لم أصارحها بذلك. ولكن "كلاوديا" تعرف بالتأكيد رأيي من خلال رسائل انفعالية سبق وأن وجهتها لها، وبالتأكيد لا ترغب مني أن أكررها. ستنزعج بالتأكيد. قلت للجرسون:

مكتبة ٢٩١

- أنا إسبريسو دوبل، وزميلتي لاتيه خفيف.. من غير كافيين ولا سكر، من فضلك.

علقت "كلاوديا":

- فيه حاجة فيك اتغيرت على الأقل.

نبهتها إلى أنني قادر طيلة حياتي على طلب القهوة بطريقة ناجحة مؤدبة ومن دون متاعب، ولكن "كلاوديا" أصرت على أن طريقتي في التواصل قد تغيرت في جوانب كثيرة غير ملموسة.

- مافتكرش إن نيويورك من المدن اللي الواحد ممكن يتعلم فيها الإتيكيت، ولكن الظاهر إنها علمتك حاجة.

أخبرتُها أن الناس هناك، وعلى عكس ما تتصور، ودودون، وحكيت لها تجربتي مع "ديف" مشجع البيسبول، و"ماري" الباحثة في مجال الاضطرابات ثنائية القطب، و"ديفيد بروينشتاين" عميد كلية الطب في جامعة "كولومبيا"، والشيف، وكذلك ذلك الرجل الغريب في مطعم "مومومفوكو كو". وذكرت لها أننا تعشينا مع عائلة "إيزلر"، واصفًا العائلة بأنها صديقة لعائلة "روزي". وكان استنتاج "كلاوديا" بسيطًا. فجميع هذه التفاعلات الاجتماعية التي لم أعتد عليها، علاوة على وجود "روزي"، قد أسهمت وبطريقة دراماتيكية في تحسين مهاراتي.

- ومش لازم تظهر دا ليا أو لـ"جين"؛ لأنك مش فرض عليك إنك تبذل جهد عشان تعجبنا أو عشان تبقى صديق لينا.

***

صحيح أن "كلاوديا" محقة بالنسبة لقيمة التدرب، ولكنني أتعلم بصورة أفضل من خلال القراءة والملاحظة. ومهمتي التالية هي تحميل بعض المواد التعليمية من الإنترنت.

قررت أن أبدأ بالأفلام الرومانسية التي ذكرتها "روزي" بالاسم. وهي أربعة: "كازابلانكا"، و"جسور ماديسون كاونتي"، و"عندما قابل هاري سالي"، و"علاقة للذكرى". وأضفت إلى تلك الأفلام كل من: "أن تقتُل طائرًا يغرد" و"البلد الكبيرة"، وكلاهما للممثل "جريجوري بك"، والذي اعتبرته "روزي" أكثر الرجال جاذبية في التاريخ.

أمضيتُ أسبوعًا كاملًا في مشاهدة الأفلام الستة، بما في ذلك الوقت الذي انقضى في إيقاف العرض وتدوين الملاحظات. وجدت الأفلام مفيدة إلى حد لم أتصوره، ولكنها صعبة جدًّا كذلك. فالديناميكيات العاطفية معقدة جدًّا! هذا ما لاحظته، معتمدًا على أفلام اقترحتها "كلاوديا"، وتحكي عن نهايات سعيدة وغير سعيدة للعلاقات بين الذكر والأنثى. وهكذا شاهدت أيضًا أفلام "هيتش" و"ذهب مع الريح" و"مذكرات بريدجت جونز" و"آني هول" و"نوتنج هيل" و"تقريبًا الحب" و"جاذبية قاتلة".

كما اقترحت "كلاوديا" عليَّ أن أشاهد فيلم "أفضل ما يمكن حدوثه".. "للتسلية فقط". ومع أن غرضها كان أن أستعين به مثالًا على ما لا ينبغي لي فعله، ولكنني أُعجبت بالطريقة التي تعامل بها "جاك نيكلسون" من خلال شخصيته مع مشكلة السترة؛ بطريقة أفضل كثيرًا مما فعلت. كما شجعني أنه، وبغض النظر عن عدم كفائته الاجتماعية الخطيرة، وفارق كبير في العمر بينه وبين "هيلين هنت"، والكثير من الاضطرابات النفسية المحتملة، ودرجة من عدم

التسامح تتجاوز بكثير ما أتصف أنا به، نجح في أن يكسب قلب المرأة التي أحبها في نهاية الفيلم. كان اختيارًا ممتازًا من "كلاوديا".

وبدأت أفهم شيئًا فشيئًا. هناك مبادئ سلوكية ثابتة في العلاقات الرومانسية بين الذكر والأنثى، ومنها أن الخيانة ممنوعة. ترسخت هذه القاعدة في عقلي وأنا ألتقي "كلاوديا" مجددًا بخصوص الممارسة الاجتماعية.

تناقشنا في مجموعة من السيناريوهات. مواقف افتراضية:

- الوجبة دي فيها حاجة غلط. ودا معناه إن فيه موقف ومحتاج مواجهة كبيرة، صح؟

- ومينفعش توصف وجبة بأن فيها حاجة غلط. دي مصطلحات تنفع مع الكمبيوتر والبرمجة.

- بس ممكن أقول: "أنا آسف، دا كان حكم مش صح، وغلط كامل مني"، مش كدا؟ هنا استخدام كلمة "غلط" مقبول؟

- مظبوط.

ثم ضحكت، وأكملت:

- أقصد إن معاك حق. "دون"، الحاجات دي الواحد بيتعلمها في سنين.

ولكن ليس أمامي أعوام. ولكنني متعلم سريع، وأنا الآن قد جهزت عقلي لأن يكون مثل إسفنجة بشرية. تمتص كل شيء. وأظهرت لها ذلك:

- أنا هبني جملة موضوعية ييجي وراها طلب توضيح، وأبدأ كل ده بجملة معتادة.. "أنا آسف. أنا طلبت إستيك يكون قلبه بارد. عندكم هنا تعريف تاني للإستيك البارد؟".

- بداية كويسة.. بس السؤال عنيف شوية.

مكتبة ٢٩١

- مش مقبول؟

- ممكن يكون مقبول في نيويورك. بس مش لازم توجه اللوم للجرسون.

- "أنا آسف. أنا طلبت إستيك يكون قلبه بارد. ممكن تتأكد من إنهم نفذوا الأوردر صح؟".

أومأت "كلاوديا" برأسها. ولكنها لم تكن راضية تمامًا. أنا أعطي اهتمامًا كبيرًا لتعبير الشخص الذي أمامي عن مشاعره، وقد شخصت تعبيرها بشكل صائب.

- "دون". أنا معجبة بمجهودك، بس.. يمكن يكون تغيير ذاتك علشان تحقق توقعات الطرف الآخر فيك فكرة مش كويسة. وممكن أنت نفسك في النهاية تكره التغيير دا.

لم أكن أعتقد أن هذا أمر محتمل. فأنا أتعلم قواعد جديدة، وهذا هو كل شيء. تابعت هي كلامها:

- لو كنت بتحب شخص، فلازم تكون مستعد إنك تقبله زي ما هو. ممكن تتمنى إنه في يوم من الأيام ياخد باله من حاله ويغير من حياته بالطريقة اللي تعجبك. ولكن دا مش دورك أنت.

ربطت بين كلامها وقاعدة الإخلاص التي سجلتها في عقلي في بداية نقاشنا. ولم يكن عليَّ أن أطرح هذا الموضوع الآن. فلا بد من أن أجيب عن سؤالي. والأكيد أن "كلاوديا" كانت تقصد "جين" بكلامها.

***

رتبت لأن أجري بصحبة "جين" في صباح اليوم التالي. كنت أريد التحدث معه على انفراد، وفي مكان لا يتيح له أن يتهرب مني. بدأت محاضرتي ما إن بدأنا الجري. نقطتي الرئيسية هي أن الخيانة غير مقبولة على الإطلاق. وأن أي

مكتبة ٢٩١

فائدة منها لا تقارن بمخاطر وقوع كارثة مطبقة. وخاصة أن "جين" مر بتجربة طلاق سابقة من قبل. "أوجين" و"كارل" كـــ.

قاطعني "جين" وهو يلهث. في خلال مسعاي أن تصل رسالتي بشكل واضح لا لبس فيه، كنت أجري بسرعة أكبر من المعتادة. ولياقة "جين" البدنية أقل مني بكثير، وما أعتبره أنا جريًا خفيفًا بغرض حرق الدهون يكون بالنسبة له تدريب بالغ القوة لعضلة قلبه.

- أنا سمعتك كويس. أنت كنت بتقرا في إيه الأيام اللي فاتت؟

حكيت له موضوع الأفلام التي كنت أشاهدها، وتقديمها لأمثلة عن السلوكيات المقبولة وغير المقبولة. وقلت له إذا كان بينه وبين "كلاوديا" علاقة حب، فإنه يتعرض لخطر محدق من أي عشيقة ساخطة. اعترض "جين" على فكرة أن يكون لسلوكياته تأثير سلبي على زواجه.

- إحنا الاتنين دارسين علم نفس. وعايشين مع بعض من منطلق علاقة زوجية مفتوحة وحرة.

تجاهلت توصيفه غير الصحيح لنفسه وأنه مختص في علم النفس، وركزت على القضية الأساسية: جميع الكيانات السلطوية والقواعد الأخلاقية ترى أهمية للإخلاص. وحتى نظريات علم النفس الحديثة، تتفق على أنه إذا اكتشف شخص أن شريكه غير مخلص له فسيكون لديه أسباب قوية لرفض العلاقة والنفور منه.

- أنت بتتكلم عن حالات بعينها؛ لأنها مش قادرة تتحمل مخاطرة إنها تربي ابن أو ابنة مش من صلبهم. وعلى كل حال، أنا كنت فاكر إنك بتركز على إنك تتغلب على غريزتك.

مكتبة ٢٩١

- صحيح. والخيانة من غريزة الراجل. وأنت لازم تتغلب عليها.

- الستات بتقبل دا من الراجل طالما إن المسألة مفيهاش أي إحراج علني قدام الناس. عندك فرنسا مثلًا.

لكنني ذكرت له أمثلة مناقضة لكلامه من روايات وأفلام مشهورة.

- "مذكرات بريدجت جونز"؟ من إمتى بقى واجب علينا نتصرف زي شخصيات الأفلام؟

توقف ليلتقط أنفاسه اللاهثة. مما منحني الفرصة لأقدم له الدليل من دون مقاطعة منه. وانتهيت من كلامي بالإشارة إلى أنه أحب "كلاوديا" وأن عليه أن يستعد للقيام بكل التضحيات الضرورية من أجلها.

- هفكر في الموضوع دا لما أشوفك اتغيرت ونسيت كل اللي اتعودت عليه في حياتك.

ظننت أن التخلي عن الجدول اليومي مثال مباشر نوعًا ما. فقد مرت عليَّ ثمانية أيام من دونه، ومع أنني واجهت مشكلات عديدة، ولكنها لم تكن ذات صلة بعدم كفاية الوقت أو عدم تنظيمه. ولكنني لم أفكر في تأثير كل هذا الكم من التقلبات في حياتي. وكذلك الغموض الذي يشوب علاقتي مع "روزي"، ومشروع اكتساب المهارات الاجتماعية، والخوف من أن يكون أفضل صديقين لديَّ على وشك الدخول في مواجهة قاسية، وكذلك خوفي من أفقد وظيفتي. وشعرت أن جدولة أنشطتي هو الشيء الوحيد المستقر في حياتي.

وفي النهاية، توصلت إلى حل وسط من المؤكد أنه سيكون مقبولًا لـ"روزي". أن يحافظ كل منا على جدول يومي يختص فقط بالتزاماته المعتادة، مثل المحاضرات، واللقاءات، ودروس الفنون القتالية، بالنسبة لي. سمحت لنفسي بهذا. سوف أسجِّل المواعيد في مفكرتي، كما يفعل الناس، ولكن بدرجة أقل من الأسس

مكتبة ٢٩١

المعيارية. أي يمكن أن تتغير البنود من أسبوع لآخر. وعندما راجعت قراري، وجدت أن التخلي عن نظام الوجبة الثابتة، وهو سمة من سمات نظامي تقتضي أكبر قدر من الالتزام، كان البند الوحيد الذي يحتاج إلى عناية فورية مني.

وكما توقعت، فقد وجدت رحلتي التالية إلى السوق غريبة. فما إن وصلت إلى كشك المأكولات البحرية حتى بادر البائع بإخراج إستاكوزا.

- أنا هغير النهاردة.. إيه اللي عندك طازة؟

أجابني بلكنته الإنجليزية الثقيلة:

- الإستاكوزا.. الإستاكوزا هي أحسن حاجة ليك كل يوم ثلاثاء.

ضحك، وهو يلوح لبقية زبائنه. كان يداعبني مستغلًا ما اعتدت عليه. تعودت أن أرى تعبير وجه معين لـ"روزي" وهي تقول جملتها المعتادة "أنا مش بهزر". وهكذا قلدتها وأنا أقول له نفس الجملة. ويبدو أنها كانت طريقة مجدية.

- أنا كنت بهزر معاك.. طيب شوف.. سمكة السيف طازة جدًا، وكمان الجندوفلي.. بتاكل جندوفلي؟

أنا أتناول الجندوفلي، ولكن لم يسبق لي أن طهوته في المنزل. فطلبت منه طلبي من دون تقشير، حيث تشير تعليمات الجودة في المطاعم أن تصلهم طلبيات الجندوفلي طازجة وبقشرها.

وصلت إلى المنزل ومعي مجموعة من الأطعمة لا صلة لها بنظامي المعتاد السابق. وأدركت أن طهي الجندوفلي مهمة صعبة. ولم تكن لديَّ سكين لأفتحه لها من دون المخاطرة بإصابة يدي. كان بوسعي أن أتعرف على طريقة فتحه من خلال الإنترنت، ولكن هذا يتطلب وقتًا. لهذا السبب كنت أضع جدولي ببنوده المألوفة لي. فأنا قادر على استخراج لحم الإستاكوزا وأنا مغمض العينين وعقلي مشغول في مسألة تتعلق بالجينات. فما هو عيب النظام الثابت؟ ها هي واحدة

مكتبة ٢٩١

جندوفلي أخرى تفشل السكين في فتحها. بدأت أتضايق وأوشكت أن ألقي بكل الجندوفلي في سلة المهملات، لحظة أن خطرت لي فكرة.

وضعت واحدة داخل الميكرويف وتركتها تسخن لبضع ثوانٍ. عندئذٍ انفتحت بكل سهولة. كانت دافئة ولكن لذيذة. جربت واحدة أخرى، وفي هذه المرة أضفت عليها الليمون والفلفل الأسود المطحون. ممتازة! عالم جديد ينفتح على مصراعيه أمامي. تمنيت أن يكون هذا الجندوفلي من نوعية الطعام الذي تتناوله "روزي".. فقد كنت أتوق إلى تشاركني هذه المهارة الجديدة.

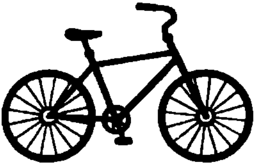

مكتبة ٢٩١

31

يعني تركيزي على تحسين الذات أنه ليس لديَّ ما يكفي من وقت لدراسة تهديد العميدة بطردي من هيئة التدريس وبالتالي الإعداد للرد عليها. وكنت قد قررت ألا أقبل عرض "جين" للخروج من هذا المأزق؛ خاصة وأن انتهاكي للقانون حدث بكل وعي مني، فسيكون إخلالًا بنزاهتي الشخصية أن أقبل ذلك العرض.

نجحت في كبح تفكيري في مستقبلي المهني، ولكنني عجزت عن التفكير في تعليق العميدة على ما حدث مع "كيفين يو" والشكوى التي قدمتها ضده بتهمة السرقة العلمية. وبعد كثير من التفكير، خلصت إلى أن العميدة لا تعرض عليَّ صفقة غير أخلاقية ملخصها أن أسحب الشكوى مقابل الحفاظ على منصبي. فما قالته يضايقني لأنني أنا نفسي خرقت القواعد خلال تنفيذي لمشروع البحث عن الأب. وقد حكى "جين" ذات مرة نكتة دينية عندما تحدثت عن الجانب الأخلاقي في سلوكه.

لم أحافظ على عذريتي كما فعلت مريم العذراء، لا أحد الآن يستطيع مقارنتي بها.. لقد أصبحت ملوثًا مثل الجميع، فكما يقال "من كان بيته من زجاج، لا يرمي الناس بالحجارة".

مكتبة ٢٩١

استدعيت "كيفين" إلى مكتبي. هو من الصين نفسها، وعمره نحو ثمانية وعشرين عامًا (مؤشر كتلة الجسد تسعة عشر بالتقريب). فسرت تعبيرات وجهه وحركات جسده بأنها تنم عن توتر.

معي مقاله، الذي كتبه له مدرسه الخصوصي كله أو جزء منه، وعرضته عليه. وسألته:

- ليه مكتبتش المقال بنفسك؟

تحاشى النظر إليّ - وهو ما فسرته بأنه إشارة تدل في ثقافته على الاحترام وليس التململ والمواربة - ولكنه بدلًا من أن يجيب عن سؤالي، شرع يفسر تبعات فصله المحتمل من الجامعة. لديه زوجة وابن في الصين، وهو لم يخبرهم بعد بهذه المشكلة. وهو يتمنى أن يتمكن يومًا ما من الهجرة، أو على الأقل أن يعمل في مجال الجينات. وتصرفه غير الحكيم هذا يعني نهاية أحلامه وأحلام زوجته، التي تعيش منذ أربعة أعوام بعيدًا عنه. كان يبكي.

لو كنت صادفت هذا الموقف في الماضي لكنت اعتبرته أمرًا مؤسفًا ولكن لا صلة لي به. فهناك قواعد قد انتُهكت. ولكنني الآن انتهكت قواعد بدوري. أنا لم أنتهكها عمدًا، أو على الأقل ليس بعقلي الواعي. ربما كان سلوك "كيفين" مماثلًا. سألت "كيفين":

- ما هي الحجج الاساسية التي تطرح رفضًا لاستخدام الجثث المعدلة جينيًّا؟

كانت المقالة عن الجوانب الأخلاقية والقانونية التي يثيرها التقدم الذي يشهده علم الجينات. وسرد عليّ "كيفين" موجزًا متكاملًا. اتبعت سؤالي بمزيد من الأسئلة، وأجاب عنها بصورة جيدة. يبدو لي أنه ملم بالموضوع.

- طيب ليه مكتبتش دا كله بنفسك على الورق؟

مكتبة ٢٩١

- أنا عالم. لكن أنا لسه معنديش ثقة إني أكتب بالإنجليزي في موضوع متعلق بمسائل أخلاقية وثقافية. كنت حريص إني أنجح. ومفكرتش كويس.

لم أجد ردًا مناسبًا على كلام "كيفين". فالتصرف قبل التفكير سمة من سماتي المميزة، وأنا لا أريد أن أشجِّع هذه العادة في عالم واعد مثله. كما لا أريد لنقطة ضعفي أن تؤثِّر في اتخاذ قرار سليم بشأن "كيفين". أنا سأقبل أن أتحمل تبعات خطئي في هذا الصدد، على النحو الذي أستحقه. ولكن غفداني لعلي لن يحمل التبعات نفسها التي سيحملها فصل "كيفين" من الجامعة. فأنا أشك في قدرته على الحصول على عرض شراكة في بار كوكتيل على النحو المعروض عليَّ حاليًا.

فكرتُ كثيرًا. وطويلًا. بينما جلس "كيفين" أمامي. لا بد أنه يعتقد أنني أفكر في شكل من أشكال إرجاء تنفيذ قرار صدر فعلًا. ولكنني كنت مرتاحًا تمامًا في هذا الموقف وأنا أوازن بين تأثيرات مختلف القرارات المحتملة. هل هذا هو ما تقوم به العميدة كل يوم؟ عندئذٍ، ولأول مرة، شعرت إزاءها بشيء من الاحترام.

لستُ واثقًا من مقدرتي على حل المشكلة في وقت قصير. غير أنني عرفت أن من الوحشية أن أترك "كيفين" في حيرته وخشيته من أن تكون حياته قد "خربت".

- أنا فاهم إن..

توقفت عن الكلام عندما انتبهت إلى أن هذه ليست العبارة التي اعتدت أن أستخدمها في بداية كلامي مع الناس. فكرت لبرهة، قبل أن أردف:

- أنا هكلفك بمهمة تكميلية؛ ممكن مقال عن الأخلاقيات الشخصية. ودا هيكون بديل عن مسألة فصلك من الجامعة.

أعتقد أن ما ارتسم على وجه "كيفين" هو شعور بالبهجة والسعادة.

***

مكتبة ٢٩١

أدرك أن المهارات الاجتماعية لا تقتصر على عادة طلب فنجان القهوة أو الحفاظ على إخلاصك لشريك حياتك. وأنا منذ أيام المدرسة أختار ملابسي من دون الاعتناء بكونها على الموضة أم لا. ومنذ ذلك الحين لم يعد مظهري الخارجي من بين اهتماماتي، وذلك قبل أن أكتشف أن الناس تندهش مما أرتديه. ولكنني استمتعت بكونهم يعتبرونني شخصًا متحررًا وغير متقيد بأعراف المجتمع. ولكنني أجدني الآن أقف في حيرة عند اختيار الملابس التي أرتديها.

طلبت من "كلاوديا" أن تشتري لي بعض الملابس المناسبة. وسبق لها أن أثبتت خبرتها فيما يتعلق بالقمصان والجينز، ولكنها أصرت هذه المرة على أن أكون معها.

- أنا مش هفضل جنبك على طول.

بعد تفكير في عبارتها، عرفت أنها لا تقصد من كلامها الموت، ولكنها ترمي إليَّ شيء قد يحدث قريبًا: طلاقها! وبالتالي عليَّ أن أجد طريقة أقنع بها "جين" وأبين له الخطر القائم.

استغرق التسوق ساعات الصباح بالكامل. قصدنا عدة متاجر، واشترينا حذاءً، وبنطلونًا، وسترة، وجينز، وقمصانًا، وحزامًا، بل وربطة عنق أيضًا.

كان هناك المزيد من الأشياء التي عليَّ شراؤها، ولكنها لم تكن تستدعي وجود "كلاوديا" معي. ذهبتُ إلى إخصائي نظارات، وإلى الحلاق (لم يكن حلاقي المعتاد)، ومحل ملابس داخلية. والكل ساعدني بكل ود.

الآن حدث توافق بين جدولي اليومي ومهاراتي الاجتماعية والممارسة المتعارف عليها. حدث هذا وفق أفضل ما أمكنني في غضون الوقت المتاح. ها قد اكتمل مشروع إصلاح "دون". والآن حان وقت استئناف المشروع.. مشروع "روزي".

هناك مرآة في ضلفة خزانة ملابسي في مكتبي، لم يسبق لي أن احتجت إليها. والآن أجدني أنظر إليها لأتأكد من مظهري. توقعتُ ألَّا تتاح لي سوى فرصة

مكتبة ٢٩١

واحدة لأبدد نظرة "روزي" السلبية تجاهي وأجعلها تبدي رد فعل عاطفي. أنا أريدها أن تحبني.

يقتضي البروتوكول ألا أرتدي قبّعة داخل أي مكان خاص، ولكنني رأيت أن قاعة طلاب الدراسات العليا مكانًا عامًا. وعلى هذا الأساس، ستكون القبعة مقبولة. نظرت في المرآة ثانية. "روزي" على حق. فأنا في هذه البدلة ذات الثلاث قطع قريب الشبه جدًّا من "جريجوري بك" في فيلم "أن تقتل طائرًا يغرد". إذن... أنا الآن "أتيكوس تيلمان". أكثر الرجال جاذبية فوق ظهر هذا الكوكب.

***

كانت "روزي" تجلس إلى مكتبها. وكذلك "ستيفان"، غير حليق الذقن كالمعتاد. وكنت جهزت ما سأقوله:

- مساء الخير، يا "ستيفان". أهلًا، "روزي". "روزي".. أنا عارف إني معرفتكيش قبل كدا، لكن أنا عازمك على العشا الليلة دي. فيه كلام عاوز أقولهولك.

لم يجبني أيًا منهما. كانت هناك دهشة على وجه "روزي". وكنت أنظر في عينيها مباشرة. قلت:

- دا ذوق منك. أنا هعدي عليكي الساعة سبعة وخمسة وأربعين دقيقة.

كان جسدي يرتجف وأنا أبتعد عنهما، ولكنني أعرف أنني فعلت أفضل ما يمكنني فعله. "هيتش" بطل فيلم "هيتش" سيكون راضيًا عني في هذا الموقف.

أمامي زيارتان لا بد من القيام بهما قبل موعدي الليلة مع "روزي".

تجاهلت "هيلينا" تمامًا هذه المرة. كان "جين" في مكتبه منشغلًا بشاشة الكمبيوتر. لمحت على الشاشة صورة سيدة آسيوية لم أجدها جذابة بالمعايير المتعارف عليها. وانتبهت إلى الاستمارة.. إنها إحدى المتقدمات لمشروع البحث عن زوجة. مكان الميلاد: كوريا الشمالية.

مكتبة ٢٩١

نظر إليّ "جين" في استغراب. لا شك في أن زي "جريجوري بك" غير متوقع بالمرة، ولكنه مناسب لمهمتي هذه.

- أهلًا.. "جين".

- إحنا اتغيرنا وأنا مش واخد بالي، ولا إيه؟

شرحت له أنني تخليت عن عدد من تصرفاتي غير المتعارف عليها، وكذلك بعض العبارات التي كنت أستخدمها في السابق.

- "كلاوديا" حكتلي. أنت شايف إن أستاذك مش قد المسؤولية يعني؟

لم أفهم ما يقصده.

- أنا... أيوة أنا.. أنت مخدتش رأيي.

كان محقًا. كان رد فعل "روزي" دافعًا لي حتى أعيد تقييم كفاءة "جين" الاجتماعية، وتواصلي الأخير مع "كلاوديا" وكذلك مشاهدتي الأفلام أكد لي شكوكي في أن مهاراته نافعة في نطاق محدود، وأنه لا يستخدمها فيما فيه صالح نفسه أو عائلته.

- لأ. أنا كنت محتاج حد يوجهني للسلوك الاجتماعي الصح.

- تقصد إيه بالكلام دا؟

- واضح إنك شبهي. ودا سبب إنك أقرب صاحب ليا. ودا كمان سبب توجيهي الدعوة ليك.

كنت قد تجهزت تمامًا لهذا اليوم. ناولت "جين" مظروفًا. ولكنه تجاهله، وتابع كلامه:

- أنا شبهك؟ أنا مش قصدي إهانة يا "دون"، بس تصرفاتك - قصدي القديمة - محدش يعرف يعملها في الدنيا دي غيرك أنت. ولو عايز رأيي، فأنا

شايف إنك كنت مخبي شخصيتك الحقيقية ورا صورة كنت حابب الناس تشوفها فيك. ومش غريب خالص إن الناس كانت بتعتبرك مجرد.. بلياتشو.

هذا هو قصدي بالتحديد. ولكن "جين" لم يفهمه. وأنا بصفتي صديقه عليّ أن أتصرف مثل أي ذكر بالغ وأصارحه بكل شيء من دون لف أو دوران.

هكذا خطوت إلى الخريطة التي يعلقها في مكتبه، ويضع عليها دبوسًا عند كل دولة نجح في إقامة علاقة مع أنثى منها. تفحصتها وأنا آمل أن تكون هذه هي المرة الأخيرة. ثم أخذت أنقر عليها بإصبعي، بطريقة فيها تهديد واضح.

- دا قصدي بالظبط. أنت شايف إن الناس فاكرة إنك كازانوفا. بس حابب تعرف رأيي؟ أنا مهيمنيش رأي الناس فيك، ولكن الحقيقة إنهم مش شايفين فيك أكتر من واحد مغفل. وهما معاهم حق يا "جين". أنت عندك ستة وخمسين سنة وعندك زوجة وولدين، ومع ذلك لسة متمسك بتصرفاتك. آن الأوان إنك تكبر. وأنا بقولك الكلام دا كصديق مخلص.

راقبت تعبيرات وجه "جين". تتحسن مقدرتي على قراءة المشاعر، ولكن هذا الذي أمامي شعور مركب. أعتقد أنه شعور إنسان كسير النفس، تحطم قلبه للتو.

كم شعرتُ بارتياح. فقد وجدت هذا البروتوكول القائم على أن يوجِّه ذكر بالغ لذكر بالغ نصيحة جادة فعالًا للغاية. والجميل أنه لم يكن من الضروري أن أصل إلى المرحلة التي تقتضي مني توجيه لكمة إلى وجهه.

مكتبة ٢٩١

32

عدتُ إلى مكتبي وغيَّرت ملابس "جريجوري بك" وارتديت البنطلون والسترة الجديدين. ثم أجريت اتصالًا. لم تكن موظفة الاستقبال مستعدة لتحديد موعد لمسألة شخصية، لذلك قمت بحجز موعد لتقييم اللياقة البدنية لدى "فيل جارمان"، بين قوسين هو والد "روزي"، في الساعة الرابعة مساءً.

وبينما كنت أهم بالانصراف، طرقت العميدة باب المكتب ودخلت. أشارت إليَّ أن أتبعها. لم يكن هذا جزءًا من خطتي، ولكن اليوم يوم مناسب لغلق هذه المرحلة من حياتي المهنية.

هبطنا في الأسانسير، ثم اجتزنا الحرم الجامعي، وصولًا إلى مكتبها، من دون أي كلام. يبدو أن النقاش لا بد أن يكون في مكان رسمي. شعرت بعدم ارتياح، وهو رد فعل طبيعي إزاء احتمال فصلي من منصبي محدد المدة في جامعة مرموقة ولأسباب تتعلق بمخالفة السلوك المهني. ولكنني كنت أتوقع هذا، وواتتني المشاعر من مصدر مختلف. فهذا السيناريو يذكرني بأول أسبوع لي في المدرسة الثانوية، عندما تم إرسالي إلى مكتب الناظر نتيجة لسلوك غير ملائم كما زعموا. فقد كان هذا السلوك غير القويم يتمثل في توجيهي أسئلة بالغة الدقة لمدرسة التربية الدينية. وعندما أتذكر هذا الآن، أجدها شخصية مقبولة،

مكتبة ٢٩١

ولكنها استغلت منصبها في تأديب صبي في الحادية عشرة من عمره، مما سبب له حرجًا وضيقًا شديدين.

كان الناظر متعاطفًا معي لأسباب وجيهة، ولكنه حذرني ونبهني إلى وجوب أن أحترم الغير. ولكنه كان متأخرًا جدًّا: فبينما كنت في طريقي إلى مكتبه قررت أنه لا جدوى من الاستمرار في محاولة التأقلم هذه. وفضلت أن أبقى كما أنا: مهرج الفصل طيلة ست سنوات تالية.

كثيرًا ما فكرت في تلك الذكرى. كان قراري في ذلك الحين رد فعل منطقي استند إلى تقييمي للبيئة الجديدة، ولكنني الآن أفهم أن دافعه هو الغضب من هرم السلطة والنظام الذي أدّى إلى قمع رأيي.

خطر لي خاطر آخر وأنا أدخل إلى مكتب العميدة. ماذا لو كانت معلمتي متخصصة في العلوم الدينية بدرجة ممتازة، ومسلحة بالفكر المسيحي وتراث ألفي عام؟ لربما امتلكت حجة أقوى من حجة صبي في الحادية عشرة. وهل كنت سأرضى وقتها؟ أشك في ذلك. فأنا بصفتي عالم، يميل إلى التفكير العلمي، سيترسخ لديَّ شعور عميق بأنني كنت مثار سخرية ليس إلا، كما كانت "روزي" تنبهني بين الحين والآخر. وهل سيكون ذلك هو شعور المعالج الروحاني نفسه؟

هل ما يحدث معي الآن هو موقف آخر مماثل لتلك البلطجة الشنيعة التي ارتكبتها معي معلمة التربية الدينية، حتى ولو كنت على حق في المرتين؟

بينما كنا ندخل مكتب العميدة للمرة التي كنت أتوقع أن تكون الأخيرة، لمحت اسمها الكامل على باب المكتب، وعندئذٍ تبدد لديَّ خلط بسيط. إنها البروفيسور "تشارلوت لورانس". لم يخطر ببالي أن يكون هناك من يختصر هذا الاسم بكلمة "تشارلي"، ولكنني أدركت الآن أن "سايمون ليفيبر" كان يقصدها هي.

اتخذنا مجلسنا. وبادرتني:

- أنا شايفة إن إحنا الاتنين لابسين زي رسمي يليق بالمقابلات. وأنا آسفة لحقيقة إنك محبتش تنعم علينا بالطلة دي طول الوقت اللي قضيته معانا في الجامعة هنا.

سكت ولم أرد عليها.

- طيب. مفيش تقرير. مفيش تفسير؟

مرة أخرى، لم أجد ردًا مناسبًا.

عندئذٍ، ظهر "سايمون ليفيبر" عند الباب. واضح أن هذا أمر مخطط له مسبقًا. أشارت له العميدة "تشارلي" أن يدخل.

- توفيرًا للوقت.. ممكن تشرح ليا وا-"سايمون" في نفس الوقت.

كان "ليفيبر" يحمل المستندات التي أعطيتها له من قبل.

في هذه اللحظة، دخلت المساعدة الشخصية للعميدة، "ريجينا"، التي لا يمكن أن تحمل لقب "جميلة" إلى جوار اسمها.

- آسفة على الإزعاج يا بروفيسور.

كلامها فيه لبس، فكلانا يحمل لقب بروفيسور، على الأقل لمدة بضع دقائق تالية، ولكن السياق صار واضحًا عندما خاطبت العميدة:

- عندي مشكلة في الحجز اللي طلبتيه في مطعم "لو جافروش". الظاهر إنك مش موجودة في قايمة كبار الضيوف.

ظهر الضيق على وجه العميدة، ولكنها صرفت "ريجينا" سريعًا.

ابتسم لي "سايمون ليفيبر" وهو يقول:

- كان ممكن تبعتلي الحاجات دي بالبريد.

كان يقصد الأوراق.

- مكنش فيه لزوم للانطباع اللي سبته بعد كل اللي عملته. ولكن لازم أقول إنه مجهود جميل. زي مجهودك في إعداد العرض. إحنا بدورنا هنقوم بتحويله

مكتبة ٢٩١

للجنة الأخلاقيات العلمية علشان تعتمده. لكن المشروع اللي إحنا بندور عليه فعلًا. الجينات مع الطب في مشروع واحد، هيكون موضوع الساعة، وهيفرق معانا إحنا الاتنين كتير.. كتير قوي.

حاولت تحليل تعبيرات وجه العميدة، ولكنها خارج إطار مجموعة مهاراتي الحالية. بينما خاطب "سايمون" العميدة:

- مبروك، يا "تشارلي". بقى عندك مشروع بحثي مشترك. ومعهد الأبحاث الطبية مستعد إنه يخصص أربعة مليون، وهو مبلغ أكبر من الميزانية المتحددة، وبالتالي ممكن تبدؤوا التنفيذ في أي وقت.

افترضت أنه يقصد أربعة مليون دولار. وجدته يشير إليّ قائلًا:

- لازم تتمسكي بيه يا "تشارلي". دا جوادك الرابح. وأنا عايزه يكون له دور رئيسي في المشروع.

ها أنا ذا أتحصل على أول عائد من استثماري في تنمية المهارات الاجتماعية. لقد فهمت الآن حقيقة ما يجري. لذلك لم أسأل أي سؤال سخيف. ولم أضع العميدة في موقف محرج يضطرها إلى أن تعمل في غير صالحها. اكتفيت بإيماءة من رأسي، وتركتهم وعدت إلى مكتبي.

***

عينا "فيل جارمان" زرقاوان. كنت أعلم هذا، ولكنه أول شيء لاحظته فيه. كان في أواسط العقد الخامس من عمره، وأطول مني بحوالي عشرة سنتيمترات، قوي البنية ورشيق. كنا نقف أمام مكتب الاستقبال في الجيم. على الحائط قصاصات من الصحف وصور لـ"فيل" وهو شاب يلعب كرة القدم. لو كنت طالب طب من دون مهارات فنون قتالية متقدمة، لكنت قد فكرت مرتين قبل

مكتبة ٢٩١

أن أمارس الجنس مع صديقة هذا الرجل. وربما كان هذا هو السبب الذي دفعهم إلى عدم تعريف "فيل" بهوية والد "روزي".

- حضّري للبروفيسور اللبس المناسب، وبعدين خليه يمضي على استمارة إخلاء المسؤولية.

بدت الحيرة على موظفة الكاونتر:

- لكن دا مجرد تقييم.

- دي إجراءات جديدة هنبتدي في تطبيقها من النهاردة.

قلت لهما:

- أنا مش محتاج تقييم و...

لكن يبدو أن "فيل" قد عقد عزمه على أمر ما.

- أنت حجزت تقييم. مقابل خمسة وستين دولار. شوفيله جونتي ملاكمة.

عندئذٍ تساءلت عما إذا كان قد انتبه إلى أنه وصفني بالبروفيسور. ربما كانت "روزي" على حق، وأنه بالفعل شاهد صورتنا ونحن نرقص في الحفل. أنا لم أحاول أن أخفي اسمي الحقيقي. ولكنني أعرف على الأقل أنه يعرف من أنا. فهل يعرف أنني أعرف أنه يعرف من أكون؟ يبدو أن مهارات المراوغة الاجتماعية تتحسن لديَّ بالفعل.

ارتديت فانلة رياضية بحمّالات وشورت، وكانا نظيفين من المغسلة مباشرة، وارتديت قفازي الملاكمة. قمت بتدريب الملاكمة العادي، ولم أكن خائفًا من الإصابة. فلديَّ أسلوب دفاعي جيد أستخدمه عند الضرورة. وكنت مهتمًا أكثر بالتحدث معه. قال لي:

- الكمني.

وجهت له بعض اللكمات الخفيفة التي صدها "فيل".

- لازم تكون لكمات أقوى. حاول تصيبني.

هو الذي طلبها.

- بنت مراتك بتحاول توصل لوالدها الحقيقي؛ لأنها متضايقة منك.

في تلك اللحظة تشتت انتباه "فيل"، ونسي أن يحمي وجهه. أداء سيئ للغاية. كان بوسعي أن أوجه له لكمة مباشرة لو كنا في نزال حقيقي.

- بنت مراتي؟ هي بتوصفلك نفسها بالطريقة دي؟ ودا السبب اللي أنت هنا علشانه؟

وجَّه لي لكمة قوية، فاضطررتُ للجوء إلى التصدي المناسب لتفاديها. لحظتها جرب معي اللكمة الخطَّافية. ولكنني صددتها أيضًا وأتبعت ذلك بلكمة. تفاداها برشاقة.

- وبما إنها صعب توصل للحقيقة، فأنا شايف إننا نحل المشكلة معاك.

وجه "فيل" لكمة قاسية إلى رأسي. تصديت لها وتراجعت إلى الوراء.

- معايا؟ مع "فيل جارمان"؟ الرجل العصامي، اللي بيرفع في نطرة واحدة مية خمسة وأربعين كيلو حديد، واللي الستات شايفاه أحسن من دكاترة أو محامين كتير؟ أو مثقفين؟

وجَّه لي لكمتين متتاليتين، ورددت بهجمة مرتدة. ظننت أن هناك فرصة كبيرة للتغلب عليه، ولكنني مضطر لاستكمال الحوار، وكان ما يزال يتحدث:

- ومع إن دي معلومات متهمكش، لكن أنا كنت عضو في مجلس الكلية، ودربت فريق كرة القدم.

- الظاهر إن المنجزات دي مش كفاية. ممكن تكون "روزي" بتتمنى حاجات غير التميز الشخصي.

مكتبة ٢٩١

لحظتها لمعت في ذهني فكرة، وأدركت طبيعة ذلك الشيء الذي تتمناه. هل ذهب جهدي في تحسين الذات سدى؟ هل سينتهي بي الحال مثل "فيل"، أحاول أن أكسب حب "روزي" بينما هي تحتقرني؟

لا يمكن للصراع البدني والتفكير التأملي أن يجتمعا. وهكذا تلقيت لكمة قوية من "فيل" أذهبت عقلي. نجحت في أخذ خطوة إلى الوراء حتى أقلل من وقعها، ولكنني سقطت. وقف "فيل" عند رأسي، غاضبًا.

- في يوم من الأيام هتعرف كل حاجة. وممكن تلاقي وقتها اللي بتدور عليه، وممكن لأ.

هز رأسه بقوة في سخط، وكأنه هو من تلقى اللكمة.

- اسألها، هل في يوم من الأيام اعتبرت نفسي جوز أمها؟ أنا معنديش أولاد ومعنديش زوجة. وعملتلها كل حاجة - كنت بقرالها قبل ما تنام، وبصحى بالليل أطمن عليها، وكنت حريص على دروس الخيل اللي كانت بتحبها. وبعد وفاة أمها، مادتنيش أي فرصة.

جلست على الأرض، وصحت فيه غاضبًا بدوري:

- أنت موديتهاش ديزني لاند زي ما وعدتها. كدبت عليها.

وبحركة مقصية، أسقطته أرضًا. لم يعرف كيف يسقط بشكل صحيح، فكان سقوطه مدويًا. تصارعنا، وتمكنت منه. كان أنفه ينزف بغزارة، بينما غطى الدم فانلتي الرياضية.

- ديزني لاند! دا كان عندها عشر سنين!

- بس هي قالت لكل زمايلها في المدرسة. ودي مشكلة كبيرة.

حاول أن يتملص مني، ولكنني تمكنت منه تمامًا، حتى وأنا أرتدي قفازي الملاكمة.

- عايز تعرف إزاي وإمتى قلتلها إني هوديها ديزني لاند؟ هي مرة واحدة. وعارف إمتى؟ يوم جنازة أمها. وكنت على كرسي متحرك. كنت لسة في مرحلة نقاهة مدتها تمن شهور.

تفسير مقنع ومنطقي جدًا. وتمنيت لو أن "روزي" عرفتني بتلك المعلومات قبل أن أصل إلى موقف أثبت فيه رأس زوج أمها إلى الأرض، بينما الدم يسيل من أنفه. شرحت لـ"فيل" أنني في جنازة أختي قطعت وعدًا غير عقلاني بأن أتبرع بأموال لدار مسنين، رغم أنه كان من الأفضل لو وجهتها لأبحاثي. وبدا لي أنه قد فهمني.

- أنا اشتريتلها صندوق مجوهرات. ودي كانت أمنية ليها طلبتها من أمها كتير. وافتكرت إنها نسيت موضوع ديزني لاند وقت ما خرجت من مركز إعادة التأهيل.

- صعب نتوقع تأثير تصرفاتنا على غيرنا.

- أنا متفق معاك. ممكن تسيبني أقف؟

كان أنفه ما يزال ينزف، وربما يكون مكسورًا، لذلك وجدت طلبه معقولًا. ولكنني غير مستعد لتركه الآن.

- مش قبل ما نحل المشكلة.

***

مكسه ٢٩١

كان يومًا مشحونًا بالفعل، ولكن تبقت المهمة الأهم. ألقيت نظرة في المرآة. نظارة جديدة، أخف كثيرًا، وتصفيفة شعر مختلفة، أحدثت فارقًا كبيرًا، بالمقارنة بالملابس.

وضعت المظروف المهم في جيب سترتي والعلبة الصغيرة في جيب البنطلون. وبينما كنت أتصل لطلب سيارة تاكسي، رمقت السبورة البيضاء. الجدول، الذي صرت أكتبه الآن بقلم ماركر قابل للمسح، كان أشبه ببحر من الكتابة بلون أحمر.

إنها شفرة المشروع... مشروع "روزي".

قلت لنفسي أن التغيير الذي نتج عن المشروع لا يُستهان به... حتى لو فشلت الليلة في تحقيق غايتي الأخيرة.

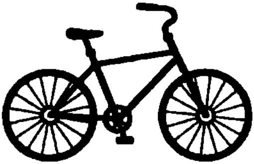

مكتبة ٢٩١

33

وصل التاكسي، وتوقفت به عند محل للزهور. لم يسبق لي أن دخلت هذا المحل – أو أن اشتريت أي زهور من قبل على الإطلاق – منذ أن توقفت عن زيارة "دافني". زهور الدافني لـ"دافني"؛ وبالتالي فإن الاختيار الأمثل لهذه الليلة سيكون الورد... لـ"روزي". تعرَّفت عليَّ البائعة فعرَّفتها بأن "دافني" قد ماتت. وبعد أن اشتريت عشر ورود حمراء بسيقانها الطويلة، بما يتسق والسلوك الرومانسي المتعارف عليه، جلبت بعض زهرات الدافني ووضعتها في عروة سترتي. أعادتني رائحتها إلى ذكريات "دافني". وتمنيت لو كانت حية، حتى تلتقي "روزي".

حاولت الاتصال بـ"روزي" بينما كان التاكسي يقترب من عمارتها، ولكنها لم ترد. ولم تكن تقف بالخارج عندما وصلنا، ولم أجد أسماء إلى جوار أزرار الإنتركم في مدخل العمارة. هناك احتمال أن تكون قد رفضت دعوتي.

الجو بارد وجسدي يرتجف. انتظرت عشر دقائق كاملة، قبل أن أتصل بها مجددًا. لم ترد أيضًا، وكنت على وشك أن أطلب من السائق أن يغادر، عندما ظهرت وهي تقترب ركضًا. ذكَّرتُ نفسي أنني من تغيَّر وليس "روزي" – وكان

من المتوقع أن تتأخر. ترتدي الفستان الأسود نفسه الذي خلب عقلي ليلة خناقة السترة. ناولتها الورود. أدركت من تعبيرات وجهها أنها مندهشة.

ثم نظرت إليَّ.

- أنت متغير... متغير بجد... تاني. إيه اللي حصل؟

- قررت أصلح نفسي.

أعجبني وقع الكلمة... أصلح. ركبنا التاكسي، وما تزال "روزي" تحمل الورود، وأخذنا إلى المطعم، وبقينا صامتين طيلة المسافة القصيرة. كنت أبحث فيها عن معلومات تنم عن تعاملها المتوقع معي، ورأيت أن من الأفضل أن أتركها تبدأ بالكلام. والحقيقة أنها لم تقل أي شيء إلى أن لاحظت أن التاكسي يتوقف بنا خارج "لو جافروش" – مسرح خناقة السترة.

- "دون"... دا مقلب، مش كدا؟

دفعت أجرة التاكسي، وخرجت منه سريعًا حتى أفتح الباب بنفسي لـ"روزي". خرجت ولكنها كانت مترددة في الدخول، وهي تتشبث بالورود بكلتا يديها إلى صدرها. وضعت يدي على ظهرها برفق، وأنا أقدمها أمامي نحو الباب، حيث كان الجرسون الذي التقيناه في الزيارة السابقة يقف بزيه الرسمي. رجل السترة. تعرف على "روزي" فورًا، وهو ما كان واضحًا من طريقة التحية باسمها، قبل أن ينظر إليَّ:

- أيوة يا فندم؟

أخذت الورود من "روزي" وناولتها للجرسون:

- مساء الخير... فيه حجز باسم "تيلمان". ممكن تتفضل وتاخد بالك من البوكيه دا؟

مكتبة ٢٩١

عبارة عادية، وتصرف يعزز من الثقة بالنفس. وبدا أن الكل مرتاح الآن لكوننا نتصرف بطريقة متوقعة. تفحص الجرسون قائمة الحجز. وانتهزت الفرصة حتى أبدد أي تحفظ وتكلف من الأجواء، وألقيت نكتة تدربت عليها مسبقًا. ثم قلت له:

- بعتذر عن أي سوء فهم حصل المرة اللي فاتت. ومش هتكون فيه أي مشاكل الليلة دي. إلا إذا كان البرجوندي متلج زيادة عن اللزوم.

ظهر جرسون، وقدمنا له رئيسه، وهو يمتدح سترتي بكلمات سريعة، وقادنا الأخير إلى قاعة الطعام حيث مائدتنا. الأمور تسير بكل سلاسة.

طلبت زجاجة تشابلس. بينما "روزي" ما تزال في مرحلة وسط بين التصديق وعدم التصديق.

ظهر الساقي ومعه النبيذ. كان ينظر في أنحاء القاعة، وكأنه ينتظر مساعدة من أحد. لمست فيه التوتر. واقترب منا:

- هو على درجة تلاتاشر، بس لو تحبها أبرد من كدا... أو أبردها لحضرتك عن كدا...

- لأ. كدا كويس.. متشكر.

صب لي حتى أتذوق أولًا، فحملت الكأس وحركته دائريًا مثل أي خبير، وشممته، قبل أن أومأ برأسي استحسانًا. والآن، ظهر الجرسون الذي قادنا إلى ترابيزتنا مرة أخرى. في الأربعينات من عمره تقريبًا، مؤشر كتلة الجسد اثنان وعشرون تقريبًا، وطويل بشكل ملحوظ.

- بروفيسور "تيلمان"؟ اسمي "نك" وأنا المسؤول عن العشا الليلة. لو كنت محتاج أي حاجة، أو كانت في أي مشكلة، اطلبني بالاسم.

- ممنون جدًا ليك يا "نك".

تعريف الجرسون نفسه للزبون بالاسم طريقة أمريكية للغاية. فإما أن هذا المطعم اختار أن يقوم بذلك كنوع من التمييز، أو أننا نحظى بمعاملة مميزة لسبب ما. وخمنت الاحتمال الثاني: فلربما اعتبروني شخصًا خطيرًا في المكان. جميل؛ فأنا بحاجة إلى كل مساعدة في هذه الليلة.

قدم لنا "نك" المنيو.

- أنا حابب إني أسيب الاختيار للشِيف. بس مش عاوز أي لحوم، ولو سي فود يبقى ميكونش فيها أي حاجة مش فريش.

- هتكلم مع الشيف وهنعمل كل اللي تؤمر بيه.

- أنا عارف إننا ممكن نكون بنتعبكم معانا، بس صحبتي ملتزمة بقواعد متشددة جدًا.

وجدت "روزي" تنظر لي باستغراب واندهاش. كنت أرمي من وراء كلامي إلى ملامسة وتر بعينه، وقد نجحت. نظرت إليها وهي تشرب من التشابلز، ثم تضع الزبدة فوق قطعة خبز وتتناولها. راقبتها في صمت.

وفي النهاية، تكلمت:

- ماشي، يا "جريجوري بك". إحنا دلوقتي في أي حكاية؟ "سيدتي الجميلة" ولا "الخدعة الكبيرة"؟

هذا جيد. "روزي" مستعدة لمناقشة الأمور بصورة مباشرة. والحقيقة أن الصراحة كانت من أهم صفات "روزي" الإيجابية، رغم أنها لم تنتبه في هذه الليلة إلى الموضوع الأهم.

- أنا تحت أمرك.

مكتبة ٢٩١

طريقة معروفة ومهذبة لتجنب قيامي بالاختيار، وفي ذات الوقت تشجيع الطرف الآخر عليه.

- "دون"... كفاية. أنت أكيد عرفت مين هو والدي الحقيقي، صح؟ هو صاحب المنديل، مش كدا؟

- ممكن.

كنتُ صادقًا. فرغم النتيجة الجيدة للقائي مع العميدة، فإنني لم أحصل بعد على مفتاح المختبر.

- ولكن مش دا اللي أنا عاوز أتكلم فيه.

- طيب. هقول على حاجة. أنت تقول اللي عندك؛ وتعرفني مين هو والدي؛ وتعرفني عملت إيه في نفسك؛ وبعدها يروح كل واحد فينا على بيته.

لم أستطع تمييز نبرة كلامها أو تعبيرات وجهها، ولكنها سلبية في العموم. تناولت رشفة أخرى من نبيذها. نظرت إليَّ في اعتذار واضح:

- آسفة. كمل كلامك.

كنت أشك كثيرًا في فعالية خطوتي التالية، ولكنني لا أملك خطة بديلة. كنت قد جهزت ما سأقوله معتمدًا على فيلم "عندما قابل هاري سالي". وجدته أقرب شيء لي وللموقف، علاوة على ميزة التذكير بأوقاتنا السعيدة في نيويورك. وتمنيت أن يربط عقل "روزي" بين كلامي وبين كل هذا، في عقلها الباطن بالتأكيد. شربت ما تبقى في كأسي. وتابعت عينا "روزي" حركة الكأس الصاعدة والهابطة، قبل أن تحدِّق فيّ مستغربة.

- أنت كويس؟

مكتبة ٢٩١

- أنا طلبت أشوفك الليلة دي لأن الواحد لما يكتشف إنه عاوز يقضي بقية حياته مع إنسان معيَّن، لحظتها بتبقى عنده رغبة في إنه يبتدي بقية حياته في أسرع وقت ممكن.

تأملت تعبيرات وجه "روزي" بعناية. إنها مصدومة.

- أوه ماي جود.

هكذا بادرتها قبل أن تفيق من صدمتها.

- وواضح دلوقتي إن رحلة حياتي كلها كانت في حقيقتها وفي النهاية بتوصلْك أنتِ.

أدركت أن "روزي" لم تنتبه إلى أن هذه الجملة من فيلم "جسور ماديسون كاونتي"، في ذلك المشهد المؤثر على متن الطائرة. كانت تحدق في مرتبكة.

- "دون"... هو أنت... هو أنت عملت في نفسك حاجة؟

- غيرتها.

- دا أنت غيرتها تمامًا.

- مهما كان حجم التغيرات السلوكية اللي طلبتيها مني فهي تهون وهتبقى سهلة طالما هنكون مع بعض.

حركت "روزي" يدها بطريقة لم أفهمها. ثم أخذت تنظر حولها، وتابعت أنا عينيها. كان الكل ينظر إلينا. وتوقف "نك" في منتصف طريقه إلى ترابيزتنا. انتبهت إلى أن صوتي كان عاليًا بدرجة كبيرة من فرط توتري. ولكنني لم أهتم.

- أنتِ الإنسانة اللي كنت بحلم بيها. مثالية جدًّا. وكلهم جنبك ولا حاجة. ومش محتاجة لا بوتوكس ولا شد ولا زرع.

مكتبة ٢٩١

سمعت صوت تصفيق. كانت سيدة نحيفة في العقد السادس من عمرها، تجلس إلى جوار سيدة أخرى من نفس عمرها تقريبًا.

تناولت "روزي" رشفة من نبيذها، قبل أن تتكلم بطريقة محسوبة:

- "دون"... أنا مش عارفة أبتدي منين. أنا حتى مش عارفة أنا بكلم مين دلوقتي – "دون" اللي أنا أعرفه، ولا "بيلي كريستال".

- مفيش "دون" قديم و"دون" جديد. مجرد تغيير في السلوك. وفي القناعات الاجتماعية. وغيرت النضارة، وقصة شعري.

- أنا معجبة بيك يا "دون". أوكيه؟ وانسى أي كلام قلتهولك غير كدا بخصوص والدي. وممكن تكون معاك حق. أنا معجبة بيك بجد. وقضيت أسعد أوقات معاك. كنت مبسوطة. بس أنت عارف... أنا مش ممكن آكل إستاكوزا كل يوم ثلاثاء، و.. مش كدا؟

- أنا لغيت نظام الوجبة الموحدة خلاص. وكمان لغيت 38 في المية من جدولي الأسبوعي، ما عدا النوم طبعًا. ورميت تيشيرتاتي القديمة في الزبالة. واتخلصت من كل حاجة أنتِ مش بتحبيها. وممكن أعمل تغييرات تانية كمان.

- أنت اتغيرت علشاني؟

- سلوكيًا بس.

سكتت "روزي" للحظات؛ عقلها يتعامل مع المعلومات الجديدة.

- أنا محتاجة دقيقة أستوعب.

عندئذٍ، وبحركة تلقائية، قمت بتشغيل خاصية ستوب ووتش في ساعتي. في تلك اللحظة، وجدت "روزي" تضحك بشدة. نظرتُ إليها، وواضح أنني كنت مستغربًا من رد الفعل غير المتوقع منها بينما كنت في انتظار القرار المصيري.

- الساعة... أنا قلتلك محتاجة دقيقة، قمت على طول مشغل الستوب ووتش... "دون" القديم لسة عايش رغم كل شيء.

ولكنني ظللتُ منتظرًا. أراقب الساعة. وعندما تبقت خمس عشرة ثانية، قدرت أنها توشك أن تقول لي لا. وليس لديَّ ما أخسره. هكذا أخرجت العلبة الصغيرة من جيب سترتي، وفتحتها، لأريها الخاتم الذي اشتريته لأجلها. وكم تمنيت لو أنني لم أتعلم قراءة تعبيرات الوجوه؛ لأنني تأملت وجهها، فعرفت الإجابة.

- "دون"... أكيد مش دا اللي أنت عايزني أقولهولك. ولكن أفتكر لمَّا كنا في الطيَّارة، لمَّا قلتلي إنك مخلوق ببرمجة مختلفة عن كل البشر؟

أومأتُ برأسي. وعرفت مكمن المشكلة. تلك المشكلة الأبدية التي لا فكاك منها... مشكلتي أنا. سبق وأن أزحتها إلى جانب بعيد عن عقلي عندما حاولت الظهور خلال عراكي مع "فيل". لم تكن "روزي" بحاجة إلى أن تشرح لي أكثر من هذا. ولكنها استمرت في الكلام:

- دي حاجة لازم تكون من جواك. متقدرش تتظاهر بغيرها... أنا آسفة، ابتدي من الأول. أنت ممكن تتصرف بشكل مثالي، ولكن لو المشاعر مش حقيقية جواك... يا ربي... أنا مش قادرة أجمع جملتين مفهومين مع بعض.

- يعني ردك هو لأ؟

تمنَّى جزء صغير من عقلي أن يكون فشلي في فهم التلميحات الاجتماعية في صالحي ولو لمرة واحدة.

- "دون"، أنت حاسس ناحيتي بحب حقيقي؟ مش معقولة تكون بتحبني بجد.

- "جين" شخَّص حالتي دي بإني بحبك.

أعرف الآن أن تشخيصه خطأ. كما أنني شاهدت ثلاثة عشر فيلمًا رومانسيًا ولم أشعر بأي شيء. ولكن هذا قد لا يكون صحيحًا بصورة قاطعة. فأنا بالفعل شعرت بأحاسيس وأنا أشاهد الأفلام: تشويق، فضول، ودهشة. ولكنني لم أشعر ولو في فيلم واحد بأي تفاعل مع علاقة الحب بين البطل والبطلة. ولم أبكِ لأجل "ميج رايان" أو "ميريل ستريب" أو "ديبوراه كير" أو "فيفيان لي" أو "جوليا روبرتس". ولا يسعني أن أكذب بشأن مسألة على هذا القدر من الأهمية.

- حسب تعريفك... يبقى أنا مش في حالة حب.

ارتسمت تعاسة بالغة على وجه "روزي". ها هي الليلة تتحول إلى كارثة محققة.

- كنت فاكر إن تغييري لكل حاجة هيسعدك، ولكن اللي أنا شايفه دلوقتي هو تعاسة وحزن.

- أنا حزينة لأنك مش قادر تحبني. فهمت؟

هذا أسوأ! هي تريد مني أن أحبها. وأنا عاجز عن ذلك.

- "دون"... أنا شايفة إن الأحسن إن تكون دي أخر مرة نتقابل فيها.

نهضت من الكرسي، وتوجهت إلى مدخل المطعم، بعيدًا عن أنظار "روزي" ورواد المكان. وجدت "نك" هناك يتحدث مع المتر. لما رآني بادر بالتوجه إليَّ.

- تحب أساعدك في أي حاجة؟

- للأسف... فيه كارثة.

ارتسم قلق بالغ على ملامح الجرسون، فلحقته بمزيد من التوضيح:

- كارثة شخصية. مفيش خطر على بقية الزباين. ممكن الشيك، من فضلك؟

- لكن إحنا لسة مقدمناش ليكم أي طلب.

ثم تأملني بشكل عجيب لبضع لحظات، قبل أن يردف:

- مفيش حساب، يا فندم. المشاريب على حساب المطعم.

مكتبة ٢٩١

ثم مد يده نحوي فصافحته، وهو يضيف:

- أنا شايف إنك عملت كل اللي عليك.

نظرت وراءه، فوجدت أمامي "جين" و"كلاوديا". يده في يدها. وهو مشهد لم أره منذ بضع سنوات. بادرني "جين" في فرح:

- إوعى تقوللي إن إحنا وصلنا متأخر.

أومأت برأسي بنعم، ثم نظرت ورائي إلى داخل المطعم. كانت "روزي" تقترب نحونا بخطوات مسرعة. قالت لي:

- "دون"، أنت بتعمل إيه؟

- أنا ماشي. أنتِ قلتيلي إن مش لازم نشوف بعض تاني.

- (...)

ثم انتبهت إلى وجود "جين" و"كلاوديا":

- بتعمل إيه هنا؟

فقال لها "جين" بنبرة سعيدة:

- إحنا مدعوين لحفلة شكر وتقدير. كل سنة وأنت طيب يا "دون".

ناولني علبة ملفوفة كأنها هدية، ثم جذبني إليه واحتضنني. أدركت أن هذه هي الخطوة الأخيرة في بروتوكول النصيحة التي يقدمه الصديق لصديقه، ليخبره أنه قد قبل نصيحته من دون أن تتأثر الصداقة بينهما. ومن جانبي، نجحت في ألا أرتبك، ولكنني لم أعد أستوعب أي شيء بعد ذلك. لقد وصل عقلي إلى مستوى الحمل الزائد بالفعل. سألتني "روزي":

- النهاردة عيد ميلادك؟

- تمام.

مكتبة ٢٩١

فقال "جين":

- طلبت من "هيلينا" تتأكد من تاريخ ميلادك. لكن كلمة "حفلة" في الدعوة بتاعتك كانت كفاية.

أنا في المعتاد لا أميِّز يوم ميلادي عن أي يوم عادي، ولكن خطر لي أنه مناسبة ملائمة للإعلان عن بدايتي الجديدة.

قدمت "كلاوديا" نفسها لـ"روزي"، وقالت:

- أنا آسفة... الظاهر إن احنا حضرنا في وقت مش مناسب.

التفتت "روزي" إلى "جين":

- حفلة شكر؟ شكر؟ شِت. مكنش كفاية إنك تجمعنا إحنا الاثنين من البداية مع بعض – كان لازم تكون معاه في كل خطوة، وتوجهه. لازم في الأخر يبقى نسخة منك في كل حاجة.

تدخلت "كلاوديا" بهدوء:

- "روزي"، مكنتش فكـ..

وضع "جين" يده على كتف "كلاوديا"، التي صمتت، قبل أن يكمل هو كلامها:

- ماكنتش فكرتي. مين طلب منه يتغير؟ مين قالّه إنه هيبقى إنسان مثالي في نظرها لو كان شخص مختلف؟

كانت "روزي" حزينة للغاية. إنني أجد الآن أن جميع أصدقائي (ما عدا "ديف" ومشجع البيسبول) متوترون ويتشاجرون. وهذا أمر فظيع. تمنيت لو عاد بي الزمن إلى أيام نيويورك، حتى أتخذ قرارات أفضل. ولكن هذا محال. لا شيء يمكن أن يُغيِّر ذلك العيب في عقلي والذي جعل الناس لا تتقبلني.

أكمل "جين" كلامه:

- عندك فكرة هو عمل إيه علشانك؟ يبقى روحي بصي على مكتبه.

افترضت أنه يقصد جدولي والعدد الكبير من الأنشطة التي خصصتها لأجل المشروع "روزي".

اندفعت "روزي" خارجة من المطعم. والتفت "جين" إلى "كلاوديا":

- آسف إني قاطعتك.

- كان لازم حد فينا يقولها الكلام دا.

نظرت "كلاوديا" نحو "روزي"، التي صارت على مسافة ليست قصيرة في الشارع.

- أعتقد إنها هي اللي كانت محتاجة توجيه.

عرض "جين" و"كلاوديا" عليَّ توصيلي إلى منزلي، ولكنني لم أكن أرغب في الدخول في أي نقاش. فضَّلتُ أن أمشي، ثم تحوَّل المشي إلى ركض خفيف. كان من المنطقي أنني أريد أن أصل إلى منزلي قبل أن تمطر. وكان من المنطقي أن أنشغل بالركض كتدريب بدني يساعدني على نسيان ما جرى في المطعم بسرعة. وجدت الحذاء الجديد مناسبًا للغرض، ولكن السترة وربطة العنق ضايقتني حتى مع برودة الليل. هكذا خلعت سترتي؛ قطعة الملابس التي جعلتني ولو لبعض الوقت مقبولًا في عالم لا أنتمي إليه، وألقيت بها في أول سلة قمامة. ثم رميت ربطة العنق. فكَّرتُ لثوانٍ، قبل أن أعود لآخذ زهور الدافني من عروة السترة، وأتشبث بها بين أصابعي... ذكرى لهذه الرحلة التي انتهت. السماء توشك أن تمطر، وبلل الرذاذ وجهي لحظة أن وصلت إلى ملاذي وبر الأمان.. منزلي.

مكتبة ٢٩١

34

لم نكن قد شربنا النبيذ بالكامل في المطعم. لذلك رأيت أن أعوض هذا العجز في نسبة الكحول اليومية، وصببت لنفسي كأس تيكيلا عندما عدتُ إلى المنزل. قمتُ بتشغيل شاشة التليفزيون والكمبيوتر المتصل بها واخترت جزءًا معينًا من فيلم "كازابلانكا" كمحاولة أخيرة. شاهدت الشخصية التي يلعبها "همفري بوجارت" وهي تستخدم حبات الفول كتشبيه مجازي يدل على التفاهة النسبية لعلاقته بالشخصية التي تلعبها "إنجريد بيرجمان" مقارنة بالعالم الرحب الواسع، واختياره المنطق وتفضيله على رغباته العاطفية الأنانية. وكان هذا المأزق وما نتج عنه من قرارات السبب في تحقيق الفيلم لكل هذا النجاح. ولكن المشاهدين لم يبكوا متأثرين لهذا السبب. فقد كانوا يبكون على رجل وامرأة يحبان بعضهما، ولكن يستحيل أن يكونا معًا. كررت هذه العبارة في عقلي، محاولًا أن أجبر نفسي على إبداء أي تجاوب عاطفي. ولكنني لم أهتم. تكفيني مشاكلي.

رن جرس الباب، فظننت على الفور أنها "روزي"، ولكن وجه "كلاوديا" هو الذي ظهر أمامي عندما ضغطت زر كاميرا مراقبة الباب.

- "دون"، أنت كويس؟ ممكن نطلعلك؟

- فات الأوان.

مكتبة ٢٩١

عندئذٍ، فزعت "كلاوديا" وصاحت ملتاعة:

- أنت عملت إيه؟ "دون"؟

- قصدي إن الساعة 10:31 بالليل. الوقت متأخر بالنسبة لأي زيارات.

- أنت كويس؟

- أنا كويس. التجربة كانت مفيدة إلى حد كبير. مهارات اجتماعية جديدة. وقرار نهائي في موضوع البحث عن زوجة. ودليل واضح على أني غير كفء لأي ست.

ظهر لي وجه "جين" على الشاشة:

- "دون".. ممكن نطلعلك نشرب حاجة طيب؟

- مش هينفع نشرب أي كحوليات.

لا تزال لديَّ نصف زجاجة تيكيلا. في يدي. أكذب بأدب لأتحاشى أي فرصة لتواصل اجتماعي. وهكذا أغلقت الإنتركم.

لمحت ضوء الرسائل يومض في تليفون منزلي. كان والدي وأخي يتمنيان لي عيد ميلاد سعيد. كنت قد تحدثت بالفعل مع أمي منذ يومين وقت اتصالها المعتاد مساء الأحد. وخلال الأسابيع الثلاثة الأخيرة، كنت أحاول أن أعطيها أي خبر جديد سعيد، ولكنني لم أذكر لها موضوع "روزي". كانوا في الرسالة يستفيدون من خاصية السمَّاعة الخارجية حتى يغنوا لي أغنية عيد الميلاد في صوت واحد – أو على الأقل أمي هي التي كانت تغني، بقوة وهي تشجِّع أبي وأخي على مشاركتها الغناء. ثم أنهت المكالمة قائلة:

- اتصل بنا قبل الساعة عشرة ونصف.

كانت الساعة الآن 10:38، ولكنني رأيت ألا أكون متزمتًا إلى هذا الحد.

- الساعة 10:39 وأنا الصراحة متفاجئة إنك اتصلت دلوقتي.

مكتبة ٢٩١

واضح أنها كانت تتوقع مني أن أكون متزمتًا كالعادة، وهو منطقي بالنظر إلى تاريخي الاجتماعي، ولكن صوتها سعيد.

- بقولك... أخت "جاري باركينسون" شافتك على الفيسبوك. مين أم شعر أحمر اللي كانت معاك؟

- مجرد واحدة كنت خارج معاها.

سمعت صوت أخي وهو يصيح:

- العب غيرها.

لم أفهم ماذا يقصد، ولكنني لم أكن أقول نكتة.

- مش هنشوف بعض تاني خلاص.

ضحك أخي وهو يقول:

- أنا برضه قلت كدا.

قاطعته أمي:

- كفاية يا "تريفور". "دونالد"، أنت مقلتليش قبل كدا إنك على علاقة معاها. وعارف طبعًا إن...

قاطعها أخي:

- كان بيشتغلك يا ماما...

- قصدي إن احنا يسعدنا في أي وقت إنك تيجي ومعاك اللي بتحبها، أو حتى اللي بتحبه، علشان نتعرف و...

عندئذٍ تدخل والدي في الحوار:

- سيبوه في حاله، وبطلُّوا تضايقوه.

مكتبة ٢٩١

كان هناك صمت، ثم حوار خافت في خلفية المكالمة. قبل أن يقول لي أخي:

- أنا آسف يا صاحبي. كنت بهزر معاك مش أكثر. أنا عارف إنك بتعتبرني مجرد واحد متخلف، بس أنا معنديش أي مشكلة معاك أو مع توجهاتك في الحياة. لكن مش حابب إنك توصل للسن دا ولسة فاكر إن فيه بيني وبينك أي حاجة وحشة.

هكذا، وكأنها تتمة يوم حافل، وجدتني أصحح لعائلتي فكرة مغلوطة ظلُّوا لخمس عشرة سنة على الأقل مقتنعين بها عني.

أخيرًا أدركوا أنني لستُ شاذًا.

***

أدركت أن المواقف التي مررت بها اليوم مع كل من "جين" و"فيل" وعائلتي إيجابية من ناحية العلاج النفسي. وهو ما أدهشني. ولم أكن بحاجة إلى الاستعانة باستمارة قياس الاكتئاب المعتادة حتى أعرف أنني حزين، ولكنني انسحبت من تلك الحالة قبل أن أنغمس فيها تمامًا. سوف أحتاج إلى جلسة تفكير منظَّم في المستقبل القريب حتى أطمئن إلى سلامتي النفسية، ولكنني لست بحاجة في الوقت الراهن إلى إغلاق ذلك الجزء العاطفي من عقلي بالكامل. أحتاج إلى قليل من الوقت حتى أتأكد من حقيقة مشاعري تجاه الأحداث الأخيرة.

الجو بارد ممطر بغزارة، ولكن البلكون عندي محمي بساتر بلاستيكي. وهكذا أخذت كرسيًا وفي يدي كأسي إلى هناك، قبل أن أعود إلى الداخل؛ لأرتدي بلوفر كانت والدتي هي من صنعته لي بمناسبة عيد ميلاد سابق منذ سنوات، وكذلك جلبت معي زجاجة التيكيلا.

أنا اليوم في الأربعين من عمري. اعتاد والدي في كل عيد ميلاد لي تشغيل أغنية كتبها "جون سباستيان". وأنا أتذكر أنها من تأليف "جون سباستيان"؛ لأن

"نودي هولدر" ذكر ذلك قبل أن يغنيها. "إحنا هنغني أغنية من تأليف "جون سباستيان". فيه حد بيحب "جون سباستيان" هنا؟" وواضح أنه كان هناك بين الجمهور من يحبه؛ لأنني كنت أسمع صياحًا وتصفيقًا صاخبًا يسبق الغناء.

قررت أن أكون في هذه الليلة من جمهور "جون سباستيان". وأن أسمع الأغنية. وكانت هذه هي أول مرة في حياتي أجد في نفسي رغبة لسماع أغنية بعينها. والتكنولوجيا اليوم في خدمتي. أو اعتادت أن تكون كذلك. رحت أبحث عن موبايلي قبل أن أنتبه إلى أنه كان في سترتي التي رميتها في صندوق القمامة. لذلك دخلت وقمت بتشغيل اللابتوب، وقمت بالتسجيل في موقع "آي تونز"، حتى يمكنني تحميل أغنية "دارلنج بي هوم سون" لفرقة سليد ألايف!، عام 1972. وأضفت إليها أغنية "ساتيسفاكشن"، لتحتوي قائمة الأغاني المفضلة على أغنيتين. أخرجت سماعة الأذن من علبتها، وعدت بكل ذلك إلى البلكون، وصببت المزيد من التيكيلا، واستمعت إلى صوت من غناء الطفولة استغرق ربع حياته قبل أن يبدأ في الانتباه إلى نفسه.

استمعت إلى تلك الكلمات في عمر الثامنة عشرة، وقبيل أن أغادر المنزل إلى الجامعة، أي أنني ومن الناحية الإحصائية كنت أختتم الربع الأول من حياتي، وتذكرتُ أنني لا أفهم سوى القليل عن هويتي وعن نفسي. ولم أرَ نفسي كما هي وبكل الوضوح إلا هذه الليلة. وأنا تقريبًا في منتصف العمر. وهذا بفضل "روزي"، ومشروع "روزي". والآن، وقد انتهى كل شيء، ما الذي تعلمته:

1- لا أحتاج إلى أن أبين للكل أنني غريب عنهم. فأنا قادر على المشاركة في البروتوكولات التي يتبعها الآخرون وأن أتأقلم بسهولة معها. وكيف لي أن أكون

مكتبة ٢٩١

متأكدًا من أن الآخرين لا يقومون بالشيء نفسه – أي أنهم يمارسون تصرفات بغرض أن يكونوا مقبولين بينما هم يشكون طوال الوقت في كونهم مختلفين؟

2- أمتلك مهارات لا يمتلكها غيري. ذاكرتي وقدرتي على التركيز تمنحني ميزة في أشياء مثل إحصائيات البيسبول وصناعة مشروبات الكوكتيل وكذلك علم الجينات. والناس تقدِّر تلك المهارات، ولا تسخر منها.

3- يمكنني الاستمتاع بالصداقة والأوقات السعيدة. وما كان يمنعني عن ذلك هو افتقاري إلى المهارات وليس الدافع. وأنا الآن كفء اجتماعيًا بما يكفي لأن أستقبل في حياتي مجموعة أكبر من البشر. بمقدوري امتلاك المزيد من الأصدقاء. وربما يكون "ديف" ومشجِّع البيسبول أول الغيث.

4- أخبرت "جين" و"كلاوديا" أنني لا أجيد التعامل مع النساء. وكانت هذه مبالغة. فبوسعي الاستمتاع بصحبتهم، وهو ما تأكد لي من خلال ما قمت به من أنشطة مشتركة مع "روزي" و"دافني". فمن الناحية الواقعية، يمكن لامرأة أن تشاركني حياتي.

5- ما تزال فكرة مشروع البحث عن الزوجة وجيهة. والتوفيق بين رجل وامرأة بغرض التزاوج في أي ثقافة أخرى يقوم نمطيًا بالمهمة نفسها، وبقدر أقل من

مكتبة ٢٩١

التكنولوجيا ومن الدقة العلمية، ولكنه يخضع للفرضية نفسها – أن التوافق هو أساس الزواج عن حب.

6- أنا لستُ مبرمجًا للوقوع في الحب. والتظاهر بالحب أمر غير مقبول. لا يناسبني. لكنني كنت أخشى ألا تحبني "روزي". والحقيقة هي أنني أنا العاجز عن حب "روزي".

7- أمتلك قدرًا غزيرًا من المعارف ذات القيمة – في علم الجينات، والكمبيوتر، والأيكيدو، والكاراتيه، والأجهزة الثقيلة، والشطرنج، والخمور، ومشروبات الكوكتيل، والأوضاع الجنسية، والبروتوكولات الاجتماعية، وكذلك احتمال تحقيق أكثر من ست وخمسين نقطة متتالية في تاريخ مباريات البيسبول. أنا أعرف الكثير، ولكنني ما أزال غير قادر على إصلاح نفسي.

وبينما كان مشغل الأغاني يعيد تشغيل الأغنيتين مرارًا، أدركت أن تفكيري بدأ يدخل في دوائر مفرغة، وأن هناك خطأ في منطقي، رغم كل ما أتوخاه من دقة. وتنبهت إلى أن حزني على كل ما جرى في هذه الليلة هو الذي بدأ يطفو على السطح، وأنني أتمنى لو تغير كل شيء إلى الأفضل.

راقبتُ المطر الغزير الذي يهطل على المدينة... وصببت في كأسي ما تبقى في زجاجة التيكيلا.

مكسه ٢٩١

35

وجدتني في الكرسي نفسه عندما استيقظت في الصباح التالي. الجو بارد وممطر، وفرغت بطارية اللابتوب. هززت رأسي لأتأكد من أنني غير مصاب بصداع الشرب، ولكن يبدو أن إنزيمات هضم الكحول في جسدي تقوم بعملها على خير وجه. وكذلك عقلي. يبدو أنني ومن دون وعي قدمت له مشكلة لينشغل بحلها، ولأنه يتفهم أهمية الموقف، فقد تغلب على عقبة كوني سكرانَ حتى يصل إلى الحل.

بدأتُ النصف الثاني من حياتي بفنجان قهوة. ثم استعرضت المنطق البسيط للغاية.

أنا مبرمج بصورة مختلفة. ومن بين صفات هذه البرمجة أنني أجد صعوبة في التعاطف مع الآخرين. وهي مشكلة موثقة بالفعل في الكثير من البشر، وهي في الواقع واحدة من الأعراض المميزة لطيف التوحد.

ويفسّر عدم التعاطف هذا عجزي عن التجاوب العاطفي مع المواقف التي أشاهدها في الأفلام السينمائية. وهو أمر مماثل لعجِزي عن التجاوب والتفاعل مع ضحايا هجمات سبتمبر على مركز التجارة العالمي، كما يفعل غيري. ولكنني شعرت بالفعل بالأسى لأجل "فرانك"؛ الإطفائي الذي صار مرشدًا سياحيًا. كما تعاطفت مع "دافني"؛ وأختي؛ ومع عائلتي عندما تُوفيت أختي؛

مكتبه ٢٩١

ومع "كارل" و"أوجين" بسبب الأزمة التي يتعرض لها زواج "جين" و"كلاوديا"؛ ومع "جين" نفسه، الذي يستجدي الإعجاب فلا يحصل إلا على نقيضه؛ ومع "كلاوديا"، التي وافقت على علاقة زواج مفتوحة، ولكنها غيَّرت رأيها وصارت تعاني بينما "جين" مستمر فيما يفعل؛ ومع "فيل"، الذي عانى وهو يحاول التعامل مع حقيقة خيانة زوجته له ثم مع وفاتها ثم سعيه إلى كسب حب "روزي"؛ و"كيفين يو" الذي أعماه حرصه على إنهاء تعليمه عن الأخلاقيات العلمية؛ والعميدة، المجبرة على اتخاذ قرارات صعبة في ظل قواعد متضاربة وأن تخضع ملابسها وعلاقاتها لأحكام صارمة؛ والمعالج الروحاني، الذي عليه أن يوفِّق بين معتقداته القوية والأدلة العلمية؛ و"مارجريت كيس"، التي انتحر ابنها وتوقَّف عقلها عن العمل؛ ومع "روزي"، التي كانت طفولتها تعيسة ثم صارت تعيسة أيضًا وهي كبيرة بسبب وفاة أمها ومشكلة والدها الحقيقي ورغبتها الآن في أن أحبها. القائمة طويلة، ورغم أنها لم تشتمل على "ريك" و"إيلسا" من فيلم "كازابلانكا"، فإنها دليل واضح على أن قدرتي على التعاطف ليست مفتقدة بشكل كامل.

العجز (أو القدرة المحدودة) عن التعاطف أمر مختلف عن العجز عن الحب. فالحب إحساس قوي تجاه إنسان آخر، ويستعصي على المنطق في أغلب الأحوال.

"روزي" لم تستوفِ إطلاقًا الكثير من معايير مشروع البحث عن الزوجة، بما في ذلك مسألة أنها مدخنة شرهة. ولا تفسير منطقي لأحاسيسي تجاهها. فأنا لا أتعاطف مع "ميريل ستريب"، ولكن مغرم بـ"روزي".

عليَّ أن أتصرف بسرعة، ليس لأنني أعتقد أن الموقف مع "روزي" سيتغير في المستقبل المنظور، ولكن لأنني لا بد أن أعثر على سترتي، التي أتمنى أن تكون

مكتبة ٢٩١

كما هي في قلب صندوق القمامة. ومن حسن حظي أنني ما زلت أرتدي ملابسي منذ الأمس.

***

كانت السماء ما تزال تمطر، عندما وصلت إلى صندوق القمامة، في اللحظة التي كانوا يفرغونه فيها داخل عربة جمع القمامة. كانت لديَّ خطة طوارئ، ولكنها تستلزم وقتًا. وهكذا درت بالدراجة إلى طريق المنزل من جديد، وعبرت الشارع. هناك، عند باب أحد المحال، بعيدًا عن وابل المطر، يقبع أحد المتشردين. كان يغط في نوم عميق، ولكنه يرتدي سترتي. وهكذا اقتربت منه، ومددت يدي إلى حيث جيب السترة الداخلي، وأخرجت منه الموبايل والمظروف. وبينما كنت أعاود ركوب الدراجة، لمحت رجل وامرأة يراقبانني. وبدأ الرجل يركض نحوي، ولكن المرأة نادت عليه. كانت تجري اتصالًا من موبايلها.

***

الساعة 7:48 صباحًا. وصلت إلى الجامعة. بينما كانت سيارة شرطة تقترب من الاتجاه المعاكس، وتباطأت سرعتها عندما مرت إلى جواري، ثم انعطفت لتستدير نحوي. خطر لي أنها تعقبتني بعد أن أبلغت المرأة الشرطة عمَّا بدا وكأنها سرقة لأحد المتشردين. لذلك انطلقت بدراجتي بأقصى سرعة عبر مسار الدراجات، حتى لا يمكن لأي سيارة أن تطاردني، واتجهت فورًا إلى مبنى قسم الجينات لأبحث عن فوطة.

عندما فتحت باب مكتبي انتبهت إلى أن هناك من زار مكتبي، وعرفت هوية ذلك الزائر. فقد كانت الورود الحمراء راقدة فوق مكتبي. وكذلك ملف مشروع البحث عن الأب، رغم أنني تركته في خزانة الملفات. إلى جوار الملف قائمة أسماء

المرشحين ووصف لعينات "دي إن إيه" الخاصة بهم. كانت "روزي"... وقد تركت لي رسالة.

"دون"، آسفة على كل حاجة. أنا عرفت هوية صاحب المنديل. وقلت لبابا. يمكن مكنش ينفع أعمل كده، بس أنا كنت زعلانة قوي. حاولت أتصل بيك. آسفة تاني... "روزي".

وجدت كلمات كثيرة مشطوب عليها بين "آسفة مجددًا" و"روزي". ولكن هذه كارثة! وعليَّ أن أحذر "جين".

وجدتُ في مفكرته أنه سيتناول الإفطار في نادي الجامعة. وتفقدت منطقة طلبة الدكتوراه، ووجدت "ستيفان"، ولكنني لم أجد "روزي". أدرك "ستيفان" أنني متوتر للغاية، فلحق بي.

وصلنا النادي، وعثرت على "جين" بصحبة العميدة. ورأيت "روزي"، عند ترابيزة أخرى. كانت مع "كلاوديا"، وتبدو حزينة للغاية. عرفت أنها ربما تخبرها بما عرفته عن "جين"، حتى من قبل أن أجري تحليل العينة. ها هو مشروع البحث عن الأب ينتهي بكارثة فظيعة. ولكن غرضي كان مختلفًا. فأنا متلهف للكشف عما توصلت إليه هذا الصباح. وبوسعنا أن نحل المشكلة الأخرى لاحقًا.

هكذا ركضت إلى حيث "روزي". كنت ما أزال مبتلًا بعد أن نسيت أن أجفف نفسي. وواضح أن "روزي" ذهلت من وجودي أمامها. تخليت عن الرسميات، وأنا أبادرها:

– أنا عملت غلطة رهيبة. مش مصدق إني كنت بالغباء دا. مفيش أي منطق!

أشارت "كلاوديا" لي أن أصمت، ولكنني تجاهلتها.

مكتبة ٢٩١

- أنتِ فشلتي في مشروعي للبحث عن الزوجة تمامًا. أنتِ غير منظمة، مبتعرفيش حاجة في الرياضيات، اختياراتك الغذائية سخيفة. بس الرائع إني بفكر فعلًا إني أكمل بقية حياتي مع واحدة بتدخن. نكون مع بعض للأبد!

تعبيرات وجه "روزي" مركبة؛ حزن وغضب وذهول، في وقت واحد.

- مخدتش وقت طويل قبل ما تغيَّر رأيك.

"كلاوديا" تلوح لي بعصبية متوسلة أن أصمت، ولكنني مصمم على أن أستمر وفقًا لخطتي:

- أنا مغيرتش رأيي. هو دا قصدي! أنا عاوز أعيش بقية حياتي معاكي حتى ولو كان دا مخالف تمامًا لأي منطق. دا بالإضافة إلى إن حلمة ودانك قصيرة. ودا معناه إن مفيش أي سبب اجتماعي أو حتى جيني يخليني مغرم بيكي. والتفسير المنطقي لكل دا هو إني فعلًا... بعشقك.

نهضت "كلاوديا"، ودفعتني لأجلس في كرسيها. بينما سألتني "روزي":

- أنت متعرفش اليأس؟

- متضايقة مني؟

- لأ. أنت شجاع لدرجة عمري ما تخيلتها. معاك قضيت أسعد أوقات، وعمري ما لقيت حد بذكاءك، وخفة دمك يمكن، دا غير كل اللي عملته وبتعمله علشاني. لقيت فيك كل حاجة كنت بحلم بيها لدرجة إني خفت علشان أنت...

سكتت، وكنت أعرف أنها تفكر. لذلك أتممت لها جملتها.

- مختلف. أنا متفهم دا تمامًا. وأنا اتعودت على المشكلة دي لأني أنا نفسي شايف الكل حوليا مختلفين.

ضحكت "روزي".

حاولت أن أشرح لها مقصدي.

مكتبة ٢٩١

- ألاقيهم مثلًا بيعيطوا وهما بيتفرجوا على شخصيات خيالية.
- هتقدر تعيش معايا وأنا بعيط على حكايات الأفلام؟
- طبعًا... دا سلوك متعارف عليه.
توقفت عن الكلام، عندما انتبهت إلى قصدها. سألتها في حذر:
- أنتِ بتعرضي عليَّا نعيش سوا؟
ابتسمت "روزي". وقالت وهي تخرج علبة الخاتم من حقيبتها:
- أنت نسيت دي امبارح.

أدركت أن "روزي" قد تراجعت عن قرارها ليلة أمس، وأنها فعليًا تعود في الزمن لتسمح لي بتنفيذ خطتي الأصلية ولكن في مكان مختلف. وهكذا أخرجت الخاتم، ومدت لي هي إصبعها. ألبستها الخاتم. كان مقاسه مثاليًا. شعرت بإحساس مريح وطاغٍ.

انتبهت إلى تصفيق الجميع من حولي. وبدا لي طبيعيًا. كنت أعيش في فيلم كوميدي رومانسي، وهذا هو المشهد الأخير فيه. لكنه مشهد واقعي. كل من في قاعة نادي الجامعة يتابع المشهد. فقررت أن أختتم المشهد بالطريقة التقليدية، وأن أقبِّل "روزي". هذه اللحظات أفضل كثيرًا من ليلة أمس. قالت لي "روزي":
- أحسنلك ما تخيبش ظني فيك. أنا أعيش معاك الجنون كله.

اقترب "فيل"، وأنفه مغطى بضمادات، بصحبة مديرة النادي. ومن ورائها شرطيان. ولكن المديرة كانت تشير إلى "جين" وهي تتحدث مع "فيل". صاحت "روزي" في سخط:
- أوه... شِت.

مكتبة ٢٩١

توجه "فيل" بخطوات سريعة إلى "جين"، الذي نهض عن مقعده. دار بينهما حوار قصير، قبل أن يسقطه "فيل" أرضًا بلكمة خطافية سددها إلى فكه. هرع الشرطيان لإيقاف "فيل"، الذي لم يقاوم. بينما ركضت "كلاوديا" إلى "جين"، الذي كان ينهض بصعوبة. بدا أنه لم يُصب بإصابة خطيرة. وأدركت أن القواعد التقليدية للسلوك الرومانسي تقتضي أن ما فعله "فيل" مع "جين" كان الصواب، بافتراض أنه هو من أغوى والدة "روزي" وقت أن كانت صديقة "فيل".

ولكن من غير المؤكد أن يكون الشخص المقصود هو "جين" فعلًا. ومن ناحية أخرى، ربما كان من حق عدد كبير من الرجال أن يلكموا "جين" بسبب علاقاته، وبالتالي فما يقوم به "فيل" هو الانتقام لهم جميعًا في صورة لكمة واحدة. ولا بد أن "جين" يفهم هذا، فهو الآن يطمئن الشرطيين أن كل شيء على ما يرام.

عدت إلى "روزي". الآن، وبعد أن قمت بإعادة تفعيل خطتي الأصلية، لا بد ألا يشتت أي شيء آخر انتباهي.

- البند الثاني في أجندتي، بخصوص والدك الحقيقي.

ابتسمت "روزي"، وهي تقول:

- هو دا "دون" اللي أنا أعرفه وبحبه. بند رقم واحد: نتجوز. أوكيه، خلصنا من النقطة دي. دلوقتي البند رقم اتنين.

توقفت عند كلامها مذهولًا. ولم يسعني سوى أن أتأمل "روزي" وأنا أستوعب واقع ما قالته. وأظن أنها كانت مثلي في تلك اللحظة، فقد مرت عدة ثوانٍ قبل أن تتكلم من جديد.

- كام وضع من الأوضاع اللي في الكتاب إيَّاه تقدر تعمله؟

- قصدك الكتاب الجنسي؟ كلهم.

مكتبة ٣٩١

- مش مصدقاك.

- الحقيقة إن الموضوع أسهل من كتاب الكوكتيلات.

- طيب ياللا نروّح. على شقتي أنا. أو على شقتك... لو لسة عندك بدلة "جريجوري بك".

كانت تضحك.

- هي لسة في مكتبي.

- طيب خليها لوقت تاني. اوعى ترميها.

هكذا نهضنا، ولكن الشرطيين، شرطي وشرطية، وقفا في طريقنا. بدأت الشرطية (عمرها ثمانية وعشرون عامًا تقريبًا، مؤشر كتلة الجسد ثلاثة وعشرون) الكلام:

- سيدي. ممكن أسألك عن اللي في جيبك؟

كنت قد نسيت موضوع المظروف! فأخرجته سريعًا وأنا ألوح به في وجه "روزي".

- التذاكر! تذاكر ديزني لاند. أنا حليت كل مشاكلك!

أظهرت لها التذاكر الثلاثة، وأمسكت بيد "روزي" وركضت نحو "فيل".

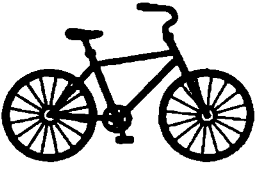

مكتبة ٢٩١

36

ذهبنا إلى ديزني لاند – أنا و"روزي" و"فيل". أمضينا أوقاتًا رائعة، وكان للرحلة عظيم الأثر في تحسين علاقاتنا. تبادلت "روزي" و"فيل" الكثير من المعلومات، وعرفت خلالها الكثير عن حياة "روزي". خلفية مهمة للمهمة الضرورية والصعبة المتمثلة في تطوير مستوى عالٍ من التعاطف مع الشخص الوحيد الذي يهتم بي في هذا العالم.

كنت أنا و"روزي" في طريقنا إلى نيويورك؛ حيث يعترفون هناك بالأشخاص غريبي الأطوار. ولكن هذا تبسيط للمنطق: ففي الواقع، كان المهم بالنسبة لي هو أن أتمكن من الدخول في بداية جديدة بمهاراتي الجديدة، وكذلك طريقة جديدة وشريكة حياة جديدة، من دون أن تعطلني نظرات الآخرين لي – وهي نظرات لم أكن أستحقها فحسب، بل كنت أشجعهم عليها كذلك.

هنا في نيويورك، أعمل في قسم الجينات في جامعة "كولومبيا"، و"روزي" في عامها الأول في كلية الطب. وأشارك في مشروع "سايمون ليفيبر" البحثي عن طريق الإنترنت، على النحو الذي أصر عليه كشرط لتوفير التمويل. وأعتبر هذا نوعًا من رد الدين الأخلاقي بعد أن كنت أستغل تجهيزات الجامعة في تنفيذ مشروع البحث عن الأب.

مكتبة ٢٩١

لدينا شقة في "ويليامسبرج"، على مسافة ليست بعيدة عن منزل عائلة "إيزلر"، التي نزورها بصفة دورية. وصارت حكاية القبو قصة نتندر بها أنا و"إيزاك" في أي مناسبة اجتماعية.

نفكِّر الآن في مسألة التكاثر (أو كما يقولون بالمصطلحات الاجتماعية "إنجاب الأطفال"). وتمهيدًا لذلك الاحتمال، توقفت "روزي" عن التدخين، وقللنا من الكحوليات. ومن حسن الحظ أن لدينا العديد من الأنشطة التي تشتت انتباهنا عن تلك السلوكيات الإدمانية. أعمل أنا و"روزي" في بار كوكتيل ثلاث ليالٍ كل أسبوع. ويكون الأمر مرهقًا أحيانًا، ولكنه اجتماعي ومرح، كما أن فيه زيادة على دخلي الأكاديمي.

نسمع الموسيقى معًا. بعد أن راجعت موقفي مع "باخ"، ولم أعد أحاول الانتباه إلى الجمل الموسيقية جملة جملة. صار الأمر أكثر نجاحًا، ولكن يبدو أن ذوقي الموسيقي توقف عند مرحلة المراهقة. فأنا وقتذاك كنت أستمع إلى نفس ما كان والدي يستمع له، بعد أن فشلت في تحديد اختياراتي الشخصية. وبوسعي أن أناقشك وبكل موضوعية حول أنه لا توجد أغنية حقيقية تستحق أن يسمعها أحد بعد العام 1972. وكثيرًا ما تناقشت و"روزي" في هذا الموضوع. وما زلت أطهو، ولكنني أحتفظ بنظام الوجبات الثابت لعزومات العشاء.

تزوجنا رسميًا. ورغم أنني سبق وأن قمت بطقس تقديم خاتم الارتباط، فإنني لم أكن أتوقع أن ترغب "روزي"، "الفيمنست"، في إتمام الزواج بالشكل الرسمي المتعارف عليه. كانت كلمة "زوجة" في مشروعي تعني لي دائمًا "شريكة حياة أنثى". ولكنها قررت ذلك، وكما قالت لي:

- عايزة تبقالي علاقة واحدة بس في حياتي بالطريقة اللي كل البشر متعودين عليها.

مكتبة ٢٩١

والممتاز في الموضوع أنها كانت تعرِّف هذه العلاقة بأنها ارتباط مستقر ومستمر برجل واحد فقط.

كما صرتُ قادرًا على احتضان "روزي". وهي المشكلة التي كنت أخاف منها جدًّا بعد أن قررت أن تعيش معي. فأنا في العادة لا أرتاح لأي تلامس جسدي، ولكن واضح أن الجنس استثناء من هذا الشعور. حل الجنس لي مشكلة تلامس الجسد. كما صرنا الآن قادرين على أن نحضن بعضنا من دون أن نمارس الجنس، وهو الأمر الذي اتضح لي أنه مريح في بعض الأوقات.

ومرة كل أسبوع، وبغرض التعامل مع متطلبات الحياة مع شخص آخر، وللاستمرار في تحسين مهاراتي في هذا المجال، أقضي أمسية في العلاج النفسي. بالطبع تدرك أنني أمزح معك.. فقصدي من العلاج هنا هو الجلوس مع "ديف"، وأنا في المقابل أقدِّم له خدمة من عندي. "ديف" متزوج ووجدت، وبرغم أنني مُبرمَج بصورة مختلفة عنه، أن مشاكلنا متشابهة. وعرفتُ أيضًا أنه أحيانًا ما يعزم في منزله زملاء عمل وأصدقاء ذكور، وهو بالمناسبة يعمل في هندسة التبريد. نشاهد جميعنا المباريات. وكلنا نشجِّع اليانكيز.

***

مر وقت طويل، ولم تأتِ "روزي" خلاله على ذكر مشروع البحث عن الأب. وقد أرجعتُ ذلك إلى تحسُّن علاقتها مع "فيل" علاوة على انشغالها. ولكنني لم أخبرها أنني كنت أعمل على بعض المعلومات.

خلال حفل الزفاف، طلب مني الدكتور "إيمون هيوز"، وهو أول شخص اختبرنا عينته كما قد تتذكر، أن يتحدث معي على انفراد.

- فيه حاجة لازم تعرفها. بخصوص والد "روزي".

مكتبة ٢٩١

بدا لي من المنطقي أن يكون أقرب أصدقاء أم "روزي" في كلية الطب على دراية بهوية الأب الحقيقي. وربما كل ما كان مطلوبًا منذ البداية هو أن نسأل الجميع بصراحة وبشكل مباشر. ولكن قصد "إيمون" كان مختلفًا. كان يقصد "فيل" بكلامه.

- "فيل" كان متحامل شوية على "روزي".

لم تكن "روزي" وحدها التي تظن أن "فيل" أب سيئ.

- أنت عرفت بموضوع حادثة العربية؟

أومأت برأسي بنعم، برغم أنني لا أعرف أي تفاصيل. كانت "روزي" قد أكدت لي أنها لا تريد التحدث في هذا الموضوع.

- كانت "بيرناديت" هي اللي بتسوق؛ لأنه كان سكرانَ.

فهمت من كلامه أن "فيل" كان معها في السيارة.

- "فيل" خرج من العربية بعد الحادثة بكسر في الحوض، وسحب "روزي" من جوا العربية.

سكت "إيمون" لحظة، وكان من الواضح أنه غاضب:

- سحبها هي الأول.

بدا لي السيناريو فظيع، ولكنني كعالم جينات وجدته طبيعيًّا. سلوك "فيل"، في لحظات الألم وتحت كل هذا الضغط النفسي، سيكون غريزيًّا بطبيعة الحال. وتحدث سيناريوهات الموت والحياة هذه كثيرًا في عالم الحيوان، ويتماشى قرار "فيل" لحظتها مع جميع النتائج التجريبية والنظرية. ومع افتراض أنه تذكَّر تلك اللحظات عدة مرات بعقله بعدها، وأن مشاعره تجاه

مكتبة ٢٩١

"روزي" قد تأثرت بشدة بسببها، إلا أن تصرفاته تتسق مع الدافع البدائي المتمثل في حماية الكائن الذي يحمل جيناته الوراثية.

ولكنني لم أنتبه إلى خطئي الواضح إلا لاحقًا. فبما أن "روزي" لم تكن ابنته من صلبه، إذن لا يمكن أن يكون للغريزة دخل في الموضوع. وأمضيتُ وقتًا أفكّر في التفسيرات الممكنة لتصرفه. وانتابني الشك. ولم أخبر أحدًا بأفكاري وافتراضاتي التي توصلت إليها.

***

بعدما ثَبَّتُّ أقدامي في جامعة "كولومبيا"، طلبت تصريحًا باستخدام تجهيزات اختبار عينات "دي إن إيه" لأجل أبحاثي الخاصة. ووجدتهم مرحبين بذلك. مع أنني لم أكن سأغضب لو رفضوا. فقد كان بوسعي أن أرسل ما تبقى لديَّ من عينات إلى مختبر خاص وأدفع بضع مئات من الدولارات. وكان هذا الخيار متاحًا لـ"روزي" منذ بداية مشروع البحث عن الأب. واتضح لي الآن أنني لم أنبِّه "روزي" إلى هذا الخيار لأنني كنت في عقلي الباطن مهتمًا بتأسيس علاقة معها حتى منذ تلك الفترة المبكرة. مدهش!

لم أخبر "روزي" شيئًا عن الاختبار. وذات يوم، أخذت حقيبة العينات التي جلبتها معي إلى نيويورك.

بدأت بجرَّاح التجميل المصاب بالبارانويا، "فرايبرج"، ولكن لم يكن هناك دليل آخر يجعله أقرب المرشحين مقارنة بغيره. فقد اتضح لي أنه كان مترددًا في أن يرسل لي عينة من دمه بكونه ذا طبيعة متشككة ترفض مساعدة الغير. وجاء توقعي في محله.

هكذا انتقلت إلى عينة "إيزلر"، الشوكة التي سافرت حول العالم تقريبًا. منذ واقعة القبو وأنا أكاد أكون متأكدًا من أنه والد "روزي". ولكنني فيما بعد

مكتبة ٢٩١

استنتجت أنه ربما كان يحاول حماية صديق، أو ذكرى صديق. وتساءلت عما إذا كان قرار "إيزلر" أن يكون طبيبًا نفسانيًا تحت تأثير انتحار وصيفه في ليلة زفافه، "جيفري كيس".

اختبرت العينة.

"إيزاك إيزلر" ليس والد "روزي".

انتقلت إلى عينة "جين". صديقي المقرب. إنه يبذل الكثير الآن للحفاظ على زواجه. عندما زرته لكي أعطيه استقالتي ليسلمها للعميدة، وجدت أن الخريطة لم تعد معلقة في حائط مكتبه. ولكنني لا أتذكر أنني رأيت دبوسًا فوق "آيرلندا" على تلك الخريطة؛ مسقط رأس أم "روزي". لذلك رأيتُ أنه لا حاجة لفحص عينته. وهكذا رميت المنديل في سلة المهملات.

الآن استبعدت جميع المرشحين ما عدا "جيفري كيس". كان "إيزاك إيزلر" قد أخبرني أنه يعرف هوية والد "روزي" وأنه أقسم على أن يحفظ السر. فهل كانت والدة "روزي" – و"إيزلر" – لا يرغبان في أن تعرف "روزي" أن هناك تاريخًا مرضيًا في العائلة يؤدي إلى انتحار بعضهم؟ أو أنه عيب جيني يسبب خلل عقلي؟ أو أن "جيفري كيس" انتحر في الغالب في أعقاب معرفته أنه والد "روزي" وأن أمها قررت برغم ذلك أن تبقى مع "فيل"؟ جميعها أسباب وجيهة – بما يكفي لأن أعتبر أن العلاقة التي أثمرت "روزي" كانت في الحقيقة بين والدتها و"جيفري كيس".

بحثت في حقيبتي، حتى عثرت على عينة "دي إن إيه" التي ساقها القدر إليَّ من دون أن تعرف "روزي". وأكاد الآن أكون متأكدًا من أنها ستثبت فرضيتي بشأن والدها الحقيقي.

مكتبة ٢٩١

قطعت قطعة صغيرة من القماش، وصببت فوقها المادة الكيميائية الكاشفة، وتركتها لبعض دقائق. وبينما كنت أراقب القماشة في المحلول، وأستعرض بعقلي تفاصيل مشروع البحث عن الأب، صرت أشد ثقة بتوقعي. ورأيت أن "روزي" لا بد وأن تحضر ظهور النتيجة، بغض النظر عمًّا إذا كنت على صواب أو خطأ. أرسلت لها رسالة نصية. كانت في الجامعة، فحضرت في غضون دقائق، وأدركت على الفور ما أقوم به.

وضعت العينة المعالجة في الآلة، وانتظرت التحليل. راقبنا شاشة الكمبيوتر معًا حتى ظهرت النتيجة. وبعد كل هذا المجهود في جميع العينات من الدم، ومن الأفواه، ومن كؤوس الكوكتيل، وبعد أن تسلقت جدارًا، وجمعت فناجين، وطرت، وسافرت، وقدت سيارات لمسافات، وكتبت مقترح مشروع في مئات الصفحات، ومسحت أرضية حمَّام لآخذ عينة بول، وسرقتُ فنجانًا، ومسحت شوكة، وأخذت منديلًا من سلة مهملات، وسرقت فرشاة أسنان، ونظفت فرشاة شعر، ومسحت دموعًا، بعد كل هذا... توصلنا إلى العينة المنشودة.

كانت "روزي" ترغب في معرفة هوية والدها الحقيقي. ورغبت والدتها في أن تبقى هوية الرجل الذي نامت معه، ربما لليلة واحدة، خلال مناسبة غرضها التحرر وإطلاق المشاعر وتحطيم القواعد، سرًا إلى الأبد. وبوسعي الآن أن أستجيب للرغبتين معًا.

أخرجتُ لها بقايا فانلة الجيم الحمالات المبقعة بالدم، والتي بقيت معي منذ معركتي مع "فيل"، لتقارنها بقطعة القماش التي قصصتها منها... لن تكون هناك حاجة الآن لاختبار المنديل الذي مسحت به دموع "مارجريت كيس".

الواضح جدًّا، هو أن "جين" هو السبب في كامل مشكلة هوية الأب. فلقد قام بتدريس طلَّاب الطب نموذجًا مبسطًا للغاية للخصال المشتركة وراثيًا بين

مكتبة ٢٩١

الأقارب. فلو أن والدة "روزي" كانت تعرف أن لون العيون ليس مؤشرًا يُعتد به في مسألة تجديد النسب، وأجرت اختبار "دي إن إيه" لتتأكد من شكوكها، لما كانت هناك حاجة من الأصل إلى مشروع البحث عن الأب، ولا حاجة إلى ليلة الكوكتيل الكبيرة، ولا إلى مغامرة نيويورك، ولا إلى مشروعي لإصلاح ذاتي... بل ولا حتى لمشروع "روزي". ولولا هذه السلسلة من الأحداث والصدف، لما وقعت ابنتها في حبي، ووقعت أنا في غرامها. ولكنت ما زلت أتناول الإستاكوزا كل يوم ثلاثاء.

مدهش.. مدهش جدًا.

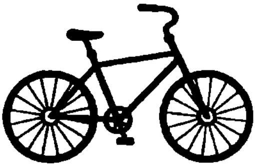

مکسه ۲۹۱

والآن...

هل تعتقدين أنكِ الزوجة المثالية في نظر "دونالد"؟

هذه هي استمارة الاستبيان التي وضعها بنفسه... وكل ما عليكِ هو أن تخوضي الاختبار لتتأكدي بنفسك...

(أكملي الاختبار وأرسلي لنا هذه الاستمارة على عنوان دار العربي للنشر والتوزيع أو عبر البريد الإلكتروني للدار، لتربحي فرصة الفوز بواحدة من إصدارات الدار أو هدية من مؤلف الرواية ودار النشر الأجنبية).

الاسم:	
العمر:	
الطول:	
الوزن:	
مؤشر كتلة الجسد: **عبارة عن ناتج قسمة الوزن على مربع الطول بالمتر**	

أجيبي عن كل سؤال، وإذا وجدتي أن لا إجابة تقدم الوصف الدقيق لما تريدين، اختاري الإجابة الأقرب لكِ. ولا تختاري أكثر من إجابة واحدة. وفي حال لم تفهمي السؤال، فاعلمي أنكِ غير مناسبة من الأساس.

ستبقى إجاباتكِ سرية. ولا يتعهد "دونالد تيلمان" مسبقًا بقبول أي مرشحة، أو حتى في حال التوافق التام بالدخول معها في علاقة زوجية دائمة.

الوقت التقديري لإتمام الاختبار: 7 دقائق و9 ثوانٍ.

مكسه ٢٩١

أقوم بكي الملابس...

(أ) أثناء تفكيري في أمور أخرى (نقطتان)

(ب) أثناء مشاهدة التلفزيون (صفر)

(ت) بكل تركيز حتى لا أقلل من جودة نتيجة الكي (نقطة)

(ث) أنا أسلم الملابس للمكوجي (3 نقاط)

(ج) أتوقع أن يساعدني زوجي في كي الملابس (5 نقاط)

(ح) ملابسي لا تحتاج كي (5 نقاط)

درجة هذا السؤال....

أحب أن أشرب...

(خ) المشروبات الباردة (نقطتان)

(د) المشروبات الساخنة (نقطتان)

(ذ) ممكن هذا أو ذاك، لا يهم (5 نقاط)

(ر) لا أحب المشروبات الساخنة (نقطتان)

(ز) لا أحب المشروبات الباردة (نقطتان)

درجة هذا السؤال ....

مكتبة ٢٩١

المادة المرتبطة ببرجي الفلكي...

(س) التراب (صفر)

(ش) الرياح (صفر)

(ص) النار (صفر)

(ض) الماء (صفر)

(ط) غير مهتمة (5 نقاط)

درجة هذا السؤال ....

أنام عندما...

(أ) أشعر بالتعب (نقطتان)

(ب) يحين موعد النوم (5 نقاط)

(ت) يتوه عقلي (صفر)

(ث) يحين موعد نوم زوجي (3 نقاط)

(ج) أنتهي من أعمالي (نقطتان)

درجة هذا السؤال ....

مكتبة ٢٩١

أبني مواقفي الأخلاقية وسلوكياتي على...

(أ) المنطق (5 نقاط)

(ب) النزاهة الشخصية (صفر)

(ت) القانون (4 نقاط)

(ث) ديني (صفر)

(ج) الثقة (نقطة)

(ح) مواقف فلسفية أخرى (4 نقاط)

درجة هذا السؤال....

أتدرب...

(أ) في الجيم وبانتظام (3 نقاط)

(ب) بانتظام مع أنشطة مفيدة أخرى (5 نقاط)

(ت) في الموعد، إلا إذا طرأ طارئ مهم (نقطة)

(ث) وفق برنامج تدريبي خاص بمناسبة معينة (نقطتان)

(ج) عندما أحب ذلك (صفر)

درجة هذا السؤال....

مكتبة ٢٩١

أحب التحدث عن...

(أ) الحقائق (4 نقاط)

(ب) الناس (صفر)

(ت) النظريات العلمية (5 نقاط)

(ث) الأحداث (نقطتان)

(ج) كل ما يخطر ببالي (صفر)

درجة هذا السؤال....

أضع أشيائي (نستثني هنا أشياء مثل السرير، المكتب، مائدة الطعام، والكراسي) في...

(أ) سيارتي الصغيرة (5 نقاط)

(ب) سيارتي الكبيرة (3 نقاط)

(ت) سيارتي الفان (نقطتان)

(ث) سياراتي (صفر)

(ج) حقيبتي (4 نقاط)

درجة هذا السؤال....

نظام تشغيل الكمبيوتر المفضل لديَّ هو...

(أ) ويندوز (نقطتان)

(ب) يونيكس (4 نقاط)

(ت) أنا أستخدم آبل (نقطتان)

(ث) نظام صممته بنفسي (5 نقاط)

(ج) لا أعرف الفارق بين هذا وذاك (صفر)

درجة هذا السؤال....

عدد الكتب التي في مكتبتي هو...

(أ) المصحف أو الإنجيل فقط (صفر)

(ب) أقل من 5، باستثناء كتب الطبخ (نقطتان)

(ت) ما بين 3 و 20، بقية الكتب من الإنترنت أو أستعيرها (5 نقاط)

(ث) ما بين 30 و100 (3 نقاط)

(ج) أكثر من 100 (نقطتان)

(ح) لا أقرأ أصلًا (صفر)

درجة هذا السؤال ....

مكتبة ٢٩١

عندما أصاب بالأنفلونزا...

(أ) أشرب الكثير من المياه (صفر)

(ب) أشرب أعشابًا (صفر)

(ت) أتعاطى مضادات حيوية (نقطتان بالسالب)

(ث) أدعو الله أن يشفيني (صفر)

(ج) أركز على ألا أنقل العدوى لأحد (5 نقاط)

درجة هذا السؤال....

أعتبر نفسي...

(أ) متعصبة دينيًا (صفر)

(ب) ضعيفة دينيًّا (صفر)

(ت) معتدلة دينيًّا (5 نقاط)

(ث) لا أعرف تمامًا (5 نقاط)

(ج) لم أفكر في ذلك من قبل (نقطتان)

درجة هذا السؤال....

نكهة الآيس كريم المفضلة لديَّ...

(أ) الشوكولاتة (صفر)

(ب) الفانيليا (صفر)

(ت) الفاكهة (صفر)

(ث) أنا نباتية (نقطة)

(ج) لا آكل آيس كريم بسبب الريجيم (صفر)

(ح) كل النكهات طعمها واحد (5 نقاط)

درجة هذا السؤال....

مكتبة ٢٩١

مشاهدة المنافسات الرياضية...

(أ) شغفي (5 نقاط... بالسالب)

(ب) وسيلة للاسترخاء (صفر)

(ت) وسيلة لتمضية الوقت مع الأصدقاء (صفر)

(ث) مضيعة للوقت (5 نقاط)

(ج) بغرض التعرف على إحصائيات المباريات (3 نقاط)

درجة هذا السؤال....

أفضل وسيلة لتسوية الخلافات الزوجية هي...

(أ) النقاش العقلاني (5 نقاط)

(ب) اللجوء للقضاء (3 نقاط)

(ت) المناقرة والعناد إلى أن يستسلم الطرف الآخر (صفر)

(ث) أن أستسلم لرأيه (2 نقطة)

(ج) أن ألجأ إلى أسلحتي الرومانسية (4 نقاط)

درجة هذا السؤال....

أفراد أسرتي...

(أ) سيتدخلون جدًّا في علاقتنا الزوجية (صفر)

(ب) سيزوروننا في المناسبات (نقطتان)

(ت) سيدعوننا في المناسبات على الغداء أو العشاء (3 نقاط)

(ث) جميعهم من العلماء (4 نقاط)

(ج) ليسوا لطفاء (2 نقطة بالسالب)

(ح) من سوء الحظ أنهم يعيشون بعيدًا جدًّا/ متوفين (5 نقاط)

درجة هذا السؤال....

مكتبة ٢٩١

سيارتي...

(أ) عملية واقتصادية (4 نقاط)

(ب) كأنها خردة (نقطة)

(ت) جذابة (صفر)

(ث) تعمل بالكهرباء (نقطتان بالسالب)

(ج) أستخدم المواصلات العامة (5 نقاط)

درجة هذا السؤال....

رأيي في النظريات العلمية...

(أ) مجرد نظريات (صفر)

(ب) تظهر بها ثغرات (نقطة)

(ت) بعضها يستحيل تطبيقه (نقطة)

(ث) تظهر نظريات مناقضة لها (صفر)

(ج) تتعارض مع الدين أحيانًا (نقطتان بالسالب)

(ح) لا رأي لي فيها (5 نقاط)

درجة هذا السؤال....

أذهب إلى المسجد/ الكنيسة...

(أ) بانتظام (4 نقاط)

(ب) خلال الأفراح أو الجنازات (3 نقاط)

(ت) لا أذهب (نقطتان)

(ث) لا أتلقى أي دعوة لأفراح أو عزاء (5 نقاط)

درجة هذا السؤال....

مكتبة ٢٩١

أهم شخص في القرن العشرين هو...

(أ) ألبرت آينشتاين (4 نقاط)

(ب) سيجموند فرويد (نقطتان)

(ت) لينين (صفر)

(ث) جاكسون براون (نقطة)

(ج) فرنسيس كريك (5 نقاط)

(ح) الأميرة ديانا (صفر)

درجة هذا السؤال....

أحب النسكافيه...

(أ) بلاك (5 نقاط)

(ب) بالحليب (4 نقاط)

(ت) أي نوع منه بشرط يكون من دون كافيين (صفر)

(ث) لا أحب النسكافيه (3 نقاط)

(ج) أنواع القهوة مضرة (نقطتان بالسالب)

درجة هذا السؤال....

أترك الموبايل مفتوحًا...

(أ) في كل وقت لطبيعة عملي (3 نقاط)

(ب) في كل وقت سواء لعملي أو غيره (صفر)

(ت) في الوقت الذي أحدده لتلقي المكالمات والرسائل (5 نقاط)

(ث) لا أمتلك موبايل (صفر)

(ج) إلى أن ينتهي الشحن (نقطتان بالسالب)

درجة هذا السؤال....

مكتبة ٢٩١

لو عرض عليّ العمل في شركة لتصنيع السجائر والتبغ...

(أ) لن أقبل لأن السجائر شر (5 نقاط)

(ب) فقط في حال كنت محتاجة للمال بشدة (أتعالج من السرطان مثلًا) (نقطتان)

(ت) لا أجد مشكلة، فلست أنا من يجعل الناس مدخنين (نقطتان)

(ث) سأطلب مرتبًا أعلى، كتعويض عن طبيعة العمل (صفر)

(ج) سوف أستغل الوظيفة لأغراض التجسس الصناعي ضدهم (نقطة)

(ح) سأقبل لو كانت الوظيفة محفزة عقليًا (3 نقاط)

درجة هذا السؤال....

أدخن...

(أ) علبة سجائر أو أكثر يوميًا (50 نقطة بالسالب)

(ب) على خفيف (30 نقطة بالسالب)

(ت) نادرًا (20 نقطة بالسالب)

(ث) انقطعت عن التدخين منذ أقل من عام (صفر)

(ج) انقطعت تمامًا عن التدخين منذ أكثر من عام (نقطتان)

(ح) لا أدخن (5 نقاط)

درجة هذا السؤال....

مكتبة ۲۹۱

مکسه ۲۹۱

النتيجة

120 نقطة: أنتِ الآن مرشحة محتملة للزواج من "دون"، وهو ما يعني أنكِ محظوظة؛ فأنتِ لستِ مثل الآخرين. ولكن عليكِ الآن إتمام مرحلة الـ120 سؤالًا، والحصول على الدرجة النهائية حتى تتأهلي بالفعل ☺

105 – 120 نقطة: كدتِ تفعلينها! أنتِ ربما قريبة جدًّا من "دون"، ولكن ليس إلى الحد الكافي. ننصحك بالبحث عن شريك حياة قريب الشبه من "دون" الذي صرتِ تعرفينه.

80 – 104: لديكِ بداخلكِ الكثير من صفات "دون"، ولكن ليس إلى درجة أن يعتبرك كل من حولكِ مختلفة عنهم. ربما البعض يعتبركِ مختلفة. نعتقد أن شريك حياتكِ المثالي سيكون الآن داخل أحد المراكز التي تقدم دورات تعليم الكمبيوتر. (بافتراض أنكِ تحملين شهادة علمية، أليس كذلك؟).

60 – 79: رغم أنها درجة متوسطة، ولكنكِ في خطر! أنتِ لست الزوجة المناسبة لـ"دونالد"، ولكنك لن تكوني زوجة مثالية إلا لشخص ذي خلفية معملية فذة. عليكِ بزيارة العديد من المعامل والمختبرات في الفترة القادمة.

25 – 59: المسافة بينكِ وبين "دون" هي تمامًا مثل المسافة الفعلية بينكِ وبينه الآن! ولكنكِ إنسانة طبيعية ويمكنكِ الزواج من أي إنسان طبيعي مثلكِ. فحاولي اصطياد زوج المستقبل من بين جماعات الذكور الشاردة من حولكِ في كل مكان!

أقل من 25 نقطة: لا فائدة. لكن ربما يشجعك أن تعرفي أنكِ قد حققتِ نفس الدرجة التي حققتها "روزي"... نعم بطلتنا "روزي".

وطبعًا، وكما أصبحتِ تعرفين بعد قراءة هذه الرواية، الحب لا يعترف بمثل هذه الاستمارات، ولكن "دونالد" لا يزال يعترف بها...

حتى بعد أن تزوَّج "روزي"!

مكتبة ٢٩١

#كتب_مختلفة #أستراليا

تدور الرواية حول "دونالد تيلمان" أستاذ وعالم جينات، في التاسعة والثلاثين من عمره. طويل، رشيق، ذكي، صاحب منصب مرموق نسبيًا، ودخل فوق المتوسط يوفره منصبه كأستاذ في الجامعة. ومنطقي أن يكون جذابًا في نظر قطاع عريض من الفتيات والسيدات. "دون" يبحث عن زوجة، لكنه لا يبحث عنها بالطريقة المتعارف عليها، خصوصًا بعد أن فشلت كل الطرق المنطقية في عثوره على زوجة تناسبه. جرب العديد من اللقاءات التي انتهت نهايات مثل محاولته إقناع رفيقته بأن كل نكهات الأيس كريم لا فرق بينها في الطعم. قرر "دون" أن يتوقف عن البحث عن زوجة عن طريق المواعدات التي يدبرها له صديقه وزوجته، وبدأ في عمل استبيان به العديد من الأسئلة الغريبة التي ستحدد نتيجته بدقة من تصلح زوجة له.

حتى قابل "روزي" لكن من هي "روزي"، تلك الفتاة التي ظهرت في عالمه فجأة وقلبته رأسًا على عقب، عالمه المنظم المرتب ذو المواعيد الدقيقة. دخلت حياته وسببت الارتباك بها، لم تعجبه تلك الفتاة الفوضوية التي تسخر من شخصيته المنظمة ومن وجبة الإستاكوزا التي يأكلها كل يوم ثلاثاء بانتظام، لكن، لو أنها لم تعجبه، لماذا إذًا انقلب مشروعه فجأة من "مشروع البحث عن زوجة" إلى "مشروع روزي"؟

جرايم سيمسيون

وُلِدَ "جرايم سيمسيون" عام ١٩٦٤، قبل أن يبدأ "سيمسيون" كتابة الرواية، كان يعمل مستشار نظم معلومات، لكنه قرر فجأة بعد أن أتم الخمسين عامًا أن الوقت قد حان لكتابة روايته الأولى "مشروع روزي"، التي صدرت عام ٢٠١٤، لتفاجئه وتفاجئ الجميع بفوزها بأكثر من تسع جوائز، مثل جائزة "الكتاب الأسترالي" عام ٢٠١٤، وجائزة "نيلسن" الأسترالية لأفضل الكتب مبيعًا، وغيرها من الجوائز، كما تم اختيارها للقائمة الطويلة لجائزة "ايمباك" الدولية "IMPAC Dublin Literary Award" عام ٢٠١٥، كما تم اختيارها عام ٢٠١٤ للقائمة القصيرة لثلاث جوائز عالمية وأسترالية، هم: جائزة "أفضل عمل أدبي أول"الأسترالية عام ٢٠١٤، جائزة "وايفرتون جود ريد" البريطانية، وجائزة "إيندي" "The Indie".

ISBN 978-977-319-302-7

تصميم الغلاف: Plus Two

العربي للنشر والتوزيع

60 شارع القصر العيني 11451 - القاهرة
ت: 27954529 - 27921943 فاكس: 27947566
www.alarabipublishing.com.eg